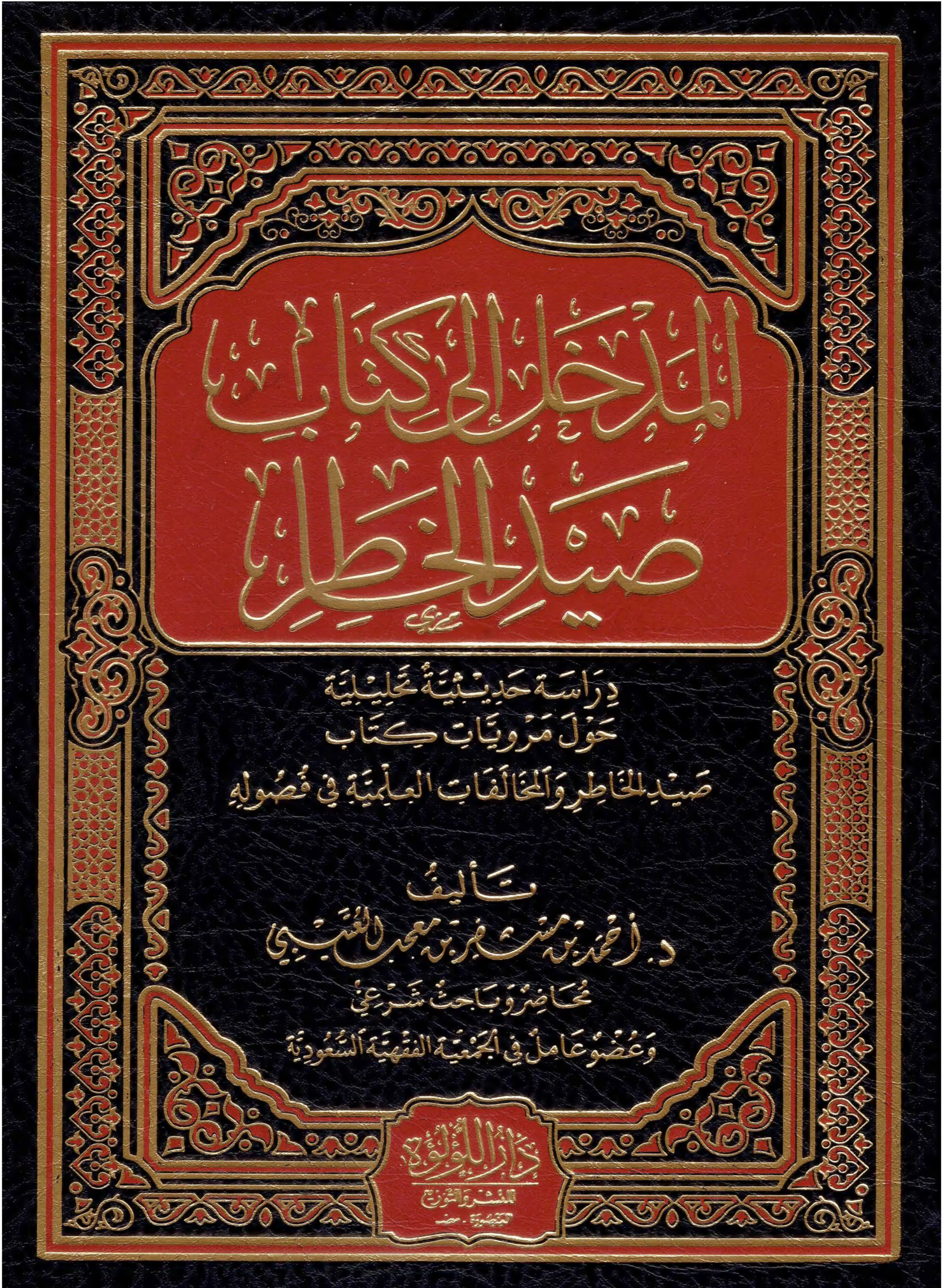

المدخل إلى كتاب صيد الخاطر
دراسة حديثية تحليلية
حول مرويات كتاب
صيد الخاطر والمخالفات العلمية في فصوله
تأليف
د. أحمد بن مسفر بن معجب العتيبي
محاضر وباحث شرعي
وعضو عامل في الجمعية الفقهية السعودية
دار اللؤلؤة
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

المدخل إلى كتاب صيد الخاطر

دراسة حديثية تحليلية
حول مرويات كتاب
صيد الخاطر والمخالفات العلمية في فصوله

الطبعة الأولى

1442 هـ / 2020 م

رقم الإيداع : 17489 / 2020

الترقيم الدولي : 7-30-6838-977-978







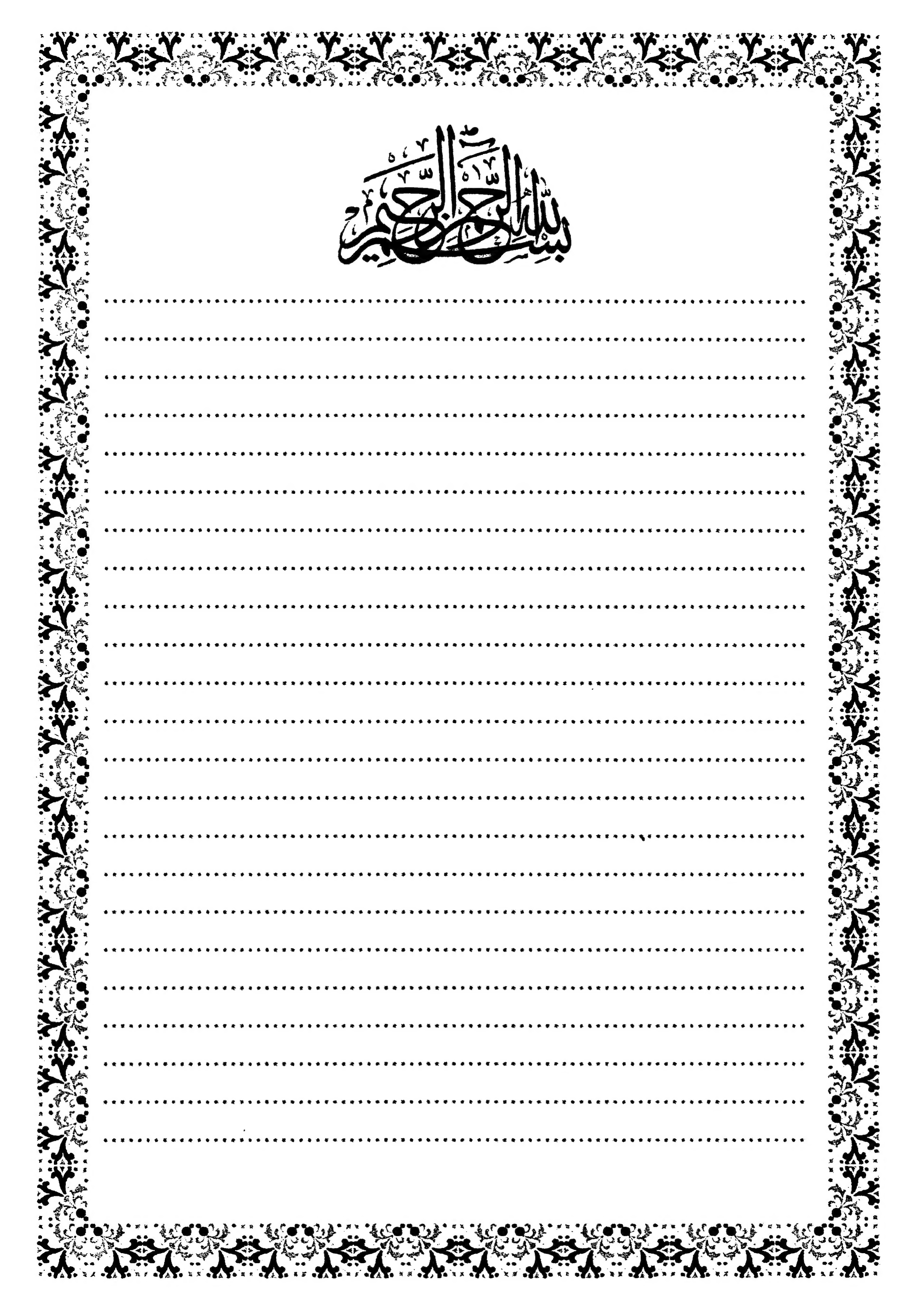
@DarElollaa @DarElollaa
Dar_Elollaa@hotmail.com
الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .
01050144505 - 0225117747
المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .
01007868983 - 0502357979

المدخل إلى كتاب صيد الخاطر

دراسة حديثية تحليلية
حول مرويات كتاب
صيد الخاطر والمخالفات العلمية في فصوله

تأليف
د. أحمد بن مسفر بن معجب العتيبي
محاضر وباحث شرعي
وعضو عامل في الجمعية الفقهية السعودية




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد المبعوثِ إلى خير الأمم، وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربهم، واقتفى أثرهم من ذوي الإيمان والعزم والشِّيم.

أما بعد.. فإن كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رحمه الله تعالى، كتابٌ زاخرٌ بالمرويات والآثار والأخبار.

ففيه: الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة والموضوعة، وفيه الإسرائيليات والأخبار والقصص والحكايات.

وفيه الإسناد العالي والنازل، وفيه صِيَغ الأداء والتحمُّل، والرواية بالنص والرواية بالمتابعات والشواهد، وفيه زيادة الثقة وانفراد الراوي بالرواية، وفيه الحُكم على أحاديث الرواة ونقدها والموازنة بين الراوي ومروياته.

وفيه المرفوع والموقوف والموصول والمقطوع والمرسل، وفيه المتواتر والآحاد، وفيه رواية الثقة والرواية عن المجهول، وفيه الجرح والتعديل، ومعرفة الطبقات وكتب الحديث ورجاله، وفيه نقد المتون ونقد الأسانيد.

لقد اشتمل صيد الخاطر على أكثر من ثلاثمئة حديث وخبر وأثر.

فهذا الكتاب الوعظي الماطر، فيه فوائد من إرث ابن الجوزي وحال بغداد وأهلها وما فيها من عبرة لكل غابر. وهو بحاجة إلى سبرٍ حديثي من جهة مروياته، ومن جهة أسانيده ومن جهة أحكامه، ومن جهة الصناعة الحديثية للمؤلِّف في هذا الكتاب خاصة، ومقارنتها مع كتبه الحديثية الأخرى عامة.

وقد وفقني الله بفضله وجوده وكرمه، فعكفتُ على هذا الكتاب سنينًا طويلة، أبحثُ في مخطوطاته ومطبوعاته ومروياته، وأدرسُ وأحقِّقُ وأستخلصُ مكنوناته، حتى عرفته وخبرته وفهمتُ دقائقه ومقاصده وأحكامه.

ولم أستطع أن أتجاهل مقصد المؤلِّف من تأليف كتابه، فحرَّرتُ سوانحه وخواطره باختصار، لكن كانت المعالم الحديثية هي الأهم في دراستي.

إنَّ كتاب «صيد الخاطر» من الكتب المهمة التي أودع فيها ابن الجوزي عُصارة علمه وتجربته العلمية والوعظية، إضافة إلى ما يزخر به هذا المصنَّف من أسانيد أوردها ابن الجوزي؛ ليبيِّن اهتمامه بالراوي والرواية.

وقد عقد المصنِّفُ عدة فصول في كتابه، يدعو فيها طالب العلم إلى العناية بالمرويَّات وتمحيصها وفق المنهج الصحيح الذي رسمه علماء الحديث قديمًا.

ومن أقواله القيِّمة ما قيَّده في قوله:«... فاللازم في العلم طلب المهم، فرُبَّ صاحب حديث حفظ مثلًا لحديث: «من أتى الجمعةَ فليغتسل» عشرين طريقًا، والحديث قد ثبت من طريق واحد، فشغله ذلك عن معرفة آداب الغُسل»[1].

---

(١) «صيد الخاطر»: (ص / ١٨٨).قلت: هنا تنبيه مهم قلَّ من يتنبَّه له من الباحثين وطلبة العلم وهو: أن الواعظ قد يكون من أهل الحديث، وقد يكون المحدِّثُ واعظًا، بشرط الضبط والعدالة، ولا ضير من اجتماع الفنيين، لكن هذا من النوادر العزيزة .وفي ترجمة «صالح بن بشير المري» المتوفى سنة (١٧٢هـ): بصري واعظ شهير، ضعَّفه ابن معين والدارقطني والعقيلي وابن حِبان، وقال =

ففي هذا النص يُلاحظ التوجيه الوعظي والدرس الحديثي، وهكذا في أكثر خواطره وفصوله.

ومن مظاهر قيمة الكتاب العلمية غرسه لكثير من الحِكم النافعة والأمثال السائرة كقوله: «سيندمُ ابن المديني إذا قال أحمدُ سَلم لي ديني»، وكقوله: «مِن الناس من يُثبت الدليل ولا يفهم المقصود الذي دلّ عليه الدليل».

وقوله: «وقد حُكي لي عن بعض أصحاب الحديث أنه سمع «جزء ابن عرفة» عن مائة شيخ، وكان عنده سبعون نسخة»! [1].

وقد يُورد حكاية مستنكرة أو خبرًا يوضِّحُ فكرةً. مثال ذلك قوله: «ومن هذا الفن «أبو بكر بن مِقسَم»، فإنه عمل كتاب «الاحتجاج للقراء» فأتى فيه بفوائد، إلا أنه أفسد علمه بإجازته أن يُقرأ بما لم يُقرأ به، ثم تفاقم ذلك منه، حتى أجاز ما يفسد المعنى، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗا﴾[2]، فقال: يصلح أن يقال هنا: (نجباء) !.

= أحمد: صاحب قصص، ليس بصاحب حديث، ولا يَعرف الحديث. وقال القلاس: منكر الحديث جدًا، وقال النسائي: متروك. انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٤/٢٧٣) والضعفاء للعقيلي (١٩٩/٢)، والمجروحين لابن حِبان (١/ ٣٧١) والميزان للذهبي (٢٨٩) .

(١) «صيد الخاطر»: (ص / ١٥٤و٣٩٢). وابن عرفة هو: الحسن بن عرفه العبدي، من رجال الحديث، بغدادي مُعمَّر، كان مسند زمانه. توفي سنه (٢٥٧ هـ) رحمه الله تعالى.

(٢) سورة يوسف: الآية (٨٠). وردت اللفظة في النُّسخ المطبوعة (نجيًّا)، ووردت في المخطوطة (نجباء) و (نجيًا). ووردت اللفظة (نجباء) أيضًا ،كما في سياق ترجمته في معجم الادباء (٢٥٠٣/٦).

وهذا سوء فهم للقصة، فإن الذي نُسب إلى السرقة، فظهرت معه ما خلص، فما الذي ينفع خلاصهم؟.. ومن تأمل كتابه رأى فيه من هذا الجنس ما يزيد على الإحصاء، أكثر من هذا الفن القبيح، ولو أنه أصغى إلى علماء وقته، وترك تعظيم نفسه، لبان له الصواب...»[(١)].

فلأجل تحرير هذه المعاني المنيفة، ولأهميتها عند الباحثين وعند أهل الحديث وعلومه، اخترتُ هذا الموضوع، ولأنه من آخر ما صنَّفه ابن الجوزي في العشر الأخير من حياته العلمية، ولأنه لم يتناوله أحدٌ من الباحثين وأهل العلم، سبرًا وتقليبًا لآرائه ومروياته .

وسيجد القارئ في هذا الكتاب، الجواب على السُّؤال المطروح في الأذهان: هل تسوَّر ابن الجوزي على عِلم الحديث، أم لم يكن ضليعًا فيه ؟!.

وبوضوح معالم ابن الجوزي وسبر مروياته في كتاب صيد الخاطر، فإن هذا الكتاب يسدُّ فراغًا في المكتبة الحديثية إن شاء الله تعالى.

إن الهدف الرئيس لهذا الكتاب ، هو سبر واستقراء مرويات ابن الجوزي في صيد الخاطر، على ضوء القواعد والضوابط النقدية والحديثية، مع التعريج على معالم منهجه الوعظي، والوقوف على موارده وشوارده العلمية، والتنبيه على مخالفات الكتاب العقدية والعلمية، من غير تطويل مُمل.

---

(١) «صيد الخاطر» (خاطرة رقم: ٦٩) وابن مِقسَم: مُحَمَّد بن الحسن العطّار، عالم بالقراءات توفي سنة (٣٥٤ هـ) رحمه الله تعالى.

وقد جمعتُ ودرَستُ ولله الحمد مخطوطات الكتاب، وقارنتُ بين عشرين طبعةً من صيد الخاطر، قديمةً كانت أو جديدة، وبيَّنت مزايا الطبعات ومحاسنها، مع نقد ما تيسر منها.

وعند الاستدلال أو الاقتباس أُورد رقم الخاطرة أو رقم الصفحة، لأن الطبعات كثيرة وأرقام الخواطر تختلف أحيانًا، فاستعملتُ المنهجين للتسهيل على القارئ، من أجل الوقوف على الفقرة المعنية بالبحث.

لقد حرصتُ على أن يكون بحثي بحثًا وصفيًا مقرونًا بالتحليل والتعليل وسبر المرويات والأسانيد والأخبار الموقوفة، واستخلاص الفوائد والنتائج منها، وأن يكون لهذا العمل ثمرة علمية وعملية عند الباحثين.

وقد اجتهدتُ في تضيِّيق مساحة البحث، ليكون أجمع وأدق عُمقًا ومضمونًا.

وقد تم تقسيم خطة الكتاب على النحو التالي:

- تمهيد عن أهمية المرويات الشرعية.
- الفصل الأول: التعريف بابن الجوزي.
- الفصل الثاني: التعريف بكتاب «صيد الخاطر» ومنهج المصنِّف.
- الفصل الثالث: المنهج الحديثي في صيد الخاطر.

- الفصل الرابع: المرويات الشرعية في كتاب صيد الخاطر ونقدها.
- الفصل الخامس: المخالفات الشرعية التي نُوقش فيها ابن الجوزي.
- الفصل السادس: أثر المخالفات الشرعية التي نُوقش فيها ابن الجوزي.
- الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات.
- الفهارس العِلمية للكتاب.

والمأمولُ أن يكون هذا البحثُ إن شاء الله تعالى، مدخلًا مهماً لفهم كتاب صيد الخاطر، ووسيلة علمية لمعرفة وفهم منهج مؤلِّفه في فصوله، ومفتاحًا لسبر خواطره ومروياته الحديثية وأسانيده.

وأودُّ أن أُنبِّهُ على ما أفاده ابن الجوزي في أهمية سبر المرويات حين تعقَّب الحاكم (ت: ٤٠٥هـ) رحمه الله تعالى، في كتابه المستدرك: «فإن قوي نظرك ورسختَ في هذا العِلم، فهمتَ مثل هذا، وإن ضعُفتَ فسل عنه، وإن كان قد قلَّ من يفهم هذا، بل عُدم»!.

فلا بد من المجاهدة والمصابرة للظفر ببعض ثمرات العِلم:

فإن تشكَّت فعلِّلها المجَرَّة من ... ضوء الصباح وعِدها بالرَّواح ضُحى (١)

---

(١) الموضوعات: (١/١٠٢). وصيد الخاطر (٥٩).

وختامًا فإنني أشكر الله تعالى، الذي أعانني وسدَّدني لإعداد هذا الكتاب، ثم أشكر والديَّ وأهل بيتي، وشيوخي وأساتذتي واخواني الكرام، الذين أفادوني بنصيحة أو إشارة أو فائدة شاردة.

ومن الله نستمدُّ العون والتوفيق، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



تمهيد

أهمية المرويات الشرعية ومصادرها، وأساليبُ الإفادة منها في الميدان العلمي

أولًا: أهمية المرويات الشرعية في الميدان العلمي:

المرويات الشرعية هي لُبّ التراث الإسلامي، وهي ركيزة من ركائز البحث الأصيل الذي يقرع عقل وقلب القارئ النَّهِم. وقد اعتمد العلماء سلفًا وخلفًا في تصانيفهم، على المرويات الشرعية، سواء كانت روايات مرفوعة أو روايات موقوفة.

و **المرويات**: جمع، مفردها «مَرويّ»: أي الحديث أو الأثر اللَّذان رُوِيا في باب من أبواب العلم. والمرويات تُعرف حقيقتها من علم الدراية لا من علم الرواية؛ **لأن علم الحديث قِسمان:**

أ: علم الرواية: وهو علم يُعلم به أحْوَال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأفعاله وتقاريره، وضبطها، وروايتها، وتحرير ألفاظها.

ب: علم الدراية: وهو علم تُعرَفُ به أنواع الرواية وأحكامها، وشروط الرواة، وأصناف المروَيات، واستخراج معانيها(١).

والمقصود بالأثر: ما روي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو عن صحابي، أو عن تابعي ومَن بعده من السلف. وهو يقابل الخبر، فمن يشتغل بعلم السلف يقال له: الأثري، ومن يشتغل بالتاريخ يقال له: الإخباري(٢).

---

(١) طاهر الجزائري «توجيه النظر إلى أصول الأثر»، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ (ص / ٢٣).

(٢) انظر: قفو الأثر لابن الحنبلي (ص/٣٥-وما بعدها) وهو مفيد جدًا في بيان معاني الأثر، طبعة دار المطبوعات الإسلامية- الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، ومُحَمَّد الأعظمي: «معجم مصطلحات الحديث»، دار أضواء السلف - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ: (ص / ٨).

وقال بعض أهل العلم: «الأثر» خاص بما جاء عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، و«الحديث» لما جاء من رسول الله ﷺ، و«الخبر» لما جاء من تاريخ الملوك والأمراء وأفراد الأمة[١].

ومن أظهر الدلائل المبَيِّنة لأهمية المرويات الشرعية، تقسيم جهابذة المحدثين لأنواع تحمُّل الحديث، وتوضيحهم لفنون كتابته وسماعه وعرضه إلى طرق ثمانية:

الأولى: السماع.

الثانية: العرض.

الثالثة: الإجازة.

الرابعة: المناولة.

الخامسة: المكاتبة.

السادسة: إعلام الشيخ أن هذا الكتاب سمعه من فلان.

السابعة: الوصية.

الثامنة: الوجادة[٢].

---

(١) الأعظمي: «معجم مصطلحات الحديث» (ص / ٨).

(٢) ابن حجر: «نخبة الفكر» – دار القلم – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ (ص / ١٣٥).

فهذه الطُّرق المتينة في ضبط المرويات تدلّ على عناية أهل العلم بالرواية سماعًا وعرضًا وكتابةً، وهي شواهد على غزارة التراث الإسلامي في فني الرواية والدراية تنقيحًا وتحقيقًا وتوثيقًا[١]. وقد أجاز المحدثون لمن وجد كتابًا بخط إنسان معروف، أن يرويه عنه بصيغة لا توهم اللقاء، فيقول الراوي: وجدتُ، أو قرأتُ بخط فلان، أو يقول: وجدتُ في كتاب فلان: حدثنا فلان.

إن المرويات الشرعية شهدت غربلة واسعة لتمْيِيز الصحيح منها من السقيم، وزيادة في حفظ التراث الإسلامي الذي لا يستغني عنه عالم ومتعلم. وقد قال الإمام أحمد-رحمه الله تعالى-: «الحديث إذا لم تُجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يُفَسّر بعضه بعضًا».

ونحو هذا قال يحيي بن معين-رحمه الله تعالى-: «لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجهًا ما عقلناه»[٢].

ومن أظهر الأدلة على عناية أهل العلم بالمرويات الشرعية، ما رقمه الخطيب البغدادي-رحمه الله تعالى- في كتابه «الكفاية» حيث قال: «ولولا عناية أصحاب الحديث، وضبط السُّنن، وجمعها واستنباطها من معادنها،

---

(١) وللقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤ هـ) كتاب نفيس بعنوان «الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع» (رقم فيه فوائد وفرائد في هذا الموضوع لا تكاد توجد إلا في كتابه).

(٢) الخطيب البغدادي: «الجامع لأخلاق الراوي» - دار الرسالة - الطبعة الأولى - ١٤٠٤هـ: (ص / ٢/ ١٢).

والنظر في طرقها، لبطلت الشريعة، وتعطلت أحكامها، إذ كانت مستخرجة من الآثار المحفوظة، ومستفادة من السنن المنقولة»[١].

والآثار والسُّنن التي أشار إليها الخطيب البغدادي(ت: ٤٦٣هـ) رحمه الله تعالى، هي التي رحل إليها طلبة العلم من المحدثين وغيرهم، وجهدوا في تحصيلها بالإسناد العالي الذي قلّ رجال إسناده. وقد استحب العلماء طلب العلو لبعده عن الخلل في الإسناد. ومما يؤثر عن الإمام أحمد-رحمه الله تعالى- قوله: «طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف؛ لأن أصحاب عبد الله كانوا يرحلون من الكوفة إلى المدينة فيتعلمون من عمر ويسمعون منه». وقد قيل لابن معين-رحمه الله تعالى- في مرض موته: ما تشتهي؟ فقال: «بيتٌ خالٍ، وإسنادٌ عالٍ»[٢].

ومن أظهر الأدلة على أهمية المرويات الشرعية أنك لا تكاد تجد كتابًا في باب العقيدة الإسلامية إلا وقد ضمَّ بين دفتيه مجموعة زاخرة من مرويات الاعتقاد المستمدة من الوحيين والآثار الموقوفة الصحيحة، ككتاب «التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ»، لأبي بكر بن خزيمه، و«الاعتصام» للشاطبي،

---

(١) الخطيب البغدادي: «الكفاية في علم الرواية» - دار الرسالة - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ: (ص / ٢٣٦).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب: (ص / ١/ ١٢٣). هذا على جهة الحكاية. ومناسبة السِّياق: أشتهي بيتًا خاليًا وإسنادًا عاليًا.

و«الإيمان» لابن أبي شيبة، و«الإبانة الكبرى»، لابن بطة، و«الإيمان» لابن منده، و«السُّنة» لابن أبي عاصم، و«اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»، لابن قيم الجوزية رحمهم الله جميعًا.

ففي هذه المصنّفات مجموعة متينة من المرويات الشرعية التي تُعَدّ ثروة عظيمة لتقرير الاعتقاد الصحيح، ومقارعة أهل الضلال والغواية من الفِرق المنحرفة عن صراط الله وسبيل المؤمنين[(١)].

وهناك مذهب من مذاهب التفسير التي تقرِّر معاني الآيات بالمرويات المعتمدة عند أرباب التفسير، وهذا التفسير هو التفسير بالمأثور. وجُلّ الاعتماد فيه على المرويات والآثار التي رويت بالأسانيد عن جهابذة ذلك الفنّ. وهذا التفسير من أقرب التفاسير التي يعتمد عليها طلبة العلم سلفًا وخلفًا، لثبوت صحة أسانيدها في الغالب، ولقوة حجج المرويات إلا ما ندر. ومن أشهر

---

(١) أخرجه السيوطي في «الإتقان»: (١/ ١١٣)، وفي «الدر المنثور»: (٢/ ٣٢٣): أخرج ابن سعد أن عليًا قال لابن عباس: اذهب إليهم - يعني الخوارج - ولا تخاصمهم بالقرآن، فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة، فقال له: أنا أعلم بكتاب الله منهم، فقال صدقت: ولكن القرآن حَمَّال وجوه.

وانظر: «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي: (٢/ ٨٠) فقد نسبها إلى عليّ.

قلت: ما أجمل قول الحسن البصري حين قال: «من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقُّل»! فإن الاعتقاد الصحيح هو المبني على الأثر والدليل، ويكون برهانًا بين العبد وربه، ويسلم دين المرء من الشبهات والغوائل.

تفاسير هذا المذهب: «جامع البيان في تفسير القرآن» للسيوطي، و«تفسير ابن أبي حاتم» رحمهم الله جميعًا [١].

ولا يخفى على كل لبيب أنَّ عمدة المرويات الشرعية هي المصنفات الحديثية: كالصِّحاح، والسُّنن، والمسانيد، والمعاجم، والأجزاء الحديثية الأخرى المكَمِّلةِ للمطولات الحديثية.

فهذه المصنفات الجليلة اشتملت على مهمات أصول الدين والعلم والفقه. وما من كتاب من كتب العلم والوعظ، إلَّا وقد اتخذ تلك المصنفات حجة ونبراسًا، يتحاكم أصحابها إلى ألفاظ تلك المصنفات ومعاني الحق فيها.

ومن اللطائف التي يحسن سياقها في هذا المضمار، أنه لما تناظر مُحَمَّد بن الحسن مع الإمام الشافعي في حضرة الخليفة هارون الرشيد، في مسألة «اليمين»، واستفهم مُحَمَّد بن الحسن من الإمام الشافعي مستنكرًا وقال: «وأين لكم ردّ اليمين؟ قال الشافعي: سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال مُحَمَّد بن الحسن: وأين؟، قال الشافعي: قصة حويّصة ومحيّصة وعبد الرحمن حين قال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة القتيل: تحلفون وتستحقون دم صاحبكم، قالوا: لم نشهد ولم نعاين، قال: فيحلف لكم يهود، فلما أن نكلوا ردّ اليمين إلى

(١) انظر: «التفسير بالمأثور ومنهج الطبري» (رسالة ماجستير - جامعة الأزهر - كلية أصول الدين - ١٩٧١م - للباحث: عبد الرحيم أحمد سراج).

اليهود[١]، قال: محمد بن الحسن: إنما كان ذلك استفهامًا من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الشافعي: يا أمير المؤمنين، هذا بحضرتك يزعم أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستفهم من اليهود. فقال الرشيد: ثكلتك أمك يا ابن الحسن، رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستفهم من اليهود؟!، نطع وسيف.

قال الشافعي: فلما رأيتُ الجدّ من أمير المؤمنين، قلتُ: مهلًا يا أمير المؤمنين فإن الخصمين إذا اجتمعا تكلم كل واحد منهما بما لا يعتقده ليقطع به صاحبه، وما أرى أن محمدًا يرى نقصًا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢].

إن البحث العلمي مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمرويات الشرعية، إذ الرواية الصحيحة هي زاد المتعلم والباحث وقِرى المتلقي، ولا تستقيم الموعظة الشرعية والدرس العلمي إلَّا بالتأسِّيس على ضوء فقه المرويات المحكمة، من الصحيح الذي جمعته النقلة قرنًا بعد قرن.

---

(١) (متفق عليه) أخرجه البخاري: «الجامع الصحيح» – دار الرسالة – الطبعة الأولى – ١٤٢٩هـ: (كتاب الجزية والمصالحة – باب الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره – رقم الحديث: ٣٧٣) وأخرجه مسلم «الجامع الصحيح» – دار الرسالة – الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ: (كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات – باب القسامة – رقم الحديث: ١٦٦٩. وأخرجه النسائي – طبعة دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – ١٤٠٥ هـ: كتاب القسامة – باب تبرئة أهل الذم في القسامة – رقم الحديث ٤٧١٤).

(٢) الحموي: «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب» – دار الرسالة – الطبعة الثانية – ١٤١٩هـ –: (٦/ ٢٣٩٩).

إن أهل العلم المخلصين الصادقين، هم الذين يبلغون رسالات الله قولًا وعملًا، متخذين العلم الموروث عن المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مصباحًا يُضيء لهم دياجير الجهل وكهوف الغفلة، وهذا ديدنهم وشأنهم حتى الوفاة.

ولما ظهر بعضُ أهل العلم في بعض المناطق، يعظون المسلمين، ويزهِّدون في الدنيا، ويرغِّبون في الآخرة، من غير اتباع للسُّنة ولا تذكير بآثار من سلف، باتت طريقتهم مرتعًا للتصوف، وميدانًا للبدعة، وأورث ذلك ظهورًا للدروشة في الزوايا والتكايا، وصولة للخرافات والجهالات التي رزح المسلمون تحت لظاها -وما زالوا- حتى نرجع إلى ديننا وطريقة نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فيفتح الله قلوبنا بنور العلم والهداية، ونبلِّغ دين الله كما أمر الله تعالى[1].

ليس أدلّ على أهمية المرويات الشرعية -في أبواب البحث العلمي- مِنْ تَصدِّي جهابذة العلماء لمواطن الضعف والخلل في الرواة وناقلي الأخبار. وقد بيَّن الإمام مسلم رحمه الله تعالى هذا المنهج، حين قال: «وإنما ألزموا أنفسهم الكشف عن معايب رواة الحديث، وناقلي الأخبار، وأفتوا بذلك حين سئلوا لِما فيه من عظيم الخير؛ إذ الأخبار في أمر الدِّين إنما تأتي بتحليل أو تحريم، أو أمر أو نهي، أو ترغيب أو ترهيب، فإذا كان الراوي لها ليس بمعدن للصدق والأمانة، ثم أقدم على الرواية عنه من قد عرفه ولم يبين ما فيه لغيره ممن

---

(١) صالح المقبلي: «العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ» - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ: (ص /١١٢ - ١١٢٠).

جهل معرفته، كان آثمًا بفعله ذلك، غاشًا لعوام المسلمين؛ إذ لا يؤمن على بعض من سمع تلك الأخبار أن يستعملها أو يستعمل بعضها، ولعلها أو أكثرها أكاذيب لا أصل لها، مع أن الأخبار الصحاح من رواية الثقات وأهل القناعة، أكثر من أن يضطر معها إلى نقل من ليس بثقة ولا مقنع»[١].

إن الجهود العلمية التي بُذلت-وما زالت- لتميِّيز المرويات وغربلتها ومعرفة رجالها، دليل قائم بمتانة وغزارة ذخائر التراث الإسلامي، وقد قال شعبة: «كل حديث ليس فيه «أنا» و«ثنا» فهو خلٌّ وبقلٌ»[٢]، يعني أن المرويات الخالية من (أخبرنا) و(حدثنا) لا قيمة لها ولا وزن. ومما يؤثر عن ابن سيرين: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمُّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[٣].

---

(١) الإمام مسلم القشيري: «مقدمة صحيح مسلم» (١/ ٢٨). وقد وضَّح هذه المسألة أتمّ توضيح الإمام عبد الوهاب السبكي (ت: ٧٧١هـ) في كتابه الماتع «قاعدة في الجرح والتعديل»: (ص/ ٣٠) فقال نقلًا عن ابن دقيق العيد: «أعراض المسلمين حفرة من حفر النار، وقف على شفيرها طائفتان من المسلمين: المحدثون والحكام».

(٢) «الخطيب البغدادي: الكفاية» (ص / ٢٨٢).

(٣) «مقدمة صحيح مسلم»: (١/ ٨٤)، و«المحدث الفاصل» للرامهرمزي: (ص / ٢٠٩).

قلت: هنا فائدة مهمة قلَّ من يتفطَّن لها من الباحثين، وهي التفريق بين غربلة الأحاديث وبين غربلة الأخبار. فكل الآثار يجب فحصها من ناحية الإسناد والاتصال والإنقطاع، سواء كانت أحاديثًا أو أخبارًا. لكن الأخبار والقَصص لا يتُشدَّد في غربلتها تشدد الأحاديث، إلا أخبار العقائد والأحكام. ولهذا تجد في آخر كتب آداب الحديث عند المحدِّثين ما يُعنون له بـ (ما لا يفتقر كتبه

=

ومن محاسن ابن الجوزي ومناقبه تصنيفه لكثيرٍ من الدواوين التي اعتنت بالمرويات وفحص الأسانيد، سواء في الكتب الوعظية أو الحديثية أو الفقهية. وأشهر ما رقمه في هذا الباب **كتابان**:

الأول: «جامع المسانيد».

والثاني: «تلبيس إبليس».

فأما «جامع المسانيد» فقد استوعب فيه غالب ما في الصحيحين وجامع الترمذي ومسند أحمد من أحاديث. وقد رتَّب مرويات هذه الكتب الحديثية الأربعة على أسماء الرواة، مراعيًا في ذلك حروف المعجم.

وقد طبع الكتاب في ثمانية مجلدات. وقد بلغت مروياته أربع آلاف رواية.

= إلى الإسناد). انظر: الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي (٢/٣١٦) وطبقات المدلسين لابن حجر(ص ٢٢٠-وما بعدها)، وفيه فوائد مهمة عن الإخباريين والزهاد ورواياتهم والحُكم على حالهم .ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٧٠-٧٧)، ودراسات تاريخية لأكرم ضياء العمري(ص/٢٧) وفيه: «اشتراط الصحة الحديثية في قبول الأخبار التاريخية التي لا تمس العقيدة والشريعة، فيه تعسُّف كثير»، والمختصر في علوم التاريخ للكافيجي (ص/٣٢٦) وفيه: «يجوز للمؤرِّخ أن يروي في تاريخه قولًا ضعيفًا في باب الترغيب والترهيب والاعتبار مع التنبيه على ضعفه، لكن لا يجوز ذلك في ذات الباري وفي صفاته ولا في الأحكام»، وانظر بحثًا نافعاً في مجلة جامعة تكريت بعنوان: قواعد تحليل الروايات التاريخية (مجلد: ١٨عدد ٩: تشرين ٢٠١١م).

وأما «تلبيس إبليس» فهو من الكتب التي أكثر فيها ابن الجوزي من الأحاديث والآثار الواردة عن السلف في التحذير من مكايد الشيطان ومصايده. وبيَّن فيه مظاهر تلبيس إبليس على أصحاب العقائد والديانات، وكذلك تلبيسه على أهل العلم وغيرهم من العُبَّاد والزُهَّاد. وقد بلغت مروياته زهاء خمسمائة رواية. وقد طبع طبعات كثيرة، وللحافظ ابن حجر-رحمه الله تعالى- مختصر لهذا الكتاب أسماه: «مختصر تلبيس إبليس»(١).

ثانيًا: مصادر المرويات الشرعية:

التدوين الرسمي للمرويات الشرعية بدأ في عهد «عبد العزيز بن مروان» -أمير مصر- عندما طلب من «كثير بن مُرَّه الحضرمي»-أحد أعلام التابعين في حِمِص- أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من أحاديثهم، وكان ذلك في حدود سنة (٧٤ هـ)(٢). وفي عهد «عمر بن عبد العزيز» اعتنى أهل العلم بكتابة المرويات الشرعية، فقد كتب «عمر بن عبد العزيز» لأهل المدينة: «انظروا حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاكتبوه، فإني خفتُ دروس العلم وذهاب أهله»(٣).

---

(١) «تلبيس إبليس» طبع طبعات كثيرة، وقد صدر عن مدار الوطن طبعه مجودة ومحقَّقة للشيخين: أحمد المزيد وعلي السحيباني، وهي في الأصل رسالة علمية قُسمت بينهما. وقد طبعت الرسالة سنة (١٤٢٣ هـ). وللفائدة فإن أول طبعة لكتاب «تلبيس إبليس» كانت في الهند، سنة (١٣٢٣هـ) وكانت طبعته طبعة حَجرية.

(٢) ابن سعد: «الطبقات الكبرى» - دار الفكر - الطبعة الثالثة - ١٤١٥هـ: (١/ ٢١٢).

(٣) الدارمي: «السُّنن» - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ: (١/ ١٢٦).

وفي رواية: «فإني خفتُ دروس العلم، وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليفشو العلم، وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًا»[١].

وفي مطلع القرن الثاني الهجري، ظهرت ثمرة النشاط العلمي لتصنيف المرويات الشرعية، وكان من أينع تلك الثمرات «الموطأ» للإمام مالك بن أنس. وقد مكث في تصنيفه أربعين سنة، جمع فيه الأحاديث المرفوعة والمرسلة والبلاغات، وقد بلغت مروياته عشرين وسبعمائة وألف رواية[٢].

ثم أعقب ذلك ظهور الأصول الستة التي جمعت أكثر المرويات الشرعية، وهي:

١- الجامع الصحيح / للإمام البخاري.

٢- الجامع الصحيح / للإمام مسلم.

٣- الجامع المختصر من السُّنن / للإمام الترمذي.

٤- السنن / للإمام أبي داود.

٥- السنن / للإمام ابن ماجة.

---

(١) أخرجه البخاري: (كتاب العلم - باب كيف يُقبض العلم) أثر رقم (٣٤).

(٢) الدهلوي: «المسوَّى شرح الموطأ» - دار التراث - الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ: (ص / ٢٧).

٦- السنن / للإمام النسائي[١].

لقد اشتهرت هذه الأصول الستة في جمعها للمرويات الشرعية ؛ لأنها حفظت سُنَّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآثاره وآثار أصحابه، وأقوال أئمة التابعين. وأفاد منها أهل العلم قرونًا طويلة-وما زالوا- يعبُّون من معانيها، ويرتشفون من رحيقها. وأكثر أهل العلم يضمُّون إلى الأصول الستة السابقة، مسند الإمام أحمد-رحمه الله تعالى-، ويصطلحون على ذلك بقولهم: «رواه الجماعة»[٢]. ومن مصادر المرويات الشرعية الأصلية: «المصنَّف» لعبد الرزاق الصنعاني، و«المصنَّف» للعتكي، و«المصنَّف» لابن أبي شيبة. وهذه المصنَّفات مرتَّبة على الأبواب الفقهية، وقد اشتملت على الأحاديث المرفوعة، والموقوفة، والمنقطعة، والمرسلة، وفتاوى الصحابة والتابعين.

ولا يخفى على من له أدنى دراية بعلم الحديث أنَّ جهابذة هذا العلم قَسَّموا عصر الرواية إلى خمس طبقات، وهي: عصر الصحابة، عصر التابعين، عصر أتباع التابعين، عصر أتباع أتباع التابعين، عصر أتباع أتباع أتباع التابعين. وتنتهي هذه الطبقات الخمس حتى نهاية القرن الثالث؛ لأن المرويات المنتشرة في

---

(١) انظر نبذةً لطيفةً عن هذه المصَّنفات في كتاب الإمام النَّووي «إرشاد طُلاَّب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق»، وكتاب «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي» للسيوطي، و«الرسالة المستطرفة لبيان مشهود كتب السنة المشرفة» للكتاني.

(٢) الخميسي: «معجم علوم الحديث» - دار الأندلس الخضراء - الطبعة الأولى - ١٤٠١هـ: (ص / ١١٤).

الآفاق قد جمُعت، ودوِّنت في الكتب بانتهاء هذه الفترة، ولكن لا يعني هذا انتهاء عصر الرواية كليًا، فإن الرواية قد استمرت إلى نهاية القرن الخامس، والسبب في ذلك أنه وجدت مرويات عند البيهقي، والخطيب، وأبي نعيم، وابن عبد البر، لم تدَّون من قبل[١].

وخلاصة القول أن كتب الصِّحاح والسُّنن والمسانيد والمستدركات وكتب الآثار، التي صُنِّفت منذ القرن الأوّل وحتى القرن الخامس الهجري، كلها مصادر أصيلة لمعرفة المرويات الشرعية المرفوعة والموقوفة[٢].

ومن أشهر مصادر المرويات الشرعية ما اصطلح على تسميته بـ «الزوائد»: وهي الأحاديث الزائدة على كتب معينة، ويكون مدار ذلك على اختلاف الصحابي، لا على مجرد اختلاف الألفاظ.

وأشهر كتب الزوائد ثمانية:

١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / لعليّ الهيثمي.

---

(١) «معجم مصطلحات الحديث» للأعظمي: (ص / ٢٨٦).

(٢) إن الوقوف على مصادر الآثار من أهم الواجبات المناطة بطالب العلم في سبيل نشر رسالة الإسلام السمحة، وكان ابن مهدي أحد علماء الحديث يقول: «لأن أعرف عِلّة حديث هو عندي، أحبّ إليّ من أن أكتب عشرين حديثًا ليس عندي». ومن أشهر الكتب التي عنيت بالآثار كتاب «معرفة السنن والآثار» للبيهقي، و«تهذيب الآثار» للإمام الطبري و«الآثار» لمحمد بن الحسن الشيباني، و«جامع الآثار» لمحمد أشرف التهانوي، و«شرح معاني الآثار» للطحاوي.

٢- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان / لعليّ الهيثمي.

٣- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث / لعليّ الهيثمي.

٤- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة على الكتب الخمسة / للبوصيري.

٥- إتحاف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة / للبوصيري.

٦- فوائد المنتقى لزوائد البيهقي في سننه الكبرى على الكتب الستة / للبوصيري.

٧- المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية على الكتب الستة ومسند أحمد / للحافظ ابن حجر.

٨- زوائد الأدب المفرد على الكتب الستة / للحافظ ابن حجر[(١)].

إنَّ الذي يتأمَّل في قول أبي زرعة الرازي: «كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، قيل له: وما يدريك؟

قال: ذاكرته فأخذتُ عليه الأبواب»[(٢)].

---

(١) عبد السلام علوش: «علم زوائد الحديث» - دار الفكر - الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ: (ص / ٤٣ - ٤٥).

(٢) ابن الصلاح: «النكت على كتاب ابن الصلاح» - دار الفكر - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ: (١/ ٢٦٨).

وفي قول يحيي بن معين: «كتبتُ بيديَ ألف ألف حديث»[1]، ليدرك أنَّ المرويات الشرعية الواسعة لم تتهيأ لهؤلاء الجهابذة إلا بالحفظ والمذاكرة والتدوين ومثافنة الشيوخ في شرق المعمورة وغربها. ولهذا السبب قال الحافظ ابن حجر: إنَّ شروط التسمية بالحافظ **ثلاثة**:

١- الشهرة بالطلب والأخذ من أفواه الرجال، لا من الصُّحف.

٢- المعرفة بطبقات الرواة ومراتبهم.

٣- المعرفة بالتجريح والتعديل، وتمييز الصحيح من السقيم، حتى يكون ما يستحضره من ذلك أكثر مما لا يستحضره، مع استحضار الكثير من المتون[2].

والمرويَّات على أقسام:

أ: مرويات من الوحيين. ب: مرويات عن أهل الكتاب.

ج: مرويات الصحابة. د: مرويات التابعين.

فمرويات الوحيين إما أن تكون حديثًا قدسيًا، كقول الله عَزَّوَجَلَّ: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح: (١/ ٢٦٨).

(٢) النُّكت على كتاب ابن الصلاح: (١/ ٢٦٨).

قَلْبِ بَشَرٍ»[١]، وإما أن تكون مرفوعة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كقوله: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين...»[٢]. ولكلٍ منهما أحكام وقواعد تُنْظر في مَظانِّها.

وهناك مرويات عن أهل الكتاب، يجوز لنا أن نُحدِّث بها من غير تصديق ولا تكذيب لها، إلَّا ما وافق شرعنا فنؤمنُ به ونصدِّقه ونحدِّث به. وفي الحديث: «ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم، وقولوا: آمنا بالله ورسله، فإن كان باطلًا لم تصدِّقوه، وإن كان حقًّا لم تكذِّبوه»[٣].

وفي الحديث أيضًا: «بلِّغوا عنِّي ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[٤]. وللحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- تأصيل جيِّد لهذه المسألة أورده في كتابه الماتع «فتح الباري»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري: (كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة - «رقم الحديث ٣٢٤٤»)، وأخرجه مسلم: (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب صفة الجنة - «رقم الحديث ٢٨٢٤»).

(٢) أخرجه البخاري: (كتاب العلم - باب تعليم الرجل أمته وأهله - «رقم الحديث ٩٧»)، وأخرجه مسلم: (كتاب الإيمان - باب وجوب الإيمان برسالة نبينا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جميع الناس - رقم الحديث «١٥٤»).

(٣) أخرجه أبو داود: «السُّنن» - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ (كتاب العلم)..

(٤) أخرجه البخاري: (كتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل - «رقم الحديث ٣٤٦٠»)، وأخرجه الترمذي: (كتاب العلم - باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل - رقم الحديث ٢٦٦٩) وإسناده صحيح.

(٥) ابن حجر: «فتح الباري» - بيت الأفكار الدولية - الطبعة الأولى - ١٤٢٨هـ: (٧١٩٤).

أما مرويات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَيُقْصد بها: أقوالهم وأحكامهم التي نطقوا بها، وهي ممَّا لا مجال فيه للرأي والاجتهاد، ولها حُكم الرفع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاستدلال بها وقوة الاحتجاج. والراسخون من العلماء في الأصول يقيّدون هذا الحكم بألَّا يعرف عن الصحابي الأخذ من الإسرائيليات.

ومن البديهي عند الأصوليين: أنَّ قول الصحابي إذا اشتهر ولم يخالفه أحد من الصحابة ،صار إجماعًا وحجة عند جماهير العلماء(١).

وقد انتصر لهذا الرأي شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ)رحمه الله تعالى، في مواضع عديدة من مصنَّفاته(٢). وأكثر أهل العلم يستدلون على حجية قول الصحابي بقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾(٣).

وبما جاء في الصحيحين مرفوعًا: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه»(٤)، ومن الأمثلة على أقوال

---

(١) ابن تيمية: «المسوَّدة في أصول الفقه» - دار التراث - الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ: (ص/ ٣٣٥).

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (٢٠/ ١٤)، و«المسوَّدة»: (ص / ٣٣٥).

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

(٤) أخرجه البخاري: (كتاب فضائل الصحابة - باب قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لو كنت متخذًا خليلًا» - «رقم الحديث ٣/ ٣٦١») - ومسلم: (كتاب فضائل الصحابة - باب تحريم سبّ الصحابة - «رقم الحديث ٢٥٤١»).

الصحابة، قول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدِّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله؟»[١]، وقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا»[٢].

ومرويات التابعين الغالب فيها أنها مستفادة من أقوال الصحابة مع زيادة معنى أو تعليق فائدة أو توضيح خفيّ. لكن أهل العلم لا يسلِّمون بعصمتها وقبولها إذا عارضت الوحي أو أحكام الشريعة. وكان الإمام مالك يقول: «كل يؤخذ من قوله ويردّ عليه إلا صاحب ذلك القبر»[٣].-يقصد الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. ولا يخفى على مَن له أدنى اطلاع وسبر لتقاسيم المحدثين أنَّ التابعين مُقسَّمون إلى ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: كبار التابعين: كسعيد بن المسيب، وبقية الفقهاء السبعة وهم: القاسم بن مُحَمَّد، وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد، وأبو سلمه بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وسليمان بن يسار، وغيرهم ممن رووا عن كبار الصحابة.

---

(١) أخرجه البخاري: (كتاب العلم - باب من خصّ بالعلم قومًا دون قوم - «رقم الأثر ١٢٧»).

(٢) «فتح المجيد»: (ص / ٥٨٢) وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (٨/ ٤٦٩) والطبراني في الكبير (٨٩٠٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٤/ ١٧٧) رواته رواة الصحيح.

(٣) «فتاوى السبكي»: (١/ ١٤٨) وفيه أنَّ هذه العبارة نقلها مجاهد عن ابن عباس، وأخذها مالكٌ عنهما واشتُهِرت عنه.

الطبقة الثانية: الطبقة الوسطى من التابعين، كالحسن، وابن سيرين.

الطبقة الثالثة: طبقة صغار التابعين الذين حدثوا عن صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم.

ويرى بعضُ أهل العلم أن آخر عصر التابعين يكون في حدود خمسين ومائة من الهجرة[١].

وهنا قاعدة نفيسة يجب التنبيه عليها، وهي أنَّ مصادر المرويات الشرعية، لا يجب الجزم بقبولها إلا إذا كان الإسناد ثابتًا مقبولًا. بل إن الإسناد من خصائص هذه الأمة المحمدية. وما أجمل قول عبد الله بن المبارك: «لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[٢].

ولما كثرت الأسانيد واختلطت، عكف جهابذة المحدثين على استخراج أصح الأسانيد. ومما يؤثر عن الإمام البخاري قوله: «أصح الأسانيد كلها: مالك، عن نافع، عن ابن عمر». وهذا الإسناد يطلق عليه سلسلة الذهب، لاجتماع الأئمة الثلاثة في هذا الإسناد[٣]. وللحاكم والسخاوي لطائف حسنة في بيان أصح الأسانيد لا غِنى لطالب العلم عن النظر فيها والإفادة منها[٤].

---

(١) «محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح» للبلقيني: (ص / ٤٥٥ - وما بعدها).

(٢) «الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي (ص / ٢٨٢).

(٣) السخاوي: «فتح المغيث شرح ألفية الحديث» - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى: (١/ ٢٣).

(٤) الحاكم: «معرفة علوم الحديث»: (ص / ٥٥ - ٥٨)، وللسخاوي: «فتح المغيث» (١/ ٢٤).

والتحرِّي في صحة المرويَّات وضبطها، والوقوف على مرفوعها وموقوفها، من ضروريات البحث العلمي، وهو مطلب منيف في أبواب الميدان العلمي الحديثي. فالباحثُ من أحوج الناس إلى النزاهة في صحة ما يَروي، ولا يستقيم الدرس العلمي إلا بتسديد القول وإصابة الحق.

وهذا المعنى جاء في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أتيتَ مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقِّك الأيمن ثم قل «اللهم أسلمتُ وجهي إليك، وفوضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت»، فإن مت من ليلتك، فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلَّم به». قال: فردَّدْتُها على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك. قال: «لا، وبنبيِّك الذي أرسلت»(١).

فهذا الحديث الجليل يُستفاد منه أهمية تصويب المرويات، وتحري الدقة في تبليغها، والحذر من الشطط في ألفاظها ومعانيها.

---

(١) أخرجه البخاري: (كتاب الوضوء - باب فضل من بات على الوضوء - «رقم الحديث: ٢٤٧»)، وأخرجه مسلم: (كتاب الذكر والدعاء - باب الدعاء عند النوم - «رقم الحديث: ٢٧١٠»).

ثالثًا: أساليب الإفادة من المرويّات في الميدان العلمي:

إنَّ واجب البحث العلمي الحديثي، يحتِّم على المسلم المتأهِّل لتبصير الناس، أن ينظر في المرويَّات ويتأمل في الطرق الملائمة لتقريبها والإفادة منها للحصول على خيري الدنيا والآخرة.

إنَّ الإفادة من المرويات الشرعية، من لوازم نجاح المسيرة العلمية الحديثية وتفوقها ونفوذها. بل إنَّ المدعو -إلى إصلاح قلبه وآخرته- لا يتأثر بالدرس الوعظي والعلمي، إذا كان خاويًا من المرويات المناسبة التي تخاطب جوارحه ومشاعره، وتلامس مواضع الخلل في نفسه وسلوكه. وقد قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ٣٢﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ﴾[3].

---

(١) سورة الحشر: (الآية٢١)

(٢) سورة القمر:(الآية ٣٢).

(٣) سورة سبأ: (الآية ٤٦).

إنَّ أساليب الإفادة من المرويات عديدة، ومن أهمِّها:

أ: التعرف على مواضيع المرويات:

يَجْدُرُ بطالب العلم أو الباحث أن يتعرَّف على مواضيع المرويات الشرعية، ليتمكَّن من فهمها وتوظيفها في المجالات المناسبة. فلو وقف على كتابٍ في تهذيب الأخلاق وفي جزء منه مرويات بأسانيدها، كقول الفضيل بن عياض: «إذا رأيتَ مبتدعًا في طريق فخذ في طريق آخر، ولا يرتفع لصاحب البدعة إلى الله عَزَّوَجَلَّ عمل، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام»(١) وكقول سفيان الثوري: «إياك والأهواء، وإياك والخصومة، وإياك والسلطان»(٢)، وكقول الأوزاعي: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك ورأي الرجال وإنْ زخرفوه لك بالقول، فإنَّ الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم»(٣)، فإنه يهتدي إلى موضوعها من خلال فحوى كل أثر منها، ويفيده ذلك في معرفة العودة إلى المصادر الأصيلة التي اقتبست منها تلك المرويات.

---

(١) أخرجه ابن الجوزي بإسناده في «تلبيس إبليس»: (١/ ١٢٢)، وانظر: «حلية الأولياء»: (١/ ١٢٢).

(٢) أبو نعيم: «حلية الأولياء» – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى –: (٧/ ٢٨).

(٣) الخطيب البغدادي: «شرف أصحاب الحديث» – دار القلم – الطبعة الأولى – ١٤٠٦هـ: (ص / ٧).

فمواضيع تلك الآثار: (البدعة والتحذير من الأهواء). ومواضيع البدعة مفردة في الكتب المصنفة في التحذير من الأهواء وخطر الابتداع، والحث على لزوم الجماعة. ويقاس على هذا المثال: المرويات الأخرى في الجانب الوعظي، والترغيب في حفظ العلم، والترهيب من الوقوع في فِتن الزمان، ونحو ذلك.

ب: حفظ المرويَّات:

من المفيد لمريد الخير ومَن يتصَّدر لتعليم الناس ونفعهم، أن يوطِّن نفسه وقلبه على حفظ المرويَّات المناسبة في الترغيب والترهيب؛ لتكون على طرف الثُّمام عند اقتضاء الحال. وحفظ المرويات زاد لا ينفد، وذخيرة لا تنقضي، لا سيَّما عند فقدان الكتب، وشُحِّ المصنَّفات والبعد عن الأوطان في بلاد الغربة أو الوقوع في الحبس ونحو ذلك من ضيق ذاتِ اليد. وقد حكى الحافظ ابن حجر: إنَّ قاضي مِصر ومحدِّثها «عبد الله بن لهيعة»، كان إمامًا في الحديث وحفظه وروايته، فَنُكب باحتراق كتبه في سنة (١٦٩هـ) ،فكثر الوهم والتدليس في حديثه، فمن أخذ عنه قبل احتراق كتبه فحديثه أقوى مِمَّن أخذ عنه بعد احتراقها[١]، وقديمًا قيل: «فاحفظ فكل حافظٍ إمامُ»[٢].

---

(١) ابن حجر: «تهذيب التهذيب» - دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية - ١٤٢٠هـ: (٥/ ٣٧٨ - ٣٧٩) والذهبي: «تذكرة الحفاظ» - دار المأمون - الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ: (١/ ٢٣٨).

(٢) القائل: «مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الرحبي» (٥٧٧هـ) في منظومته الفرضية: بغية الباحث عن جمل الموارِث.

ج: مذاكرة المرويَّات:

إنَّ حياة العلم مذاكرته، وقد قال علقمة: «تذاكروا الحديث، فإنَّ حياته مذاكرته»(١). فينبغي على كل داعية إلى الله تعالى أن يوطِّن نفسه وقلبه على مذاكرة المرويَّات، ليعقلها وينتفع بها، ولتكون راسخةً في فؤاده مع الأيام والليالي. وطريقة المذاكرة تكون بتكرار المحفوظات على القلب واللسان، ولهذا قيل (المذاكرة تقوي الذاكرة). والمذاكرة للمرويات مفيدة سواء مع النفس أو مع الأقران أو مع الأهل والخِلَّان.

وقد تذاكر وكيع ابن الجراح وأحمد بن حنبل ليلة، حتى جاءت الجارية وقالت: «قد طلع الكوكب، أو قالت: الزهرة»(٢).

د: تهذيب المرويات:

ينبغي على طالب العلم إذا وقف على مرويَّات متعدِّدة بألفاظ متقاربة أن يجهد عقله في الوقوف على أصولها وأطرافها، وكان هذا دأب أهل العلم قديمًا، يرحلون إلى الأقطار البعيدة لنيل دقائق المعارف. ومما يُؤْثر عن يحيي بن معين:

---

(١) الأعظمي: «المدخل إلى السُّنن الكبرى» - دار القلم - الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ: (١/ ٢٢٠).

(٢) في كتاب «المدخل إلى السنن الكبرى» للبيهقي (١/ ٢٢٠)، فوائد وفرائد في هذا الباب يحسُن الرجوع إليها، وانظر أيضا «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي: (١/ ٢٣٨).

«أربعة لا تؤنس منهم رشدًا: حارس الدرب، ومنادي القاضي، وابن المحدِّث، ورجل يكتب في بلده، ولا يرحل في طلب الحديث»[١].

فالرحلة إلى الأقطار البعيدة من أسباب الحصول على المرويات المهذَّبة النقية، وقد يحصل المراد بغير الرحلة، بشرط الحصول على المَلَكة وقوة القاعدة العلمية المساعدة على ذلك. وعلى هذه الجادَّة ظهر تراث العلم المتين كـ «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي، و«تهذبب الكمال» للمزِّي، و«تهذيب الآثار» للطبري، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني، ونحوها من المصنفات.

فهذه الطريقة إذا سلكها الباحثُ، فإنه يحصِّل فوائد جليلة لا يُستهان بها[٢].

هـ: ربط المرويَّات بقضايا الأمة:

من القضايا المهمة في باب التواصي بالحق، ربط المشتغل بالدرس العلمي ،بالمرويات التي يستشهد بها بواقعه وأحوال أمته، ليكون ذلك أدعى إلى التصديق بدعوته وقبول مرويَّاته، فالشيخ مع تلاميذه، والمعلِّم مع طلبته، والمربِّي مع أبنائه، ونحوهم من دعاة الخير والهدى على منهاج السلف الصالح، كلهم

---

(١) «الرحلة في طلب الحديث»: (ص / ٨٩).

(٢) وفي «صيد الخاطر»: (ص / ٢٢٥ - طبعة الرشد): أنَّ الإمام أحمد طاف الدنيا مرتين حتى حصَّل هذا المسند، وأنَّ فيه أربعون ألف حديث.

مطالبون بتقريب المرويَّات الشرعية إلى قلوب الناس مع ربطها بهموم الناس ومعايشهم، بضرب الأمثال تارة وبسرد القصص النافعة تارة، ونحوها من الوسائل الشرعيَّة الهادفة. ففي حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى»(١).

فهذا الحديث يدل على صدق الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في دعوته ونبوته، وأنه لا ينطق عن الهوى، فقد وقع ما أخبر به رسولنا الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بعد قرابة نحو ستمائة سنة من مبعثه. قال الإمام النووي: «خرجت في زماننا نارٌ بالمدينة ،سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارًا عظيمة جدًا، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، وتواتر العلم بها عند جميع أهل الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة»(٢).

ومما ينبغي التنبيه عليه: وجوب بيان معاني المرويات عند ربطها بواقع الأمة، فمثلًا من يرغِّب الناس في قراءة القرآن ويقرأ قول الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُتْرجّة، ريحها طيب وطعمها طيب»(٣)،

---

(١) أخرجه البخاري: (كتاب الفتن - باب خروج النار - «رقم الحديث: ٧١١٨»)، وأخرجه مسلم: (كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز - «رقم الحديث: ٢٩٠٢»).

(٢) «شرح النووي لصحيح مسلم»: (١٨/ ٢٨). وانظر أيضًا: «فتح الباري»: (١٣/ ٧٩).

(٣) أخرجه البخاري: (كتاب فضائل القرآن - باب فضل القرآن - «رقم الحديث»: ٥٠٢٠). وأخرجه مسلم: (كتاب فضائل القرآن - باب فضيلة حافظ القرآن - «رقم الحديث: ٧٩٧»).

فيحسن به أن يعرض صورة هذه الثمرة الطيبة التي لا يعرفها كثير من الناس وإن لم يجدها يصفها بدقة. وعلى هذه الجادَّةِ يسير مُعَلِّم الناس الخير إلى هدفه وغايته.

و: جَرْد المطولات لاستلال المرويات المكنونة:

هذه سنة قديمة عند المحدثين وغيرهم من أهل العلم، يعمد الواحد منهم إلى مصنفات المرويات في فنٍّ من الفنون، فَيَستَلُّ منها المرويَّات الدفينة في ثناياه.

ولا تُشترطُ هنا القراءة الحرفية لجميع عبارات الكتاب المراد استخراج مروياته، فيكفي مطالعة الصفحة بفهم ،للنَّظر في المرويات الواردة مع تصور ما وردت فيه. ومن الكتب المناسبة لجرد مروياتها: «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني، و«التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» لابن عبد البَرِّ، و«التاريخ الكبير» للإمام البخاري، و«معجم الشيوخ» للذهبي، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي، و«تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي، وغيرها من التصانيف النافعة.

وبعد ذلك يتم تصنيف المرويات حسب فوائدها وموضوعاتها، وتكون مجالًا رحبا ًللبحث والمذاكرة والإفادة[1].

---

(١) في «جامع الترمذي»: (٥/ ٦٠٣): «كان لمحمد بن إسماعيل البخاري كتابًا يسجِّل فيه الفوائد».

ويقصد بالفوائد هنا: التخاريج النادرة، والغرائب، والشوارد، ونحو ذلك. فجدير بالباحثين، لا سيِّما
=

ومن كتب الفوائد التي تزخر بالمرويات، كتاب «الفنون لابن عقيل الحنبلي»:

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «الذيل على طبقات الحنابلة»[(١)]:

كتاب الفنون لابن عقيل: هو كتاب كبير جدًا، فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ، والتفسير، والفقه، والأصلين، والنحو، واللغة، والشعر، والتاريخ، والحكايات، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له وخواطره، ونتائج فكره قيَّدها فيه. وقال ابن الجوزي: وهنا الكتاب مئتا مجلد، وقع لي منه نحو مئة وخمسين مجلدًا. وقال سبطه في «مرآة الزمان»: (٨/ ١٥١): « واختصر منه جدِّي عشر مجلدات فرَّقها في تصانيفه، وقد طالعتُ منه في بغداد في وقف المأمونية نحوًا من سبعين، وفيه حكايات ومناظرات، وغرائب وعجائب وأشعار. وقال عبد الرزاق الرسعني في تفسيره: قال لي أبو البقاء اللغوي: سمعتُ الشيخ أبا حكيم =

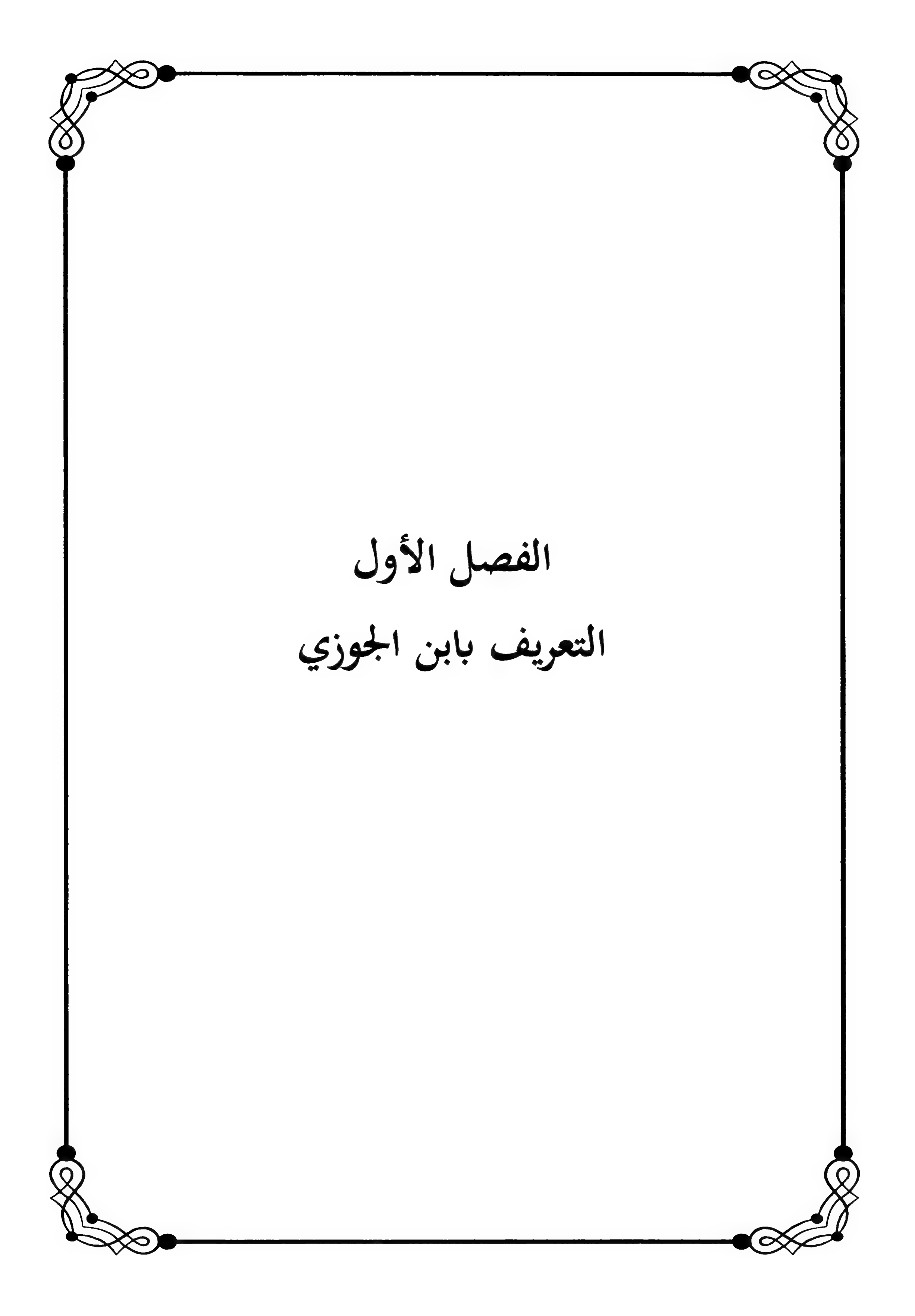
أهل العلم المصلحين، أن يحرصوا على ترسُّم منهج العلماء العاملين في الحرص على اقتباس العلم وتحصيله والعمل به.

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، (١/١٢٩).

قلتُ: ما تواتر عند بعض الباحثين أن صيد الخاطر مقتبس بالكلية بمعانيه من كتاب الفنون، لا يثبت بالميزان العلمي، وقد راجعتُ النسخة المطبوعة من كتاب الفنون، مع المقارنة مع مطبوعة صيد الخاطر فلم أجد ما يمكن الجزم به من اقتباس فوائد ابن عقيل وتدوينها في الصيد. وما وجد في صيد الخاطر مقروناً باسم ابن عقيل، فهو إما قولًا منسوباً إليه صراحة، أو حكاية أوردها ابن الجوزي مسندة إليه، وهذا يدل على أمانة ابن الجوزي ونزاهته العلمية. وقد ذكره باسمه في أحد عشر موضعًا.

النهرواني يقول: وقفتُ على السِّفر الرابع بعد الثلاثمائة من كتاب الفنون، وقال الإمام الذهبي في «تاريخ الإسلام»: حدَّثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعمائة». أ هـ.





الفصل الأول

التعريف بابن الجوزي

الفصل الأول

التعريف بابن الجوزي

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية ببغداد في القرن السادس الهجري.

- المبحث الثاني: ميلاد ابن الجوزي ونشأته وتعلمه وتعليمه.

- المبحث الثالث: شيوخ ابن الجوزي، وهمته في العلم.

- المبحث الرابع: مصنفاته العلمية، ووفاته.



الفصل الأول

التعريف بابن الجوزي(١)

وقد اشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الاول: الحالة السياسية والإجتماعية والعلمية ببغداد.

المبحث الثاني: ميلاد ابن الجوزي ونشاته وتعلمه وتعليمه.

المبحث الثالث: شيوخ ابن الجوزي وهمته في العلم.

المبحث الرابع: مصنفاته العلمية ووفاته.



---

(١) عَرَّفَ ابن الجوزي نَفْسَه في كثير من مصنَّفاته، ومنها: «لفتة الكبد إلى نصيحة الولد»، و«صيد الخاطر» و«المنتظم» في كثير من حوادث عصره، و«المشيخة» التي عَدّ فيها شيوخه، وترجم له أبو المظفَّر (سبطه) المتوفَّى سنة (٦٥٤هـ) في «مرآة الزمان»: (٨/ ٤٨١هـ)، وابن الدبيثي (المتوفَّى سنة ٦٣٧هـ) في «ذيل تاريخ بغداد» (١٥/ ٢٣٨)، وابن النَّجار المتوفى سنة (٦٤٣هـ) في «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: (١٩/ ١٥٥)، وابن رجب المتوفَّى سنة (٧٩٥ هـ) في «ذيل طبقات الحنابلة»: (١/ ٣٩١). رحمهم الله تعالى.

المبحث الاول
الحالة السياسية والإجتماعية والعلمية ببغداد

المطلب الأول
الحالة السياسية ببغداد في القرن السادس الهجري

يُعَدّ ابن الجوزي من العلماء والمؤرِّخين الذين سَطّروا أحداث النِّصف الثاني من القرن السادس الهجري، فقد شهد أبو الفرج أُفُول نجم السلاجقة، وسقوط الدولة الفاطمية، وقيام الدولة الأيوبية، وتحرّكات الصليبيِّين على بلاد الشام. يُضاف إلى هذا مراقبة ابن الجوزي لطلائع النهضة العربية الجديدة للخلافة العباسية، ابتداءً من خلافة المسترشد بالله حتى عصر المستضيء بأمر الله. كان الخلفاء العباسيون قبيل ذلك أُلعوبة بأيدي السلاجقة، وكان عملهم في الحوادث لا يتجاوز عمل المراقب، خشِية الدخول في دائرة الصِّراعات القائمة بين صفوف السلاجقة أنفسهم. ولما سقطت الدولة الفاطمية سنة (٥٦٧هـ) صَنَّف ابن الجوزي كتابه «النَّصر على مِصر»[١]. وقد كان للزِّنكيين بقيادة عماد الدِّين زنكي وابنه نور الدين دور كبير في مقاومة الزَّحف الصليبي على بلاد الشام، وأكمل المسيرة السلطان «صلاح الدين الأيوبي» الذي مَدَّ سلطانه على بلاد الشام واليمن. وقد وَصَفَ ابن الجوزي جانبًا من أعمال الصليبين في

---

(١) أفاد بهذا الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام»: (٨/ ١٩٠). ولم يُطبع الكتاب فيما أعلم.

القدس وبعض المدن الشامية الأخرى. وفي خلافة «الناصر لدين الله»-الذي عاصر ابن الجوزي جزءًا من خلافته- تَوَسَّعت الدولة العباسية، وأعادت بعض هيبتها ومجدها، حيث أعادت سيطرتها على «تكريت» و«عانة» و«حديثة» و«الأحواز» و«الري» و«أصبهان» و«همدان»[١].

وفي عصر ابن الجوزي فَقَدَت «بغداد» شيئًا من محاسنها، وخَيَّم الخراب على بعض أجزائها، بسبب الفتن والحروب والكوارث التي كانت تتعرض لها بين الفينة والأخرى، فقد حدث في حياة ابن الجوزي حريقٌ كبير سنة (٥١٠ هـ)، وزلزال سنة (٥١١ هـ)، وحريق في دار السلطنة سنة (٥١٥ هـ)، وفتن وحروب سنة (٥١٧ هـ)، وزلزال سنة (٥٣٨ هـ)، وزلزال آخر سنة (٥٤٤ هـ)، وطوفان هائل سنة (٥٥٤ هـ)، ثم وباء ومجاعة سنة (٥٧٤ هـ)[٢].

لم يشارك ابن الجوزي في الحياة السياسية ببغداد ولا في غيرها من بلاد العراق، ولم يتولَّ إمارة أو وزارة أو ولاية، بل كان زاهدًا في ذلك، راغبًا في مجانبة السلاطين، ويشهد على ذلك ما سطّره في تاريخه «المنتظم» ،من تدوين لنَكباتِ الوزراء والخلفاء، وما حَصَل لأهل العلم والفضل من فِتنٍ وبلايا من أرباب السلطان وأصحاب الولايات. ولكن ابن الجوزي كان يتمتَّع بعلاقات

---

(١) حسن الحكيم: «كتاب المنتظم» - دراسة في منهجه - دار التراث - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ (ص / ٣٥).

(٢) مقدمة كتاب صيد الخاطر (طبعة دار القلم): (ص / ١٠).

وثيقة بالطبقة الحاكمة وعلى رأسها الخليفة العباسي المستضيء، وقد بلغت من الإجلال له أن يواظب الخليفة على حضور مجالسه، وكان يفخر بذلك بقوله: «ولم ير لواعظٍ قَطّ مثل مجلسي ،جمع الخليفة والوزير وصاحب المخزن وكبار العلماء»[(١)]. وكانت لابن الجوزي صلات وثيقة بالخليفة المستنجد بالله، حيث خلع عليه في عام (٥٥٥ هـ) [(٢)]. لكن في آخر حياة ابن الجوزي تغيَّر حاله وأصابته محنة من جانب السلطان «الخليفة الناصر لدين الله»، حيث وَشَى به وزيره «ابن القَصَّاب»، فنُفي إلى مدينة «واسط» في عام (٥٩٠هـ) كما سيأتي بيان ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى.



---

(١) ابن الجوزي: «المنتظم» – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – ١٤١٢هـ (١٠/ ٢٨٤).

(٢) وفي «صيد الخاطر»: (ص / ٢٣٢ . طبعة الرشد) عقد ابن الجوزي فصلًا نفيسًا عن خطر الولاة ودسائس الأمراء وغوائلهم، وعن بعض مواقفه معهم. وهنا فائدة مهمة تتعلق بالإسناد في الحُكم على الحوادث التاريخية مثل: نكبة البرامكة وحصول الإغتيالات والملايين التي صُرفت على تجهيز الأميرة فلانة من الأمير فلان، في أحد عصور بني العباس وحدوث كوارث وغيرها من الاحداث، فهذه لا يشترط لها حديثيًا صحة الإسناد كشروط النص الحديثي، إنما يكتفى فيها بالقبول والشهرة والتواتر. لكن يجب في الحوادث التاريخية العناية بثلاثة أمور مهمة: الوقوف على الإسناد من غير تشدد في أحواله، معرفة العلة أو القرائن والشهود، دراسة التعارض والترجيح. انظر: مناهج المحدثين في نقد الروايات التاريخية (١/٦٠– وما بعدها) .

المطلب الثاني

الحالة الاجتماعية ببغداد في القرن السادس الهجري

المجتمع البغدادي في القرن السادس الهجري ،لا يختلف كثيرًا عن القرون التي سبقته، وقد ذكر ابن الجوزي في كتابه «المنتظم» أن عامة أهل بغداد كانوا يؤلِّفون خليطًا من العرب والفرس والتُّرك والنَّبُط والأرمن والجركس والكرج والبربر، ولو أنَّ تسمية هؤلاء جميعًا بالعرب قد غلبت عليهم لانصهارهم في بوتقة الشعب العربي وسيادة اللغة العربية ،التي هي اللغة الأصيلة للوطن العباسي. ومن طبقات المجتمع أهل الذمة، وكانوا يتمتعون بكثير من سياسة التسامح الديني ويقيمون شعائرهم في أمن وطمأنينة، وكان كثير من الخلفاء يحضرون مواكبهم، ويشتركون في الاحتفال بأعيادهم ويزورون أديرتهم في مناسبات معينة، ويغدقون عليهم الهبات والعطايا.

كان الزهاد والمتصوفة يتخذون من المساجد مساكن أو يلجئون إلى سكنى الأكواخ، وكانت دور العامة تُبنى غالبًا من طابق واحد. أما مواد البناء فكانت الجص والآجر والكَلْس والنورة (الجير)، وكانت السقوف تتخذ من جذوع النخل وأغصان الأشجار(١).

---

(١) حسن إبراهيم حسن: «تاريخ الإسلام السياسي»- مكتبة النهضة المصرية، (٤/ ٦٢٥ . وما بعدها). انظر أمثلة على ذلك في «المنتظم»: (١٠/ ٢٠٠. ٢٠٦).

لقد شهد ابن الجوزي شيئًا من الفتن الاجتماعية والأوبئة والمجاعات والتفاوت الطبقي في المجتمع، ولقد قَصّ في كتابه «المنتظم» بعضًا من الحوادث المؤسفة والخطيرة التي كانت تتعرض لها بغداد بسبب الصراعات الطائفية، ومن غارات البدو والقبائل على الآمنين(١).

لقد كان هناك صراع بين الحنابلة والأشاعرة، عاصر ابن الجوزي أحداثه بنفسه، وكان للشيعة طقوس وشعائر ومآتم يغترّ بها العوام والبسطاء، كانت سببًا في وقوع بعض الحوادث المؤسفة(٢).

ومن الظواهر الاجتماعية الجلية انتشار فئة الرقيق في أسواق بغداد، وانتشار بيع «الخِصيان» وهؤلاء كان الخلفاء والأمراء يشترونهم لحماية نسائهم حتى يأمنوا على أعراضهم في غيبتهم(٣).

---

(١) انظر: المنتظم (١٥/٧).

(٢) الصراع بين الحنابلة والأشاعرة: فتنة وقعت بين الحنابلة والأشاعرة بسبب التعصب للفريقين من سنة ٤٤٠ - ٤٥٥هـ، ووشاية بعض العلماء بغير الحق. وميل بعض الولاة إلى الأهواء، وقد اشتدَّ ضرامها في نواحي العراق والشام وبلاد ما وراء النهر. انظر «صيد الخاطر»: (ص / ٢٤٩) و«ذيل طبقات الحنابلة»: (١/ ١٥ - ٢٦)، و«سير أعلام النبلاء»: (١٨/ ٢٣١ و٥٤٦) و«طبقات السُّبكي» - مكتبة ابن تيمية - الطبعة الأولى - ١٣٨٨هـ -: (٣/ ٣٨٩).

(٣) انظر: «العامة في بغداد»: (ص / ١٤٢ - ١٤٣).

ومما لا يخفى أن بغداد في عهد ابن الجوزي كانت مرتعًا لدور المواخير والفساد، فظهرت الفواحش وعمَّ شرب الخمر، وكان ذلك سببًا في تفشي الوباء المشهور سنة (٤٤٩ هـ) نتيجة للمعاصي والانحراف. ومما يُؤسف له ظهور الترف والبذخ والإسراف المتناهي في حياة الخاصة من الخلفاء والوجهاء، ففي سنة (٥٠٢ هـ) تزوج الخليفة المستظهر أخت السلطان مُحَمَّد بن ملكشاه بأصفهان، على صداق قدره (١٠٠,٠٠٠) دينار، ونثرت الجواهر والدنانير على الحاضرين[١].

ومن أجل ذلك كُلِّه انتشرت الزلازل في بغداد حتى تسبَّبت في تصدُّع الجبال، مما أدَّى إلى تساقط كتلٍ منها. ففي أحداث سنة (٥٢٩هـ) قال عن زلزلة شهدها: «تفرقعت السقوف، وانتشرت الحيطان، وكنتُ في ذلك الزمان صبيًّا، كان نومي ثقيلًا لا أنتبه إلا بعد الانتباه الكثير، فارتجَّ السقف تحتي»![٢]. وقال في أحداث سنة (٥٣٨هـ): «حدثت في بغداد رَجَّة عجيبة، كنت مضطجعًا على الفراش فارتج جسدي منها»[٣].

---

(١) انظر: ابن الأثير: «الكامل في التأريخ» - دار الفكر - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ: (١٠/ ١٧٨).

(٢) «المنتظم» لابن الجوزي: (١٠/ ٤٧). هكذا بالأصل، ويقصد ارتجاج الأرض تحته من الروع والهلع.

(٣) «المنتظم» لابن الجوزي: (١٠/ ١٠٨).

وقد وصف ابن الجوزي بعض الظواهر الاجتماعية الخطيرة، كقُطَّاع الطرق الذين يمارسون أعمال اللُّصوصية، فقد كانوا يَسْطون على البيوت والمساجد، ويخطفون النِّساء من الشوارع والحَمَّامات[١].

وقد عَقَدَ ابن الجوزي في كتابه «صيد الخاطر»[٢] فصولًا عديدة في نَقْد الظواهر الاجتماعية التي كانت سائدةً في وقته، فتارةً يصفها وصفًا مجملًا، وتارة يصفها وصفًا مُفَصَّلًا، وكان يُظْهِرُ التذمُّر من تلك الظواهر لمخالفتها لسُّنن الفطرة السويَّة. وقد بلغ عدد الفصول التي نَقَدَ فيها تلك الظواهر ثلاثين فصلًا.

***

(١) «المنتظم» لابن الجوزي: (٨/ ١٨٩ - ١٩٠، و٩/ ١٥).

(٢) انظر الخواطر رقم: (٤٠، ١١٠، ١١٧، ٢٢٠، ٣٠٠).

المطلب الثالث

الحالة العلمية ببغداد في القرن السادس الهجري

ازدهرت المدارس العلمية في العصر العباسي الثاني، وكانت تلك المدارس تُخَرّج ثُلَّةً من أهل العلم، المتقنين لفن الوعظ. ومن تلك المدارس «المدرسة النظامية» و«مدرسة أبي حنيفة» و«مدرسة السهروردي» و«مدرسة فخر الدولة» وغيرها. وكانت تلك المدارس زاخرة بالكتب والدواوين العلمية التي يحتاجها الطلبة. ومن مظاهر النهضة العلمية في بغداد: عناية العلماء بمجالس الوعظ والتدريس في المساجد والجوامع والمجالس الخاصة، إضافةً إلى شيوع المناظرات التي تُعقد بين الحين والآخر لمذاكرة المسائِل والفنون. وكان المعلِّمون يتنافسون في الحصول على الإجازات الشرعية التي يمنحها العلماء لمن يرون فيه أهليةً وألمعيةً في طلب العلم ونشره، وتمكنًا من الحفظ والاستيعاب للمسائل العلمية والشرعية(١).

وقد أبرز ابن الجوزي في كثير من مصنَّفاته لا سِيَّما «المنتظم» و«صيد الخاطر»، وجود بعض الاتجاهات الفكرية التي كانت شائعة في زمانه. فالأول: الاتِّجاه العقلي وقد تزعمه الفلاسفة وأهل الكلام والإمامية والأشاعرة. والثاني:

---

(١) لا تناقض بين حال أهل العلم في اتجاهاتهم الفكرية، وبين العوام وغيرهم من الأمراء الذين أغرقتهم الشهوات والأهواء في ذلك العصر، فلكل وجهة هو موليها. والإبتلاء من سُنن الله في خلقه.

الاتجاه السلفي وأصحابه أتباع الإمام أحمد بن حنبل ،إمام أهل السنة والجماعة، وقد كان ابن الجوزي من أنصاره، ومن المنافحين عن مذهبه وطريقته، ولم يحد عنه سوى في بعض المسائل التي وضعها تحت التأويل. والاتجاه الثالث: الاتجاه الصوفي، وهم فرقة أظهرت الزهد والتقشف وظهر في بعضهم ادِّعاء الكرامات والمنامات والخوارق. وقد صنَّف ابن الجوزي في الرد عليهم كتابًا قيِّمًا سماه بـ «تلبيس إبليس»[١].

وكان ببغداد مسقط رأس ابن الجوزي ،كوكبة عظيمة من الفقهاء الأعيان، والأدباء والمحدثون، والوعاظ، والقراء، والإخباريون، والمفسرون، واللغويون، وعلماء الجدل والأصول، والفرائض.

ويستطيع المتأمِّل في سيرة ابن الجوزي أن يتعرَّف على الجهد العلمي الذي زخرت به ببغداد ،حين يطالع كتاب ابن الجوزي «المشيخة»، فقد عدّ فيه أبو الفرج تسعة وثمانين شيخًا، منهم ثلاث نسوة، تتلمذ عليهن وأجزنه، فكان ذلك شاهدًا على النهضة العلمية آنذاك ببغداد[٢].

---

(١) «كتاب المنتظم - دراسة في منهجه» لحسن الحكيم: (ص ٦٠ - وما بعدها). وانظر مقالًا مهمًا لمصطفى جواد في (مجلة الأستاذ - المجلد الخامس ١٩٥٦م بعنوان: «مدارس بغداد ودور كتبها في العصور العباسية»، و«تاريخ الإسلام السياسي» لحسن إبراهيم: (٤/ ٤٣٠ - وما بعدها).

(٢) ابن الجوزي: «المشيخة» - الدار التونسية - الطبعة الأولى - ١٩٧٧: (ص / ٢٠٥).

ولا غرو أن تزدهر حركة التصنيف في بغداد في القرن السادس بسبب كثرة العلماء وقوة هِمَّة طلبة العلم، وسُموِّ غاياتهم ورفعتها، فقد كتب أبو الوفاء «علي بن عقيل البغدادي» (ت: ٥١٣هـ) كتابه «الفنون» في مئتي مجلد، بل قال أبو الفرج عن التصانيف التي وقف عليها في شبابه: «إنِّي طالعتُ عشرين ألف مجلد، كان أكثرها وأنا بَعْدُ في الطلب»[1].

وكانت التصانيف تدَوَّن في القرن السادس الهجري على حساب الاتجاه الذي يميل إليه أصحابه وأتباعه، من سُنَّة وشيعة وأشاعرة ومعتزلة وصوفية، ونحوهم من الفرق والطوائف المختلفة[2].

ومن حسنات ابن الجوزي التي يُغبط عليها، أنَّه ما فتئ ينبِّه أهل العلم على اختلاف رتبهم ومراتبهم إلى ضرورة حفظ الوقت والاشتغال بكتاب الله =

من الشوارد هنا: أن ما ذكرهم في مشيخته ليس كل شيوخه، إنما الأكابر منهم فقط. وقد ذكر غيرهم في بعض كتبه مثل كتاب: أعمار الأعيان، فقد ذكر: أبو الحسين بن الفراء، وزاهر بن طاهر، وأبو الحسن بن عبد السلام. انظر: أعمار الأعيان (ص/١٥).

(١) «صيد الخاطر»: (ص / ٥٥٧).

(٢) ومن أشهر الأعلام الذين عاشوا في عصر ابن الجوزي: «ابن عقيل الحنبلي» (ت: ٥١٣هـ)، و«أبو الحسن الزاغوني» (ت: ٥٢٧هـ)، و«أبو منصور الجواليقي» (ت: ٥٣٩هـ)، و«عبد القادر الجيلي» (٥٦١هـ) و«أبو سعد السمعاني» (ت: ٥٦٢هـ)، و«ابن بختيار البغدادي» (ت: ٥٧٩هـ)، و«سبط ابن التعاويذي» (ت: ٥٨٣هـ) و«برهان الدين الفرغاني» (ت: ٥٩٣هـ)، و«محمد بن إدريس الحلِّي» (ت: ٥٩٧هـ)، رحمهم الله تعالى. وكانوا على اتجاهات ومذاهب متعدِّدة في العلم والاعتقاد.

تعالى والتفقه في سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد كرَّر هذه التنبيهات والوصايا في كثير من مصنَّفاته لا سيَّما «لفتة الكبد» و«صيد الخاطر»[١].

***

(١) انظر على سبيل المثال: «لفتة الكبد»: (ص ٥٠٤ - طبعة دار القلم)، و«صيد الخاطر»: (ص / ١٧ - طبعة الرشد).

المبحث الثاني

ميلاد ابن الجوزي ونشأته وتعلمه وتعليمه

المطلب الأول

ميلاد ابن الجوزي ونشأته

في مدينة بغداد، في «درب حبيب» في سنة (٥١٠هـ) تقريبًا، ولد الإمام عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حُمَّادي بن أحمد بن مُحَمَّد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق، القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي[(١)].

وكان ابن الجوزي يفتخر بنسبه إلى بيت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،ويذكِّرُ أهله بهذه النعمة، ففي وصيته لابنه التي سمَّاها «لفتة الكبد» قال له: «يا بُنَيّ، واعلم أننا من أولاد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبونا القاسم بن مُحَمَّد بن أبي

(١) انظر: «مرآة الزمان» – طبعة حيدر آباد – ١٣٧٠ هـ –: (٨/ ٤٨١)، والمنذري: «التكملة لوفيات النقلة»– مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية – ١٤٠١هـ: (١/ ٣٩٤)، وابن رجب: «الذيل على طبقات الحنابلة» – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى – ١٤٠٥ هـ: (١/ ٣٩٩)، وابن كثير: «البداية والنهاية» دار الفكر – الطبعة الأولى: (١٣/ ٣٢).

بكر، ثم تشاغل سلفنا بالتجارة والبيع والشراء، فما كان من المتأخرين من رُزق هِمة في طلب العلم غيري، وقد آل الأمرُ إليك؛ فاجتهد أنْ لا تخيِّب ظني»[١].

وكان يُسَمَّى في طفولته «المبارك»، ثم كُنِّيَ بأبي الفرج، ولُقّب بجمال الدين. لكنَّه اشتهر بابن الجوزي، نسبة إلى جدّه الأكبر «جعفر بن عبد الله» وهو جدّه التاسع كما تقدَّم في نسبه[٢].

وأصل كلمة «الجوزي»: فرضة نهر بالبصرة، والفرضة: ثلمة ينحدر منها الماء، وتصعد منها السُّفن، ويُسْتقى منها[٣].

لما بلغ عمر ابن الجوزي ثلاث سنوات توفي والده «علّي بن مُحَمَّد»، وخلَّف مالًا وفيرًا، لكن الابن عاش مرارة اليتم في طفولته، فكفلته أُمّه وعمَّته، وبعد وفاة أمه اعتنت به عمته اعتناءً بالغًا، حيث ربَّته على الصلاح والاجتهاد في العلم والعبادة، فكان يحضر مجالس العلماء في المساجد، ويسمع مذاكرة العلماء ومناظراتهم[٤].

---

(١) ابن الجوزي: «لفتة الكبد»: (ص / ٧٥).

(٢) ابن رجب: «ذيل طبقات الحنابلة»: (١/ ٤٠٠)، والذهبي: «تذكرة الحفاظ»: (٤/ ١٣٤٢)، والسمعاني: «الأنساب»: (٣/ ٣٦٦)، والذهبي: «سير أعلام النبلاء»: (٢١/ ٣٧٢).

(٣) المنذري: التكملة لوفيات النقلة: (١/ ٣٩٥).

(٤) أشار ابن الجوزي إلى يُتْمِه في (الفصل / ١٦٨) وتحدَّث عن طفولته وحرصه على العلم، وأشار إلى حضوره مجالس العلماء في (الفصل / ١٦٢، والفصل / ٨٢، والفصل / ٢٣٥) من كتاب «صيد الخاطر -طبعة الرشد».

وقد تحَدّث عن نفسه في كتابه «صيد الخاطر»، فقال: «فأقولُ عن نفسي وما يلزمني حال غيري: إنَّني رجل حُبِّب إليّ العلم من زمن الطفولة؛ فتشاغلت به، ثم لم يحبَّب إلي فنٌّ واحد منه، بل فنون، ثم لم تقتصر هِمَّتي في بعض فن على بعضه، بل أرومُ استقصاءه..»(١).

وكان في صباه جادًّا في التفقُّه وحفظ العلوم وتقليد الزهَّاد رغبةً في محاكاتهم والتأسِّي بهم، وقد أشار إلى حادثة وقعت له بسبب تقليده لوصايا الزهاد المتصوفة، فقال: «فحكى أبو طالب المكي في «قوت القلوب» أنَّ فيهم-المتصوفة- مَن كان يزن قوته بكربه رطبة، ففي كل ليلة يذهب من رطوبتها قليل، وكنتُ أنا ممن اقتدى بقوله في الصِّبا، فضاق المِعَى، وأوجب ذلك مرض سنين»(٢).

وقد وضَّح هذه القصة في موضع آخر من «صيد الخاطر» حيث قال: «كنتُ في بداية الصبوة، قد أُلْهِمْتُ سلوك طريق الزهَّاد، بإدامة الصوم والصلاة، وحُبِّبتْ إليّ الخلوة، فكنتُ أجد قلبًا طيبًا، وكانت عين بصيرتي قوية الحِدَّة، تتأسَّفُ على لحظة تمضي في غير طاعة، وتبادر الوقت في اغتنام الطاعات، ولي نوع أنس، وحلاوة مناجاة»(٣).

---

(١) «صيد الخاطر»: (ص / ٣٣ - الخاطرة رقم: ٢١).

(٢) المرجع نفسه: (ص / ٢٧ - الخاطرة رقم: ١٩).

(٣) المرجع نفسه: (ص/٢٩ - الخاطرة رقم: (٢٢).

ظل ابن الجوزي -رحمه الله تعالى- مقبلًا على العلم والتحصيل، منصرفًا عن اللهو واللعب الذي يتشاغل به أترابه وأخدانه، يقول: «كنتُ في زمان الصبا آخذ معي أرغفةً يابسةً، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلتُ لقمةً شربتُ عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذَّة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عُرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأحواله وآدابه، وأحوال أصحابه، وتابعيهم، فصرتُ في معرفة طريقه ،كابن أجود»[1].

كان ابن الجوزي ينفق على نفسه من كسبه الخاص، وقد ترك له والده علي بن مُحَمَّد رحمه الله تعالى، ثروة مالية انتفع بها في بعض أطوار نشأته. وقد كان أسلافه يعملون بتجارة «النحاس»، ولهذا السبب كان ابن الجوزي يكتب في بعض سماعاته «عبد الرحمن بن علي الصفَّار»[2].

تزَّوج ابن الجوزي، وأنجب ثلاثة أبناء، وست بنات. وأشهر أبنائه عِلمًا وصلاحًا: «يوسف بن عبد الرحمن» ،وقد برع في الفِقه والحديث والأصول والوعظ، وتولَّى التدريس بالمدرسة المستنصرية، وكانت له صلات طيبة بالخلفاء العباسيِّين المتأخرين، وتولى حسبة بغداد عِدَّة مرات. أما ابنه «علي بن عبد

(١) المرجع نفسه (ص / ٢١٥).

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ: (٤/ ١٣٤٤).

الرحمن» فهو المعنيُّ بالنصيحة المسماة «لفتة الكبد إلى نصيحة الولد» ،التي رقمها أبوه لحثِّه على العِلمِ واكتساب الفضائل[١].

وفي آخر حياة ابن الجوزي رحمه الله تعالى، ابْتُلي بوشاية مغرضة نُفِي بعدها إلى «واسط». فقد جاء إليه الحَرَس في داره، وأسمعوه غليظ الكلام، وختموا على كتبه وداره، وشتَّتوا عِياله، وفي الليل حَمَلوه في سفينةٍ وأحدروه إلى «واسط» ،وكان عمره نحو ثمانين سنة. فبقي خمس سنين محبوسًا في دارٍ فيها، يخدم نفسه، ويغسل ثوبه، ويطبخ، ويستقي الماء من البئر، رحمه الله تعالى. وكان المحرِّض لِتلك الوشاية «عبد السلام بن عبد الوهاب الجيلي»، (ت: ٦١١ هـ) المتَّهم بسوء العقيدة، وكانت قد أُحرقت مؤلفاته بإشارة ابن الجوزي، وكان واصلًا عند الوزير ابن القصَّاب المعروف بتشَيُّعه. وبعد خمس سنين استطاع «يوسف بن عبد الرحمن» الشفاعة لأبيه عند أم الخليفة الناصر لدين الله (ت ٦٢٢هـ)، فكلَّمها في شأن خلاص أبيه، فوافق الخليفة، وأطلق سراحه، وعاد إلى بغداد[٢].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: (١٣/ ٣٠) ومرآة الزمان: (٨/ ٦٧٩).

(٢) ابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة: (١/ ٤٢٦ - ٤٢٧). وقد أفصح ابن الجوزي عن أسماء بعض خلفاء بني العباس وأغفل بعضهم، فممن أفصح عن أسمائهم (ألقابهم): «المسترشد بالله» (ت:٥٢٩ هـ)، و«المقتفي» (ت:٥٥٥ هـ) و«المستنجد بالله» (ت:٥٦٦ هـ)، «والراشد» (ت:٥٣٢ هـ). وقد أغفل ذكر «المستضيء» (ت:٥٧٥ هـ) و«الناصر» (ت:٦٢٢ هـ).

المطلب الثاني
تعلُّمه وتعليمه

مضى ابن الجوزي ينهل من منابع العلم والمعرفة في بغداد طيلة أيام عمره، ولم يخرج من مسقط رأسه إلَّا في حجِّه. وعندما أُرغم على الخروج إلى «واسط»، كان يسمع الحديث والفقه واللغة وسائر علوم الشريعة، ولعل وفرة المال الذي خلَّفه له والده كانت سببًا في تشجيعه على الحفظ والمطالعة والمذاكرة. وأهمُّ من ذلك توفيق الله تعالى له بالهمة العالية التي تقصر عندها همم كثيرٍ من الرجال.

= فالخليفة الراشد خُلع من الخلافة، والخليفة المسترشد قتلته الباطنية. وقد ساق كثيرًا من المعاني المنبهة على تلك الأحداث الجسيمة مما له صلة بفتن الخلافة والوزارة في فصل كامل استهلّه بقوله: «العاقل من يحفظ جانب الله عَزَّوَجَلَّ وإن غضب الخلق. وكل من يحفظ جانب المخلوقين ويضيّع حق الخالق، يقلِّب الله قلب الذي قصد أن يرضيه فيسخطه عليه.

فالخلفاء العباسيون الذين عاصرهم أبو الفرج ستة، أفصح عن ذكر أربعة منهم، وأغفل الباقين فـ «الناصر» مثلًا تعمّد المصِّنف عدم الإشارة إلى ذكره؛ لأنه كان يميل إلى الشيعة، وقد كان «ابن القصّاب» (٥٩٢هـ) من وزراء (الناصر) وكان رافضيًّا خبيثًا، وقد سعى إلى فتنة ابن الجوزي وحبسه وتشتيت عياله كما في ترجمته.

أما «المستضيء» (٥٧٢هـ) فقد أفرد له المصّنف كتابًا بعنوان «المصباح المضيء في خلافة المستضيء». وقد طبع بتحقيق الدكتورة «ناجية إبراهيم» على نفقة وزارة الأوقاف العراقية عام (١٩٧٦م). وقد صنّف ابن الجوزي كتابًا في مثالب الخليفة الناصر، اسمه: «عقد الخناصِر في ذمّ الخليفة الناصر» ذكره ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة. ولم يُطبع فيما أعلم.

يقول-رحمه الله تعالى-: «وإِنِّي أُعطيتُ من علو الهِمَّة طرفًا، فأنا به في عذاب، ولا أقول: ليته لم يكن، فإنه إنما يحلو العيش بقدر عدم العقل، والعاقل لا يختار اللذة بنقصان العقل». ثم عرَّض بأبي مسلم الخراساني (ت: ١٣٧هـ) فقال عن همته: «فنظرتُ إلى حال هذا المسكين، فإذا هو قد ضيَّع أهم المهمات، وهو جانب الآخرة». وعرَّج على ذكر المتنبي(ت: ٣٥٤هـ) فوصف حاله بأنه لا يطلب إلَّا الدنيا فحسب، وقد استفاد ذلك من قوله:

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه ... ومركوبه رجلاهُ والثوب جلدهُ
ولكن قلبًا بين جنبيَّ ما له ... مدىً ينتهي بي في مراد أحدُّه
يرى جسمه يكسي شفوفًا تربُّه ... فيختار أن يكسي دروعًا تهدُّه[(١)]

أقبل ابن الجوزي رحمه الله تعالى ، على علوم القرآن كلها حتى برع فيها، واشتغل بالوعظ اشتغالًا جعله يتمكن منه ويبدع فيه، حتى إن الخليفة وبعض رجال الدولة كانوا يحضرون مواعظه ومجالسه. وقد وصف الرحَّالة ابن جبير عند زيارته لبغداد ،حال التائبين في مواعظ أبي الفرج بقوله: «تساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح»[(٢)]، وقال ابن رجب: «إذا وعظ اختلس القلوب، وتشققت النفوس دون الجيوب»[(٣)]. وقد أتَّم تفسير القرآن الكريم على منبر

(١) صيد الخاطر: (ص / ٢١٨).

(٢) ابن جبير: رحلة ابن جبير - دار الكتاب اللبناني - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ: (ص ٢٠٨).

(٣) ابن رجب: «ذيل طبقات الحنابلة»: (٢ - ٢٠٩).

الوعظ، وقد تحدث عن هذه النعمة قائلًا: «ما عرفتُ واعظًا فسر القرآن كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن، فالحمد لله المنعم»(١).

تعلَّم ابن الجوزي وعلَّم غيره، وقد رقم أبو الفرج في «صيد الخاطر» إشارات مضيئة في عنايته بالعلوم والمعارف، فقد ذكر عن نفسه أنه كان يتردّد على جامع المنصور ببغداد، و«لقد نظرتُ في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية، فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثبت كُتب أبي حنيفة وكتب الحميدي، وكتب شيخنا عبد الوهاب بن ناصر، وكُتب أبي مُحَمَّد بن الخشاب، وكانت أحمالًا، وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه، ولو قلتُ إني طالعتُ عشرين ألف مجلد، كان أكثر، وأنا بعدُ في الطلب...»(٢).

وقد أشار في «صيد الخاطر» إلى أنَّ له حلقة يجلس فيها للإفادة، وأخبر أنَّه كان يطلب الخلوة في «جامع الرصافة»، الذي كان لا يخلو منه علماء العراق وغيرهم وصالحوهم. وأخبر أنه تأثَّر برجلين من أهل العلم: «عبد الوهاب الأنماطي» (ت: ٥٣٨هـ)، و«موهوب بن أحمد الجواليقي» (ت: ٥٤٠هـ).

---

(١) ابن الجوزي: «المنتظم»: (١٠/ ٢٥١).

(٢) «صيد الخاطر»: (ص/٣٩٦).قلت: من الناحية العلمية يستطيع الطالبُ أو الباحثُ أن يقرأ ويستفيد آلاف الكتب في مدة وجيزة، وليس هذا بمستبعد. لكن من الناحية المنهجية والنقدية قد لا يستفيد إلا من ربع أو عُشر ما طالع. فالعبرة بالنقد لا بالمطالعة .

يقول عنهما -رحمه الله تعالى-: «فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما، ففهمتُ من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول»[١].

أقبل أبو الفرج على علم الحديث الشريف، فسمع المسند وكُتُب السُّنن، وحصَّل الإجازات من العلماء والشيوخ. قال الإمام الذهبي: «ولم يرحل في الحديث، لكن عنده مسند الإمام أحمد والطبقات لابن سعد، وتاريخ الخطيب، وأشياء عالية، والصحيحان، والسُّنن الأربعة، والحلية، وعدة تواليف وأجزاء يخرّج منها»[٢].

وقد تفقَّه ابن الجوزي على «أبي حكيم النهرواني» «وأبي يعلي بن الفراء»، وقرأ الجدل والفقه والأصول والخلاف على «أبي بكر الدينوري» و«القاضي أبي يعلي الصغير»، وقرأ الأدب على «أبي منصور الجواليقي».

---

(١) المرجع نفسه: (ص/١٣٢). ومن الفوائد الحديثية المتعلِّقة بطلبه للعلم انه اشتغل بجميع طرق تحمل الحديث وهو صغير السِّن: سماعًا وقراءةً وإجازةً ومناولةً وكتابةً وإعلامًا ووصية ووجادة. وهذا يتبيَّن باستقراء حال اشتغاله بالعلم لمدة ستين سنة تقريبًا، حتى سنة حتى وفاته.

(٢) الذهبي: «سير أعلام النبلاء»: (٢٢/ ٣٦٦).

قلت: استفاد ابن الجوزي كثيراً من كتب الخطيب البغدادي(ت: ٤٦٣هـ) رحمه الله تعالى من جهتين: الأولى فهمُ علم الإسناد وكيفية مدارسته، الثانية: نقد الروايات والأخبار. وهذه الفائدة لا تتبيَّن إلا بالإستقراء. انظر: آفة أصحاب الحديث في الردِّ على عبد المغيث(ص/٧٠ — وما بعدها)، والتنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل(١/١٤٧)، والخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث(ص/١٠٢- وما بعدها).

ولما دخل ابن جبير بغداد؛ حضر مجلس ابن الجوزي وقال واصفًا حاله: «فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفي جوف الفِرا كل الصيد، آية الزمان، وقرة عين الإيمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتبة العلمية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، مالك أزمَّة الكلام في النظم والنثر، والغائص في بحر فكره على نفائس الدّر..»[١].

وقال الإمام الذهبي: «كان رأسًا في التذكير بلا مُدافعة، يقول النظم الرائق والنثر الفائق بديهًا، ويُسهب ويعجب، ويطرب ويُطنب، لم يأتِ قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ والقيِّم بفنونه، وكان بحرًا في التفسير، علَّامة في السِّير والتاريخ، موصوفًا بحُسن الحديث ومعرفة فنونه، فقيها، عليمًا بالإجماع والاختلاف»[٢].

❁❁❁

(١) ابن جبير: «رحلة ابن جبير»: (ص١٩٦).

(٢) الذهبي: «سير أعلام النبلاء»: (٢١/ ٣٦٧).

المبحث الثالث

شيوخ ابن الجوزي وهمته في العلم

صنَّف ابن الجوزي كتابًا في «مشيخته» ضمَّنه تسعة وثمانين شيخًا، منهم ثلاث نسوة من حملة العلم. وقد تحصَّل من خلالهم على الإجازات والإفادات، واكتساب أخلاق وآداب العلم والعلماء، وقد أشار في كتابه «المنتظم» إلى أوَّلِ مجلس حضره للإفادة، وكان للشيخ «مُحَمَّد بن مُحَمَّد الخزيمي». وقد أقبل أبو الفرج ينهل من معين العلم في المؤسسات البغدادية إلى آخر رمق من حياته، فأكسبه ذلك معرفة حملة العلم الذابين عن حياضه، الداعين إلى معرفة الله ورضوانه.

وقد تتبَّعتُ أسماء شيوخه الذين ذكرهم أو أشار إليهم في كتابه «صيد الخاطر»، **وها هم على حسب ورودهم في الكتاب:**

م	اسم الشيخ	موضوع الفصل الذي ورد فيه	رقم الخاطرة
١	عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي (ت: ٥٣٨هـ)	حقائق الحياة بين العلم والجهل	١٩
٢	مُحَمَّد بن عبد الباقي البغدادي (ت: ٥٦٤هـ)	دور المرأة في حياة الرجل	٢٨
٣	أبو حكيم: إبراهيم بن دينار النهرواني (ت: ٥٥٦هـ).	أثر المبتدعين	١٧

م	اسم الشيخ	موضوع الفصل الذي ورد فيه	رقم الخاطرة
٤	موهوب بن أحمد الجواليقي (ت: ٥٤٠هـ).	العلماء العاملون	٩٤
٥	عبد الرحمن بن مُحَمَّد القزاز (ت: ٥٣٥هـ).	النظر إلى العواقب	١١٩
٦	يحيي بن هبيرة الذهلي (ت: ٥٦٠هـ)	جانب الله أحق أن يُرعى	١٨٣
٧	عبد الرحمن بن عيسى الفقيه (لم أقف على تاريخ وفاته).	مشارب أهل العلم	٢٢٧
٨	أحمد بن الحسن بن البناء (ت: ٥٢٧هـ).	إن الله طيِّب لا يقبل إلا طيبًا	٢٦٨
٩	هبة الله بن مُحَمَّد الحصين (ت: ٥٢٥هـ).	من ثمرات الإخلاص	٢٦٩
١٠	أحمد الحربي (لم أقف على تاريخ وفاته).	الاحتراز واجب مما يمكن وقوعه	٢٨٠
١١	يحيي بن نزار (ت: ٥٥٤ هـ).	الاحتراز واجب مما يمكن وقوعه	٢٨٠
١٢	مُحَمَّد بن ناصر السلامي (ت: ٥٥٠هـ).	عبيد المال	٢٨٦
١٣	أبو الحسن البراندسي (ت: ٥٨٦ هـ).	عبيد المال	٢٨٦
١٤	علي بن عبيد الله بن الزاغواني (ت: ٥٢٧هـ).	تكاليف المجد	٣٤١ (١)

(١) المنتظم: (٩/ ٢٢١).

وقد أورد ابن الجوزي أسماءهم في مواضع متفِرقة من كتابه «صيد الخاطر» ،وكان يصرّحُ بالسماعِ عنهم بصيغة: «حدثني» و«أخبرنا» و«أنبأنا». وقد يذكر سماعه من الشيخ باسمه، أو يُكنِّيه، أو يلقبه بلقبه الشهير، أو يذكره على جهة التوقير كعبارة «شيخنا»[(١)].

وفي كتابه «صيد الخاطر» أثنى ابن الجوزي رحمه الله تعالى ، على اثنين من أشدّ العلماء تأثيرًا في نفسه، وهما: «عبد الوهاب الأنماطي» و«أبو منصور الجواليقي». رحمهما الله تعالى. فقد قال في بعض خواطره: «لقيتُ مشايخ، أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته: العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه. ولقيتُ جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون، ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبة، يخرجونها مخرج جرح وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة، ويسرعون بالجواب لئلا ينكسر الجاه وإن وقع خطأ. ولقيتُ «عبد الوهاب الأنماطي»، فكان على قانون السلف، لم يُسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجرًا على سماع الحديث، وكنتُ إذا قرأتُ عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه. فكان-وأنا صغير السِّن حينئذ- يعمل بكاؤه في قلبي، ويبني قواعد. وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل[(٢)].

---

(١) انظر «صيد الخاطر»: الصفحات: (٢٩، ٤٥، ١١٠، ١٣٢، ١٦٠، ٢٣٣، ٢٨١، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٩٩).

(٢) هذا من أدب ابن الجوزي مع شيوخه، رحم الله الجميع. ومقصوده أنهم على صفة علماء الشَّرع في القرون المفضَّلة عِلمًا وخلقًا وتربيةً. وخُلق ابن الجوزي هذا مع مشايخه يُعد من الوفاء ومعرفة الفضل =

ولقيتُ الشيخ أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول، متقنًا، محققًا.

وربما سئل المسألة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتيقن، وكان كثير الصوم والصمت. فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما. ففهمتُ من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول. ورأيتُ مشايخ كانت لهم خلوات في انبساط ومزاح، فروَّحوا عن القلوب، وبدَّد تفريطهم ما جمعوا من العلم، فقلّ الانتفاع بهم في حياتهم، ونُسُوا بعد مماتهم، فلا يكاد أحدٌ يلتفت إلى مصنَّفاتهم»[١].

وقد حكى ابن الجوزي طرفًا من سيرته في التعرف على أهل العلم، فقال: «ولقد وفق لي شيخنا أبو الفضل بن ناصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان يحملني إلى الشيوخ، فأسمعني «المسند» وغيره من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها، ولازمته إلى أن توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فنلتُ به معرفة الحديث والنقل»[٢].

= لأهل الفضل، وهو دليل على إفادة ابن الجوزي من علم شيوخه وتربيتهم، فما أعظمها من غِبطه؟!.

(١) «صيد الخاطر»: (ص / ١٣٢ ـ ١٣٣).قلت: هذه الفائدة العلمية من ابن الجوزي تعدلُ كتاباً كاملًا في تهذيب النفس وتزكيتها، ولا يتفطَّنُ لها إلا من شرح الله صدره للتقوى.

(٢) ابن الجوزي: «لفتة الكبد»: (ص / ٣٣ ـ ٣٤).قلت: هنا فائدة مهمة وهي تأثر ابن الجوزي بشيخه ابن ناصر(ت: ٥٥٠هـ): مُحَمَّد بن ناصر السَّلامي، محدث ومسند، ولم يكن بارعاً في العلل =

وقال: «فلما فهمتُ الطلب كنت ألازمُ من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العُدَد، لا تكثير العَدَد»[١]. وقال في آخر «المشيخة»: «هذا آخر المشايخ الأكابر، وقد سمعتُ من جماعة غيرهم، ولي إجازات من خلق يطول ذكرهم»[٢].

وسوف أسوق في ثنايا هذا الكتاب، المعاني الشرعية والعلمية التي استفادها ابن الجوزي من مشايخه في بناء نفسه وعلمه وحياته.

عاش ابن الجوزي سبعة وثمانين عامًا، لم يضيّع منها ساعةً واحدةً، بل صرف جُلَّها في تحصيل العلم واقتناص الفوائد ونفع الأمة، وإرشاد النَّاس إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم وأخراهم.

= والرجال كما وصفه الذهبي، ، كان في أول امره أشعريًا، ثم أصبح سلفيًا ومات على ذلك، رحمه الله تعالى. ولعل عدم تمكن ابن الجوزي من علم العِلل سببه عدم تمكن شيوخه، فلم تتهيأ له الظروف المناسبة لدراسة هذا العلم، مع عدم ميله له كما يبدو من سيرة حياته.

(١) ابن الجوزي: «المشيخة»: (ص ٥٩).

(٢) «مشيخة ابن الجوزي»: (ص ٢٠٥).

قلتُ: عدد شيوخه(٨٦)شيخًا، وروى وقرأ على ثلاث نساء فاضلات: فاطمة بنت محمد الرازي(ت: ٥٢١هـ)وفاطمة بنت أبي حكيم الخيري(ت: ٥٣٤هـ)وشهدة بنت أحمد الأثري(ت: ٥٧٤هـ)، سمع منهن الحديث والوعظ. رحمهم الله تعالى.

لقد انكبَّ أبو الفرج على الكتب والمكتبات البغداديَّة، يقرأ ويطالعُ ويحفظُ وينْسخُ، يَصِلُ الليل بالنهار، والنهار بالليل، يلتذُّ بالكاغد والمحابر، ويجد فيها الصديق الحميم والخِلّ الوفي!.

لقد كان -رحم الله عظامه- يعرف قيمة الزمن وشرف الوقت، ويقدِّر عِظَم الأمانة التي نَذَرَ نفسه للقيام بأعبائها، والتفرُّغ لمهامِّها. ولقد وصفه العلَّامةُ ابن رجب (ت: ٧٩٥هـ) بأنَّه «شيخ وقته، وإمام عصره»[١].

ولولا عناية الله تعالى ثم عُلو همته لما حصل لابن الجوزي ما ناله من العِلم والفضائل والحظوة، حتى قال العلَّامةُ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): «ورأى من القبول والاحترام ما لا مزيد عليه»[٢]. ومن بديع كلام ابن الجوزي: «وقد عَرفتُ بالدليل أنَّ الهِمَّةُ مولودة مع الآدمي، وإنما تقصر بعضُ الهِمم في بعض الأوقات فإذا حُثَّت سارت»[٣]. وقال: «إنَّ أكثر الإنعام عليَّ لم يكن بكسبي، وإنما هو من تدبير اللطيف بي، فإنِّي أذكر نفسي ولي همةٌ عالية، وأنا في المكتب

---

(١) «الذيل على طبقات الحنابلة»: (١/ ٣٩٩)

(٢) «العبر» للذهبي: (٣/ ١١٨).

(٣) ابن الجوزي: «لفتة الكبد»: (ص ٣٢). وقد استفاد ابن الجوزي في حياته العلمية من لقاء العلماء، في بغداد وخارجها، فقد حج مرتين في عمره، الأولى سنة (٥٤١ هـ) والثانية سنة (٥٥٣ هـ) وقد أشار إلى رحلته الثانية في ثنايا خواطره عند قوله: «عرض لي في طريق الحج خوفٌ من العرب ....».انظر: «صيد الخاطر»: (ص ٣٣١).

ابن ست سنين، وأنا قرين الصبيان الكبار قد رزقت عقلًا وافرًا في الصغر يزيد على عقل الشيوخ»[(١)].

لقد قرأ الرجل عشرين ألف مجلد في زمن الطلب فقط، فكم قرأ في وسط عمره وآخره؟!.

ويظهر -والله أعلم- أن ابن الجوزي كان يختصر الكتب ليحفظها، وربما زاد عليها فوائد من عنده، ويعيد صياغتها، فتكون كتابًا جديدًا، ودليل ذلك أنه وجد له تصنيف بخطِّه وله من العمر سبع عشرة سنَةً. وقد تعجَّب العلماء من كثرة مؤلَّفاته حتى قال العلامة الذهبي (ت ٧٤٨هـ) «وصنَّف شيئًا لو عاش عمرًا ثانيًا، لما لحق أن يحرِّرهُ ويتقنه»[(٢)].



---

(١) المرجع نفسه: (ص ٣٣).

(٢) الذهبي: «سير أعلام النبلاء»: (٢١/ ٣٧٨).

المبحث الرابع
مصنَّفاته العلمية ووفاته

لاريب أنَّ التصنيف زبدة العمر، ووارث العالم المخلَّد، وهو أخو التعليم بالمشافهة، بل إنَّ نفعه أعظم؛ لأنه بذر يكثر ريعه ويمتّد زمانه(١). وابن الجوزي من حملة العلم الذين رزقوا كثرة التأليف، ففتح الله عليه أبوابه. وقد قال سبطه أبو المظفر (ت: ٦٥٤هـ) إنه سمع جدّه يقول على المنبر في آخر عمره «كتبتُ بأصبعي هاتين ألفي مجلَّدة»(٢). وقال الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨هـ): «وما علمتُ أحدًا من العلماء صنَّف ما صنَّف هذا الرجل»(٣). وقد سئُل شيخ

---

(١) «صيد الخاطر»: (ص / ١٨).

قلت: من الشوارد ما ورد في: (مجلة المنار - الجزء الثالث والعشرون - ٢١ جمادي الآخرة - سنة ١٣١٨هـ - الصفحة ٥٤٥)، فقد ذكر الشيخ مُحَّد رشيد رضا رحمه الله تعالى، المتوفى سنة (١٣٥٤هـ)، أنَّ ابن الجوزي حينما اشتغل بالوعظ اختبر ما أفسده الناس من دين الناس، فتصدَّى للردِّ على المرويات المكذوبة الموضوعة التي كانت تَرِدُ عليه في مجلس وَعْظِهِ، فحقدَ عليه بعضُ القُصّاص. قلت: هذا يدُّل على عناية ابن الجوزي بالمرويات ووجوب غربلتها، والنظر في تخريجها، وأهمية هذا الموضوع في الجانب الحديثي والوعظي .لكن ابن الجوزي عفا الله عنه لم يلتزم بهذا المنهج في جميع مراحل حياته، لاسِّيما مروياته في كتاب «صيد الخاطر»، ولهذا قال ابن اللبَّاد (ت: ٦٢٩هـ): «هو كثير الغلط فيما يصنِّفُه، فإنَّه كان يصنّفُ الكتاب ولا يعتبره». انظر: طبقات علماء الحديث (١٢٢/٤) وسير أعلام النبلاء (٣٧٨/٢١).

(٢) سبط ابن الجوزي: «مرآة الزمان»: (٨/ ٤٨٢).

(٣) الذهبي: «تذكرة الحفاظ»: (٤/ ١٣٤٤).

الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) عن ابن الجوزي فقال «كان الشيخ أبو الفرج مفتيًا كثير التصنيف والتأليف، وله مصنَّفات في أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنَّف، ورأيتُ بعد ذلك له ما لم أره»(١).

وهنا ملحظ مهم تجب العناية به، وهو أنَّ بعض حملة العلم الكبار نَقَدوا ابن الجوزي في عدم تفوُّقه في علم من العلوم، بسبب انشغاله بمطالعة العلوم المختلفة، وعدم اعتكافه على حَلِّ معضلات فنٍّ من الفنون!، قال الحافظ الذهبي: «ومع تبحُّر ابن الجوزي في العلوم وكثرة اطلاعه وسعة دائرته، لم يكن مبرزًا في علم من العلوم، وذلك شأن كل من فرَّق نفسه في بحور العلم، ومع أنه كان مبرزًا في التفسير والوعظ والتاريخ، ومتوسطًا في المذهب، متوِسطًا في الحديث، له اطلاع تام على متونه، أما الكلام على صحيحه وسقيمه، فما له فيه ذوق المحدِّثين، ولا نَقد الحُفَّاظ المبرِّزين»(٢) ،ونَقْدُ الحافظ هنا وجيه؛ لأنَّه

---

(١) ابن رجب: «الذيل على طبقات الحنابلة»: (١/ ٤١٥) .

(٢) الذهبي: «تاريخ الإسلام»: (ص/٣٠٠) .

قلت: مقالة الذهبي تتعارض مع بعض علماء الحديث، كأبي شامة الذي قال: «إليه انتهت معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه من سقيمه»، وكذلك مقالة الدبيثي أحد تلاميذه: «وله في الحديث من المصنفات من الأسانيد والأبواب والرجال ومعرفة الاحاديث الواهية والموضوعة والانقطاع والاتصال». وكل الأحكام صحيحة، فكلٌ حَكم بما ظهر له من مطالعة كتب ابن الجوزي. ولعل هذا المثال يرجِّح مقالة الذهبي، وهو ابن الجوزي حَكم على (١٩) حديثًا من أحاديث مصابيح السُّنة للبغوي بانها موضوعة، وسُئل الحافظ العلائي عن ذلك فأجاب بورقات سمَّاها: (النقد الصحيح لما اعتُرض عليه من أحاديث المصابيح)، بأنها ليست موضوعة. وقد سُئل =

خبير بالحديث وعلومه وخباياه، لكن هذا لا يَغُضُّ من قيمة ابن الجوزي؛ إذ حظه لم يسعفهُ أن يكون محدثًا!!.

لقد نفع الله في الوعظ بابن الجوزي أكثر مما نفع بالذهبي، ونفع الله في الحديث بالذهبي أكثر مما نفع بابن الجوزي. أما قول الذهبي: «فهو كثير الغلط فيما يصنِّفه، فإنَّه كان يصنِّف الكتاب ولا يعتبره»(١)؛ فهذا صحيح في الجملة لكن لا يسلَّم بهذا في جميع مصنَّفاته، وقد دافع ابن رجب عن ابن الجوزي ونَقَل عنه قوله: «أنا مرتِّب ولستُ بمصنِّف»(٢).

لقد بلغ عددُ مصنَّفات ابن الجوزي في فهارس مكتبات العالم (٥٧٤) مؤلفًا، ولا ريب أنَّ لابن الجوزي المزيد من التأليف المفقودة، أو حبيس المكتبات التي منع أصحابها الوصول إليها.! (٣).

= الحافظ ابن حَجر عن هذه الاحاديث أيضًا فأجاب بنفس جواب العلائي، وأن منها الصحيح والحَسن والضعيف. وقد طُبعت أجوبة الحافظ في آخر كتابه (مشكاة المصابيح). وانظر كتابه: آفة أصحاب الحديث (ص/١٠-وما بعدها)، ففيه فوائد عن عِلمه ونقده للحديث. وانظر: الذيل على الروضتين لابي شامة(ص/٢١)، وذيل الدبيثي على تاريخ السمعاني(٢/١٥٠).

(١) المرجع نفسه: (ص/ ٣٠١).

(٢) ابن رجب: «ذيل طبقات الحنابلة»: (١/ ٤١٤).

(٣) وقفتُ على مخطوطة «الأسانيد المنفردة» لابن الجوزي في «المكتبة الآصفية» بحيدر أباد، فوجدتُ اسمها: الأسامي المنفردة، وهي في قسم التراجم ، وكلها في الأعلام الذين تلتبسُ أسماؤهم.

وهذه قائمة بأشهر مؤلفات ابن الجوزي المطبوعة، مع بيان موضوعِ كُلِّ كتاب:

م	اسم الكتاب	موضوع الكتاب
١	«زاد المسير في علم التفسير»	تفسير القرآن بالمأثور
٢	«صيد الخاطر»	سوانح وتأملات
٣	«صفة الصفوة»	تراجم الزهاد والأولياء
٤	«العلل المتناهية في الأحاديث الواهية»	نقد الأحاديث والعلل
٥	«الموضوعات»	بيان الأحاديث الموضوعة
٦	«تلبيس إبليس»	طرق الشيطان في الإغواء
٧	«المنتظم في أخبار الملوك والأمم»	تاريخ الدول
٨	«أحكام النساء»	أحكام المرأة
٩	«دفع شبهة التشبيه»	ردّ على المجسِّمة(الحنابلة)
١٠	«المصباح المضيء في خلافة المستضيء»	ترجمة الخليفة العباسي
١١	«نزهة العيون والنواظر في علم الوجوه والنظائر»	علوم القرآن
١٢	«أخبار أهل الرسوخ في الفقه»	الناسخ والمنسوخ
١٣	«الأذكياء»	أخبار الأذكياء

م	اسم الكتاب	موضوع الكتاب
١٤	«أعمار الأعيان»	تراجم
١٥	«المشيخة»	أسماء شيوخ ابن الجوزي
١٦	«مناقب الإمام أحمد»	ترجمة الإمام أحمد
١٧	«كشف المشكل من حديث الصحيحين»	الحديث الغريب
١٨	«لفتة الكبد إلى نصيحة الولد».	وصيته لأحد أبنائه.

بعد رجوع ابن الجوزي إلى بغداد عائدًا من «المنفى» في «واسط»[1]، مكث قرابة عامين يعظ ويفتي ويفيد.

قال سبطه: جلس جدِّي تحت تربة أم الخليفة عند معروف الكرخي، وكنتُ حاضرًا، فأنشد أبياتًا، قطع عليها المجلس وهي:

الله أسألُ أن يطوِّل مدَّتي — لأنال بالإنعام ما في نيَّتِي

لي هِمَّةٌ في العِلم ما إنْ مثلُها — وهي التي جنت النُّحول هي التي

خُلقت من العلق العظيم إلى المنى — دُعيت إلى نيل الكمال فلبَّتِ

كم كان لي من مجلس لو شُبِّهَت — حالاته لتشبَّهت بالجَنَّة

(١) «واسط»: مدينة عراقية، تقع بين البصرة والكوفة، بُنيت في عهد «الحجاج الثقفي» (ت: ٩٥ هـ) وكانت تسمَّى «واسط الحجَّاج» نسبة إليه. انظر: الحموي: «معجم البلدان»: (٥/ ٣٤٦).

أشـــتاقه لمـــا مضـــت أيامـــه　　عُطْـــلًا وتُعْـــذُر ناقـــة إن حنَّـــتِ

يا هـــل للـــيلاتٍ بجمـــعٍ عـــودةٌ　　أم هـــل علـــى وادي مِـــنًى مـــن نظـــرةِ

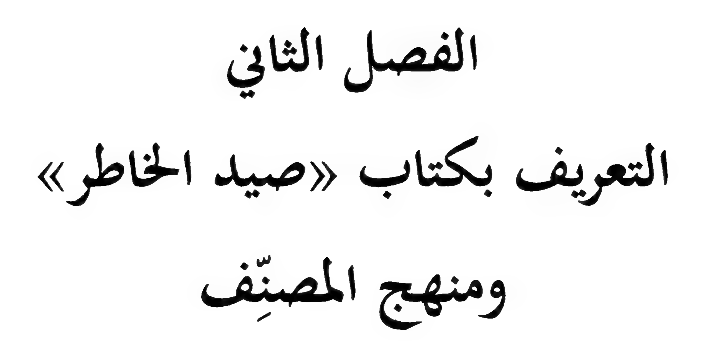
قـــد كـــان أحلـــى مـــن تصاريف الصَّبا　　ومـــن الحمـــام مغَنِّيًـــا في الأيكـــة

فيـــه البـــديهات الـــتي مـــا نالهـــا　　خلـــق بغـــير مخمَّـــر ومبيَّـــتِ

وبعد ارتجال الأبيات نزل أبو الفرج، فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة (١٢/ ٩/ ٥٩٧هـ) في داره الواقعة في (قَطُفْتا)، وقد صلَّى عليه ولده أبو القاسم علي، ودفن بمقبرة باب حرب عند أبيه. وكان عمره عند وفاته سبعًا وثمانين سنة تقريبًا. رحمه الله تعالى(١).



(١) الذهبي: «سير أعلام النبلاء»: (٢١/ ٣٧٨ ـ ٣٨٠) وفيه وصف لجنازته ودفنه.



الفصل الثاني

التعريف بكتاب «صيد الخاطر» ومنهج المصنِّف

الفصل الثاني

التعريف بكتاب «صيد الخاطر» ومنهج المصنف

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: اسم الكتاب، ومدلوله الاصطلاحي والشرعي.

- المبحث الثاني: مخطوطات كتاب «صيد الخاطر» وطبعاته.

-المبحث الثالث: مقاصد ابن الجوزي في مصنفه «صيد الخاطر».

- المبحث الرابع: موارد ابن الجوزي في كتاب «صيد الخاطر».

- المبحث الخامس: المنهج الوعظي في كتاب «صيد الخاطر».



المبحث الأول

اسم الكتاب، ومدلوله الاصطلاحي والشرعي

المتأمل في حياة ابن الجوزي يلحظ أن أبا الفرج صاحب شخصية تأملية ناقدة، وقد رُزِقَ حظًّا من البصيرة بأحوال الناس والمجتمعات بسبب اتساع معارفه وظروف نشأته وكثرة تجاربه ومشاهداته. وقد كان صاحب حدس وفراسة في الحُكم على مشاهداته ومسموعاته. وأسوقُ هنا مثالين للتدليل على هذا:

الأول: قوله: «مَرَّ بي حمَّالان تحت جذع ثقيل، وهما يتجاوبان بإنشاد النغم وكلمات الاستراحة، فأحدهما يصغي إلى ما يقوله الآخر، ثم يعيده أو يجيبه بمثله، والآخر همته مثل ذلك. فرأيتُ أنهما لو لم يفعلا هذا، زادت المشقة عليهما وثقل الأمر، وكلما فعلا هذا هان الأمر. فتأملتُ السبب، فإذا به تعليق فكر كل واحدٍ منهما بما يقوله الآخر، وطربه به، وإجالة فكره في الجواب بمثل ذلك، فينقطع الطريق، وينسى ثقل المحمول. فأخذتُ من هذا إشارة عجيبة، ورأيت الإنسان قد حُمّل من التكاليف أمورًا صعبة، ومن أثقل ما حُمّل مداراة نفسه وتكليفها الصبر عما تحب وعلى ما تكره، فرأيتُ الصواب قطع طريق الصبر بالتسلية، والتلطف للنفس كما قال الشاعر:

فإن تشكَّت فعلِّلها المجَرَّة من ... ضوء الصباح وعِدها بالرَّواح ضُحى»[١]

---

(١) «صيد الخاطر»: (الخاطرة رقم: ٥٩).

الثاني: قوله: «والله لقد رأيتُ من يكثر الصلاة والصوم والصمت، ويتخشع في نفسه ولباسه، والقلوب تنبو عنه، وقدره في النفوس ليس بذاك، ورأيتُ من يلبس فاخر الثياب، وليس له كبير نفل ولا تخشع، والقلوب تتهافت علي محبته، فتدبرت السبب، فوجدته السريرة»[١].

والواضح أن ابن الجوزي يسوقُ خواطره في «صيده» على صيغٍ سِتّ:

الأولى: أن يستفتح الخاطرة بتأمل، كأن يقول: تأملتُ، خطر لي، تفكرت.

الثانية: أن يستفتح الخاطرة بتجربة مرَّت به، أو عاش أحداثها.

الثالثة: أن يستفتح الخاطرة بنصيحة، أو تذكير، أو غرس فضيلة.

الرابعة: أن يستفتح الخاطرة بسرد حكاية سمعها أو بلغته.

الخامسة: أن يستفتح الخاطرة بتعجب، أو صيغة جزم ونفي.

السادسة: أن يستفتح الخاطرة بتصحيح خطأ، أو تفنيد شبهة.

---

(١) المرجع نفسه: (الخاطرة رقم: ١٤٨). ولعل أكثر خواطر ابن الجوزي قوة هي، التي حكاها بصيغة: «رأيتُ» و«شاهدتُ» «ووقع لي». وقد يجمع في الخاطرة بين السماع والرؤية البصرية؛ ليكون ذلك أبلغ في إقناع المدعو. من ذلك قوله: «وقد سمعنا ورأينا جماعة من الفطناء كاملي العقل، لعبت بهم الدنيا حتى صاروا كالمجانين، فولوا الولايات فخرجوا إلى القتل والضرب والحبس والشتم وذهاب الدِّين والمباشرة للظلم، كله لأجل دنيا تذهب سريعًا، وهي في مدة إقامتها معجونة بالنّغص». المرجع نفسه: (ص / ٣٩٠).

لقد سمّى ابن الجوزي مذكراته التي جمعها من خواطره وسوانحه ويومياته بـ «صيد الخاطر»، وهي تجارب عالم سلخ ما يزيد على نصف قرن من عمره في التدريس والبحث والتصنيف.

والصيد هو الاصطياد، والمراد به الأخذ بالحبالة، أو الإيقاع في الشَّرك. وكل وحش صيد، صيد أو لم يصد، حكاه ابن الأعرابي، قال ابن سيده: وهذا قول شاذ. وقد يقع «الصيد» على «المصيد» نفسه.

تسميته بالمصدر كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾[1]، ولا يقال للشيء صيد إلا ما كان متمنعًا حلالًا، ولا مالك له[2].

والخاطر: ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر. وقال ابن سيده: الخاطر: الهاجس.

جمعه: الخواطر. قال شيخنا: فهما مترادفان، وفرَّقَ بينهما وبين حديثِ النفس الفقهاءُ والمحدِّثون وأهل الأصول، كما فرّقوا بين الهم والعزم، وجعلوا المؤاخذة في الأخير دون الأربعة الأول. وقال الزمخشري: الخواطر ما يتحرك بالقلب من رأي أو معنى، وعدّه من المجاز[3].

---

(١) سورة المائدة: (الآية ٩٥).

(٢) الزبيدي: «تاج العروس» - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ: (٣/ ٢٦١).

(٣) المرجع نفسه: (١١/ ١٩٤).قلتُ: ما رقمه ابن الجوزي في ثنايا كتابه (الصيد) يصح تسميته بالخواطر أو بالفصول، وقد رقم هو هذا المعنى عند قوله: «لما أنهيتُ الفصل المتقدِّم هتف بي =

والفرق بين «الخاطر» و«النظر»: أن الخاطر مرور معنى بالقلب بمنزلة خطاب مخاطب يحدث بضروب الأحاديث. والخواطر تنقسم بحسب المعاني، إذ كل معنى فله خاطر يختصه، يخالف جنس ما يختص غيره، ومن كمال العقل تصرف القلب بالخواطر، ولا يصح التكليف إلا مع ذلك، وعند أبي علي أن الخاطر جنس من الأعراض لا يوجد إلا في قلب حيوان، وأنه شيء بين الفِكر والذكر؛ لأن الذكر علم، والفكر جنس من النظر الذي هو سبب العلم، والخواطر تنبِّه على الأشياء وتكون ابتداءً ولا تولد علمًا، ومنزلة الخاطر في ذلك منزلة التخيُّل في أنه بين العلم والظن؛ لأنه تمثل شيء من غير حقيقة، وعند البلخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كلام يحدثه الله تعالى في سمع الإنسان، أو يحدثه الملك أو الشيطان فإذا كان من الشيطان سمي وسواسًا. وإلى هذا ذهب أبو هاشم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ والذي يدل على أن الخاطر ليس بكلام، ما يدل من أفعال الأخرس على خطور الخواطر بقلبه، وهو لا يعرف الكلام أصلًا ولا يعرف معانيه؛ وعن إبراهيم أنه لابد من خاطرين أحدهما يأمر بالإقدام، والآخر بالكفّ ليصح الاختيار، وعن ابن الراوندي (ت: ٢٩٨هـ) أن خاطر المعصية من الله تعالى،

= هاتف..». (خاطرة رقم: ٥٥)، وفي مقدِّمة الكتاب وخاتمته سمَّى صيده خواطرًا. وهذه فائدة نفيسة قلَّ من ينتبه لها.

وأن ذلك كالعقل والشهوة؛ لأن الشهوة ميل الطبع إلى المشتهي، والعقل التمييز بين الحسن والقبيح[(١)].

و قد نصَّ ابن الجوزي على تسمية كتابه بـ «صيد الخاطر»، في صدر كتابه حين قال: «ورأيتُ في نفسي أنني كلما فتحت بصر التفكر، سنح له من عجائب الغيب ما لم يكن في حساب، فانثال عليه من كثيب التفهيم ما لا يجوز التفريط فيه، فجعلتُ هذا الكتاب قيدًا لصيد الخاطر»[(٢)].

ونص على ذلك أيضًا في خاتمة كتابه حين قال: «بحمد الله تعالى قد نجز ما توخّاه الفكر الفاتر من تقييد ما جمعه القلم من صيد الخاطر»[(٣)]، وهذان النصان من أثبت الأدلة على صحة نسبة كتاب صيد الخاطر إلى ابن الجوزي. وفي ثنايا الكتاب دلائل متينة تؤكد صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه ،وأهمُّها دلالتان:

---

(١) أبو هلال العسكري: «الفروق» - دار جرس برس - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ: (ص / ٨٢).قلت: هذا التأصيل الذي نقله العسكري فيه نظر، وفيه لوثة إعتزالية ، والصواب أن للعبد تكليف واختيار، وهو ليس مجبور على فعله. انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/٢٣٣) .

(٢) «صيد الخاطر» (الخاطرة رقم: ٧٤).

(٣) المرجع نفسه: (الخاطرة رقم: ٣٧٢).

الأولى: استطراد ابن الجوزي في الحديث عن طفولته ونشأته وأحداث عصره.

الثانية: ذكره لبعض أسماء مصنفاته كـ «المنتظم» و«تلبيس إبليس» و«الأذكياء»[١].

وكل من ترجم لابن الجوزي من علماء القرن السادس الهجري ومن بعدهم ،اتفقوا على صحة نسبة كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي.

لكن هاهنا سؤالان مهمان: متى صنف ابن الجوزي كتابه صيد الخاطر؟ وكم عدد أجزائه؟.

لا ريب أن ابن الجوزي صنَّف كتابه في «بغداد» قبل تعرضه للنكبة التي دبرها له الوزير ابن القصاب المعروف بتشيعه، والتي كانت في سنة (٥٩٠ هـ). ولم تُشر المصادر الى تاريخ تصنيف ابن الجوزي لكتابه «صيد الخاطر»، لكن القرائن ترجِّح أنه صنَّف كتابه قبل سنة (٥٦١ هـ)، واستمر في تصنيفه إلى قريب من سنة (٥٨٥ هـ)، والدليل على ذلك أنه أشاد في «صيد الخاطر» إلى حادثة في أواخر كتابه إلى تقدُّمه في السن ومحاسبة نفسه على التقصير في العبادة[٢].

---

(١) «صيد الخاطر»: (الخاطرة رقم: (٣٠٩، ٣٥١، ٧١، ٢٤٧، ٣٠٩، ٣١٣، ٨٥).

(٢) ومن الشوارد العلمية أن ابن الجوزي نفسه أشار في صيد الخاطر(خاطرة رقم: ١٧٨) إلى سنة (٥٧٥هـ)هـ وهو يدوِّن إحدى خواطره في نصف الكتاب تقريبًا .فهذا يدل أنه كان قد شرع في تأليفه قبل هذا التاريخ بعدة سنوات، ولم يبيِّضه أو ينقحه. وتبيَّن لي من خلال دراسة حياة ابن =

ويستفاد من هذا عدة أمور:

الأول: أن ابن الجوزي شرع في تصنيف «صيد الخاطر» بعدما أتم خمسين سنة من عمره تقريبًا.

الثاني: أنه كان يدوِّن يومياته ومذكراته بين الفينة والأخرى، وقد يكون بين الخاطرة والتي تليها عدة شهور، أو ربما عدة سنين كما تقدم قريبًا.

الثالث: أن المصَّنف عكف على العناية بتصنيفه تحريرًا وتبويبًا قرابة عشرين عامًا، وقد أعانه على ذلك تضلعه في التفسير والوعظ وسعة الاطلاع.

الرابع: أن كتاب «صيد الخاطر» هو آخر ما خطته يراع ابن الجوزي. فمنذ حلَّت به النكبة سنة (٥٩٠هـ)وحبسه في مدينة «واسط» وبقائه فيها خمس سنوات، لم يتفرغ للتصنيف إلي حين وفاته سنة(٥٩٧هـ).

أما مدلول كتاب «صيد الخاطر» فينقسم إلى قسمين:

الأول: المدلول الاصطلاحي.

الثاني: المدلول الشرعي.

= الجوزي أن آخر كتاب صنَّفه ابن الجوزي هو كتاب: «درة الإكليل في التاريخ» وقد ذيَّله على كتابه «المنتظم». انظر: سبط ابن الجوزي: «مرآة الزمان» (ص / ٣٥٣) وحسن عبد الحكيم «كتاب المنتظم – دراسة في منهجه وموارده» (ص / ٢٣).

فالمدلول الاصطلاحي، هو ما أشار إليه ابن الجوزي في مواطن محددة من كتابه، حيث قال: «لما كانت الخواطر تجول في تصفح أشياء تعرض لها، ثم تعرض عنها فتذهب، كان من أولى الأمور حفظ ما يخطر لكيلا ينسى. وكم قد خطر لي شيء، فأتشاغل عن إثباته فيذهب، فأتأسف عليه، ورأيتُ من نفسي أنني كلما فتحت بصر التفكر، سنح له من عجائب الغيب، ما لم يكن في حساب، فانثال عليه من كثيب التفهيم ما لا يجوز التفريط فيه، فجعلت هذا الكتاب قيدًا لصيد الخاطر»(١).

وقال في آخر كتابه: «بحمد الله تعالى قد نجز ما توخاه الفكر الفاتر، من تقييد ما جمعه القلم من «صيد الخاطر»(٢)».

لقد أبان ابن الجوزي عن مدلول كتابه، وهو تقييد الخواطر والسوانح والتأملات التي تكون مليئةً بالفوائد التي لا يجوز التفريط فيها، وتلك الخواطر الفريدة لا تأتي كل حين، فيخشى المصنف فواتها ونسيانها، فيقيدها ويعلق عليها ويوضح لطائفها وأسرارها.

وخواطر ابن الجوزي متعددة: في النفس، والعقائد، والذنوب والمعاصي، وأخلاق الناس، والعلم وأهله، والجهل وأهله، والحياة والموت وغيرها.

---

(١) «صيد الخاطر»: (الخاطرة رقم: ١).

(٢) المرجع نفسه: (الخاطرة ٣٧٢).

ويلاحظ على ابن الجوزي صراحته وتواضعه في إيراده لخواطره وذكرياته في صباه وشبابه وكهولته، فلا ضير عنده أن يبوح ببعض أسرار نفسه كإعجابه مرة بعلمه ووعظه وميله إلى بعض شهوات الحس، وندمه على بعض المعاصي. وغير ذلك من السوانح.

ومن خصائص مدلول خواطر ابن الجوزي أنه يتحدث بلسان العامة، فيخرج أخلاقهم وطباعهم، ويفتش عن أحوالهم وخصالهم، فيباشرها مباشرة الطبيب الحاذق، فيشخص الداء ويصف الدواء، كل ذلك بعبارة رشيقة، وقول مختصر مفيد. وأسوق هنا ثلاثة أمثلة للتوضيح:

الأول: قوله: «ولقد رأيتُ كثيرًا من المتعبدين وهو في مقام العجائز يسبح تسبيحات لا يجوز النطق بها، ويفعل في صلاته ما لم ترد به السُّنة، ولقد دخلتُ يومًا على بعض من كان يتعبد، وقد أقام إمامًا، وهو خلفه في جماعة يصلي بهم صلاة الضحى ويجهر، فقلت لهم: إن النبي ﷺ قال: «صلاة النهار عجماء»[(١)]، فغضب ذلك الزاهد وقال: كم ينكر هذا علينا وقد دخل فلان وأنكر، وفلان أنكر، نحن نرفع أصواتنا حتى لا ننام. فقلت: واعجبًا، ومن قال لكم: لا تناموا، أليس في الصحيحين من حديث ابن عمرو أن النبي ﷺ قال له: «قم، ونم»[(٢)].

---

(١) ابن أبي شيبة: «المصنَّف»: (١/ ٣٦٤) وعزاه إلى الحسن البصري، ولا يصح مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري: (كتاب الصوم - باب صوم يوم وافطار يوم - رقم الحديث ١٩٧٨) وأخرجه مسلم: (كتاب الصوم باب النهي عن صوم الدهر - رقم الحديث ١١٥٩.

وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينام، ولعله ما مضت عليه ليلة إلا ونام فيها. ولقد شاهدت رجلًا كان يقال له: حسين القزويني بجامع المنصور، وهو يمشي في الجامع مشيًا كثيرًا دائمًا، فسألتُ: ما السبب في هذا المشي؟ فقيل لي: حتى لا ينام. وهذه كلها حماقات أوجبها قلة العلم؛ لأنه إذا لم تأخذ النفس حظها من النوم اختلط العقل، وفات المراد من التعبد لبُعد الفهم»[(١)].

الثاني: قوله: «ولقد رأيتُ من الناس عجبًا، حتى من يتزياً بالعلم، فإن رآني أمشي وحدي أنكر عليّ، وإن رآني أزور فقيرًا عظم ذلك، وإن رآني أنبسط بتبسم نقصتُ من عينه، فقلت: فوا عجبًا هذه كانت طريق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فصارت أحوال الخلق نواميس لإقامة الجاه لا جرم: فالتفِتوا إخواني إلى إصلاح النيات، وترك التزين للخلق، ولتكن عمدتكم الاستقامة مع المالك، فبذلك صعد السلف وسعدوا»[(٢)].

الثالث: قوله: «ما رأيتُ أحمق من جمهور قصاص زماننا، فإنه يحضر عندهم العوام الغشم، فلا ينهونهم عن خمر، وزنى، وغيبة، ولا يعلمونهم أركان الصلاة، ووظائف التعبد، بل يملؤون الزمان بذكر الاستواء، وتأويل الصفات، وأن الكلام قائم بالذات، فيتأذى بذلك من كان قلبه سليمًا. وإنما على العاصي أن يؤمن بالأصول الخمسة: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر،

(١) «صيد الخاطر»: (الخاطرة رقم: ١٦٢).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة: ١٧٩).

ويقنع بما قال السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق، والاستواء حق، والكيف مجهول، وليعلم: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكِّلف الأعراب سوى مجرد الإيمان، ولم تتكلم الصحابة في الجواهر والأعراض. فمن مات على طريقهم، مات مؤمنًا سليمًا من بدعة، ومن تعرض لساحل البحر وهو لا يحسن السباحة، فالظاهر غرقه»[١].

أما المدلول الشرعي لخواطر ابن الجوزي في «صيد الخاطر» فيمكن إيراده في النقاط التالية:

(أ): التنبيه على أهمية الضروريات الخمس: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعِرض، والمال.

(ب): التحذير من الغفلة والشهوات البهيمية.

(ج): تذكير الإنسان بنعم الله تعالى الظاهرة والباطنة.

(د): تعريف الناس بمظاهر الانحراف القلبي والخلقي في القرن السادس الهجري.

(هـ): تعريف الناس بالطب النبوي الملائم لأبدانهم وأسقامهم.

(و): وجوب الاستعداد للآخرة وعدم التفريط في المصالح الدنيوية.

(ز): تنبيه المسلم إلى وجوب مراعاة فقه الأولويات والمصالح العليا.

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة: ٢٠٧).

فابن الجوزي في كل فصل -تقريبًا- من فصول كتابه، نشر خواطره اليومية والحولية؛ كي يجعل القارئ يتفيأُ دوحة العلم الشرعي والتربية الإسلامية الأصيلة، ليكون ربانيًا في أخلاقه ومعاملاته، مستنًا بجادة السلف، متبصرًا لأمور معاشه وأحواله، طارحًا للغفلة والثقة بكل الناس، يأخذ بالحزم في أغلب أموره، يعتبر بقصص الماضين والمعاصرين، وما أبلغ قولَه وأفصحَ كلامَه حين قال: «وليست الطاعة كما يظن الجهال أنها مجرد الصلاة والصيام، إنما الطاعة الموافقة بامتثال الأمر، واجتناب النهي، وهذا هو الأصل والقاعدة الكلية، فكم من متعبد بعيد؛ لأنه مضيع الأصل، وهادم للقواعد بمخالفة الأمر، وارتكاب النهي، وإنما المحقق من أمسك ذؤابة ميزان المحاسبة للنفس، فأدى ما عليه، واجتنب ما نُهي عنه، فإن رزق زيادة تنفل، وإلا لم يضره»[١].



---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة: ١٤٠).

المبحث الثاني

مخطوطات كتاب «صيد الخاطر» وطبعاته

دوَّن ابن الجوزي -رحمه الله تعالى- كتابه «صيد الخاطر» في آخر حياته، ما بين الأعوام ٥٦٠- ٥٨٠هـ، وهذا يمكن استنباطه من خواطره وسوانحه التي نثرها في الكتاب.

والواضح أن ابن الجوزي كتب «صيده» ولم يُمله؛ إذ لم يعتد على هذا اللون من التصنيف في سائر مؤلفاته بناءً على الاستقراء والتتبع. وقد أشار ابن الجوزي إلى ذلك في مواضع، فقال: «لما أنهيتُ كتابة الفصل المتقدم، هتف بي هاتف من باطني: دعني من شرح الصبر على الأقدار»[١]. وقال: «لما سطرتُ هذا الفصل المتقدم، رأيتُ إذِّكار النفس بما لابد لها في الطريق منه، وهو أنه لابد لها من التلطف»[٢].

وقال أيضًا: «لما جمعتُ كتابي المسمَّى بـ «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، اطلعتُ على سِيَر الخلق من الملوك والوزراء والعلماء والأدباء والفقهاء والمحدثين والزهاد وغيرهم، فرأيتُ الدنيا قد تلاعبت بالأكثرين تلاعبًا أذهب أديانهم...»[٣].

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة: ٥٥).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة: ٧١).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة: ٣٥١).

المطلب الأول

مخطوطات «صيد الخاطر»

يجد الباحثُ في فهارس المكتبات العربية والعالمية نبذة عن مخطوطات كتاب صيد الخاطر، وأماكن الحصول عليها. وقد تتبعتُ المصادر الرئيسة لفهارس المكتبات العربية والعالمية، وتبيَّن لي أن هناك ثمان نُسخ لمخطوطات «صيد الخاطر» وهي:

١- النسخة الخطية لمكتبة جامعة «ليبزج» بألمانيا، برقم: (٨٧٤).

٢- النسخة الخطية لمكتبة «أيا صوفيا» باسطنبول بتركيا، برقم: (٣٩٥٩).

٣- النسخة الخطية لمكتبة الفاتح باسطنبول بتركيا، برقم: (٤٠٠٤).

٤- النسخة الخطية لدار الكتب المصرية بالقاهرة بمصر، برقم (١/ ٣٢٩/٢٣٠م).

٥- النسخة الخطية لمكتبة الشيخ عبدالله البراهيم السليم، بالقصيم بالسُّعودية. بدون رقم[(١)].

---

(١) حصلتُ على بعض معلومات هذه النُّسخ، من الحاسب الآلي بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض. وبعض المعلومات الأخرى دوَّنتُها من خِلال سؤال خُبراء المخطوطات بمصر وبغداد .

٦-نسخة جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، ونسخة جامعة الملك سعود، برقم (٢٩١).

٧-نسخة الاحقاف باليمن، بدون رقم أو تاريخ.

٨-نسخة المكتبة العباسية بالبصرة، رقم(٤٩/هـ) تاريخ النسخ سنة ٧٠٠ هجري.

وهذه النسخ قطعًا ليست منقولة عن الأصل الذي كتبه المؤلف، وليس عليها سماعات، ولم تُقرأ عليه.

وليس ببعيد أن تكون منسوخة عن أصل واحد متأخِّر، والدليل على هذا الحُكم أن جميع طبعات «صيد الخاطر» القديمة والحديثة منضودة عن نسخة واحدة، فلا ريب أن هذا الاتفاق يعود إلى أن المخطوطات لـ «صيد الخاطر» لا فرق بينها بسبب نسخها عن أصل متأخِّر، يعود تقريبًا إلى أواخر الدولة العثمانية، ما عدا نسخة المكتبة العباسية بالبصرة .ويُستنتج هذا من تأمل الخط الذي كُتبت به النُّسخ. والعلم عند الله تعالى.

ويجب التنبيه إلى أن بعض النسخ الخطية لـ«صيد الخاطر» كتب عليها عنوان مختلف: «قيد صيد الخاطر» و«فيض الخواطر» ،كما في نسخة مكتبة «رامفود»: (١:٣٥٧ (٢٦٥) ونسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية: (١: ٣٢٩). وقد تقدم قريبا ًأن المصِّنف سمَّى كتابه «صيد الخاطر»، وقد

أوردت الأدلة على ذلك. والواضح أن هذه العناوين المغلوطة من تسامح النساخ وتصحيفاتهم.

ولا أعلم–حسب بحثي– أن هناك مصَّنفًا بخط ابن الجوزي نفسه ،سوى تصحيح سماع لأحد طلابه، قيَّدَه ابن الجوزي بخطه هكذا: «هذا صحيح، وكتب عبدالرحمن بن علي بن مُحَمَّد بن الجوزي».

وقد أُثبت صورة هذا السماع وخط المصِّنف نقلًا عن مخطوطة «أعمار الأعيان» لابن الجوزي، وكتب النسخة «مُحَمَّد بن عمر بن أبي بكر بن عبدالله المقدسي» وتاريخ السماع: الثامن عشر من شوال سنة ٥٨٥هـ. أي قبل وفاة ابن الجوزي باثني عشر عامًا، رحم الله الجميع.

وقد قيّدت مجموعة من الملاحظات المهمة المتعلّقة بمخطوطة صيد الخاطر، وهي:

(أ): جميع مخطوطات صيد الخاطر المحفوظة في خزائن المكتبات العربية والعالمية ،منقولة عن نسخة واحدة كتبت في القرن الثامن الهجري تقريبًا.

(ب): النُّسخ الخطية لكتاب صيد الخاطر مليئة بالتصحيف والتحريف والسقط والإعجام.

(ج): جميع مخطوطات صيد الخاطر المحفوظة في خزائن المكتبات العربية والعالمية، التي تهيأ لي الاطلاع عليها، لم يُقيَّدْ عليها سماع على المؤلف، ولا إجازة منه.

(د): يُظنّ أَنَّ مخطوطة صيد الخاطر لابن الجوزي التي نُسخت بعد وفاته لم تصلنا كاملة، ويُستدل لذلك بعدة قرائن:

الأولى: تعرضت كتب ابن الجوزي للحرق من قبل خصومه وأعدائه، وغرق بعضها الآخر، وقد أقرّ هو بذلك حيث قال: «وغرقت كتبي، فسلم لي مجلد فيه ورقتان بخطِ الإمام أحمد».

وفي محنته المشهورة أمر الركن عبد السلام بن عبد الوهاب الجيلي المتهم بسوء العقيدة بالختم على كتب ابن الجوزي. والختم على الكتب قديمًا تقرير يفعله بعض الولاة، يقصد منه منع ظهور كتاب معيّن إما بإتلافه أو بحبسه.

الثانية: تسلُّط ابنه علي بن عبد الرحمن بن الجوزي، المكنّى بأبي القاسم، على كتبه وبيعها بأقل من ثمن المداد، وقد أشار إلى ذلك الإمام الذهبي حين قال: «.. لزم البطالة والنذالة مدة، ثم لزم النسخ، وليس خطه جيدًا، وكان متعفّفًا يخدم نفسه، ينال من أبيه، وربما غلّ من كتبه»[(١)].

الثالثة: ذكر خليل بن أيبك الصفدي والحافظ ابن رجب أن كتاب «صيد الخاطر» يقع في خمسة وستين جزءًا[(٢)]، ولا ريب أن الجزء عند العلماء المتقدِّمين يقع في اثنتي عشرة ورقة تقريبًا، ومعلوم أن كتاب «صيد الخاطر» في طبعاته الحالية يقع في أربعمائة صفحة في الغالب، فيكون عندنا من النسخة

---

(١) الذهبي: «سير أعلام النبلاء»: (٢٢/ ٣٥٢).

(٢) انظر: الصفدي «الوافي بالوفيات» (٤/ ٥٥)، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: (٣/ ٨٧).

الأم ثلاثة وعشرون جزءًا فقط، أي أدنى من ثلث الكتاب الذي رقمه المصنّف.

الرابعة: منهج تصنيف «صيد الخاطر» يمنع الجزم باكتمال الكتاب، فقد رقمه مؤلفه على فصول، يتأمل فيها ويتفكر، ولا يكاد يربط بينها وبين ما بعدها أي رابط، لكن الغريب في هذا أن كل من نشر أو حقَّق كتاب «صيد الخاطر» لا يدرج صورة المخطوطة التي اعتمدها في التحقيق، أو قابل النسخة المطبوعة عليها، **ولعل السبب في ذلك يعود إلى أمرين:**

الأول: رداءة الأصل المخطوط، وكثرة التصحيف والتحريف في صفحاته.

الثاني: مطابقة النسخ المخطوطة، وأغلب الظن أنها مصورة من أصل واحد متأخر.

أن هذه القرائن الأربع وإن كانت قوية ، لا نستطيع من خلالها أن نجزم بنقص النُّسخ الخطية لكتاب «صيد الخاطر» **لعدة أسباب:**

الأول: تواتر نقل الكتاب وعدم التشكيك في اكتماله من الباحثين والمحقِّقين.

الثاني: لم ينبِّه جمعٌ من العلماء من المحققين القدامى على نقص الكتاب.

الثالث: وقفتُ على نص للإمام «محمد بن عبدالواحد المقدسي» ،يرفع الإشكال الوارد في قول الصفدي وابن رجب: إن كتاب «صيد الخاطر» يقع في خمسة وستين جزءًا ،بينما قال الذهبي والداودي: إنه يقع في ثلاثة مجلدات،

فقد قال الإمام المقدسي واصفًا كتاب التاريخ لابن منده:«وهو ثلاثة وخمسون جزءًا في نسختين، ونسخة شيخ الإسلام أبي العلاء العطار أربع مجلدات»[١].

فمن توهَّم أنَ النسخ الخطية لكتاب «صيد الخاطر» ناقصة بناءً على الإشكال الوارد في مقارنة وصف الصفدي وابن رجب بوصف الذهبي والداودي، فإنه قد جانب الصواب وخالف جادة العلماء في قياسهم لمصنفاتهم علي الأجزاء والكتب.

والجزء عند المتقدَمين ليس له ضابط يُعرف به، فمنهم من جعله عشرة أوراق، ومنهم من جعله اثنتي عشرة ورقة.

وقد تكون الأجزاء كبيرة، وقد تكون صغيرة، تبعًا لاختلاف النُّسخ. أما المجلد فيقع عند أكثر العلماء في عشرة أجزاء حديثية، عدد أوراق الجزء منها عشرون ورقة[٢]. ولو اختلف الخط بين النسخة الواحدة سواء بين الجزء أو المجلَد، لم يعد للتفريق المتقدم أدنى فائدة. والله أعلم.



(١) موفق عبد القادر: «توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين» دار المنارة. الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ (ص/ ٢٢٨).

(٢) المرجع نفسه: (ص / ٢٢٩).

المطلب الثاني

طبعات «صيد الخاطر»

ظل كتاب «صيد الخاطر» مخطوطًا مدة (٧٦٥) خمس وستين وسبعمائة سنة، حبيس الخزائن والمكتبات لا يعرفه إلا الخاصة من العلماء والمحققين، حتى فزع إليه الكتبي الشهير الشيخ «مُحَمَّد أمين بن عبدالعزيز الخانجي» المعروف بعقيدته السلفية، والمجاهد بماله لخدمة تراث العلم والعلماء. وقد أسند تحقيقه والتعليق عليه إلى ثلّة من المصحِّحين النبهاء من ذوي العلم والدراية، لعل من أشهرهم الشيخ «بدر الدين النعساني» وكان ذلك سنة(١٣٤٥هـ) ،وطبع الكتاب في مطبعة الشرق سنة(١٣٤٥هـ)، وهي أول طبعة لكتاب «صيد الخاطر» في العالم العربي والإسلامي.

ثم طبع بعد ذلك طبعات كثيرة يصعب الإحاطة بها. وقد وقفتُ -ولله الحمد- على عشرين طبعة لهذا الكتاب، بعضها جيد والبعض الآخر إنما هو تسويد للورق.

وهذه قائمة مختارة بأشهر الطبعات التي وقفتُ عليها من كتاب «صيد الخاطر»[١]:

١- طبعة دار الخانجي بمصر – مصحَّحة بدون اسم المحقِّق.

---

(١) قمتُ ولله الحمد بقراءة جميع هذه الطبعات والإفادة منها، وقد وجدتُ ملاحظات على بعضها أشرتُ إليها في ثنايا الكتاب.

٢- طبعة دار المنارة بسوريا- تحقيق ناجي الطنطاوي.

٣- طبعة دار الكتب الحديثة بلبنان – تحقيق: مُحَمَّد الغزالي.

٤- طبعة مكتبة الكليات الازهرية- تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا.

٥- طبعة دار الباز بمكة- تحقيق: سيد زكريا.

٦- طبعة دار الفكر بسوريا- تحقيق: أسامة مُحَمَّد السيد.

٧- طبعة دار الصميعي- تحقيق: صالح الونيان.

٨- طبعة دار الأرقم بلبنان – مصحَّحة بدون اسم المحقق.

٩- طبعة ابن خزيمة بالرياض- تحقيق: عامر بن علي ياسين.

١٠- طبعة دار اليقين بمصر- تحقيق: د. عبدالرحمن البر.

١١- طبعة دار ابن رجب بمصر- تحقيق: مصطفى العدوي ومُحَمَّد العلاوي.

١٢- طبعة دار الحديث بالقاهرة- تحقيق: أيمن صالح شعبان.

١٣- طبعة دار القلم بسوريا- تحقيق: حسن السماحي.

١٤- طبعة دار اليمامة بسوريا- تحقيق: يوسف بديوي.

١٥- طبعة دار الرشد بالرياض- تحقيق: رمزي السعدي.

١٦-طبعة دار الكتب العلمية-تحقيق: حسين محمود الصادق.

١٧-طبعة مدار الوطن بالرياض-تحقيق: طارق عوض الله.

١٨-طبعة دار الفكر-تحقيق: مُحَمَّد عبد الرحيم.

١٩-طبعة المكتب الإسلامي-تحقيق: مُحَمَّد الأصفر.

٢٠-طبعة دار الإيمان-تحقيق: فيصل الحاشدي.

وسوف أتحدَّث عن أفضل الطبعات التي وقفتُ عليها، من تاريخ نشر الكتاب قبل مئة سنة تقريبًا إلى اليوم ، مع الإشارة إلى بعض الملاحظات على كل طبعة إن وجدت:

أ- طبعة الخانجي:

ظهرت هذه الطبعة سنة ١٣٤٥هـ بمصر، في (٤٥٦) صفحة من القطع المتوسط، وقد اعتمد المحقق على ثلاث نسخ خطية. ولم يُذكر اسم المحقق، لكن القائم على طبعات دار الخانجي في تلك الحقبة كان مجموعة من أهل العلم، برئاسة الشيخ «بدر الدين النعساني»[(١)].

فلعل العمل على تحقيق الكتاب كان بإشرافه ومتابعته. وهذه الطبعة من أجود طبعات الكتاب، وقد اتخذها أصلًا كلُّ من قام بطبع «صيد الخاطر» بعد تلك الطبعة. ويُلاحظ على هذه الطبعة قلة العناية بالتعليق على المواضع المبهمة والمهمة، وعدم عمل فهارس فنية للإفادة من الكتاب.

---

(١) انظر للإفادة حول دور مكتبة الخانجي في خدمة العلم وأهله: «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي» (ص / ٥٩). وبدر الدين النعساني: «مُحَمَّد بن مصطفى بن رسلان الحلبي» ولد في حلب سنة ١٢٩٨ هـ وتوفي سنة ١٣٦٢ هـ. انظر ترجمته في «الأعلام»: (٧/ ١٠٢).

ب: طبعة دار ابن خزيمة:

ظهرت هذه الطبعة في الرياض سنة ١٤١٩هـ، وهي الطبعة الثانية للكتاب، وقد حقَّق الكتاب وعلق عليه: عامر بن علي ياسين. وقد اعتمد في تحقيقه للكتاب علي أربع نسخ مطبوعة من الكتاب، وتقع طبعته في (٧٨٧) صفحة من القطع المتوسط. وتمتاز هذه الطبعة بتتبع المحقق لكلام ابن الجوزي والتنبيه على مواضع الزلل في عقيدته، وتخريج أحاديث وآثار الكتاب التي وقف عليها، والترجمة لجميع أعلام الكتاب تقريبًا.

وهذه الطبعة علي جودتها يُلاحظ عليها: عدم اعتماد المحقق على نسخ خطية للكتاب والاكتفاء بالمقابلة على المطبوع، مما أوقعه في تحريف وتصحيف بعض الأعلام والمصطلحات، ولم يصنع المحقق فهارس فنية للإفادة من الكتاب.

ج- طبعة دار القلم:

ظهرت هذه الطبعة في دمشق سنة ١٤٢٥هـ في (٦٠٠) صفحة من القطع المتوسط، وقد حقَّق الكتاب «حسن السماحي» ،وقد اتخذ من طبعة الخانجي أصلًا، وجعل بعض طبعات الكتاب القديمة فيصلًا في كشف مواطن السقط والتصحيف. وقد خرّج ما تيسَر من أحاديث وآثار الكتاب، واعتنى بضبط النصّ، وقدّم كتابه بمقدمة نافعة عن ابن الجوزي وعصره. وقد صنع المحقق سبعة فهارس للكتاب وهي جيدة ومفيدة، وقد ذيّل طبعته بكتاب «لفتة الكبد إلى نصيحة الولد» لابن الجوزي، والتي يتفق موضوعها مع كتاب «صيد

الخاطر». يُلاحظ أن المحقق لم يشر إلى مواضع الخطأ في كلام ابن الجوزي في باب الأسماء والصفات.

د- طبعة الطنطاوي:

صدرت طبعة الشيخ ناجي الطنطاوي سنة ١٣٨٠هـ، ثم صوّرتها بعض دور النشر في الشام ومصر، فانتشر الكتاب وعرفه الناس. ونشر الكتاب في دار الفكر والمكتب الإسلامي ودار المنارة وغيرها. ومحقق الكتاب: ناجي الطنطاوي، وقد علّق عليه شقيقه علي الطنطاوي رحمهما الله تعالى.

وقد اعتمد المحقق على نسخة خطية ويبدو أنها إحدى أصول طبعة الخانجي المشار إليها قريبًا. وقد قدم المحقق كتابه بنبذة مختصرة عن ابن الجوزي، وسرد بعض فصول الموضوعات التي تناولها المصنّف، وعلّق عليها تعليقات مفيدة. ويمتاز الكتاب بتعليقات الشيخ علي الطنطاوي النافعة في باب اللغة والأدب والسلوك، وإصلاحه لبعض تحريفات النسخة الخطية التي اعتمد عليها. وقد وضع المحقق خمسة فهارس مهمة للإفادة من الكتاب، وقد اعتمد المحقق في تخريج أحاديث الكتاب على تخريجات العلامة الألباني. ومما يلاحظ على الكتاب أنه علّق عليه بتعليقات وحواشٍ في باب المعتقد لا يُتابع عليها، وتحتاج إلى زيادة تحرير.

هـ- طبعة دار اليقين:

صدرت هذه الطبعة للكتاب -وهي الطبعة الثالثة- سنة ١٤١٩هـ بتحقيق الدكتور عبدالرحمن البر، وعدد صفحات الكتاب (٦٣٧) صفحة من القطع

المتوسط. وقد قدَّم المحقق كتابه بمقدمة ماتعة عن المصِّنف وكتابه، وفيها فوائد وتحريرات مهمة. وقد أفرد المحقق للكتاب فهرسًا لأطراف الأحاديث الواردة في المتن.

وفي الكتاب تعليقات وتنبيهات جيدة. ومما يلاحظ على الكتاب أن المحقق لم يعتمد في تحقيقه على أصل خطِّي، ولم يستدرك على المؤلف زلاته العقدية في ثنايا الكتاب.

و- طبعة بديوي:

صدرت طبعة الكتاب -وهي الثانية- سنة ١٤٢٣هـ عن دار اليمامة بدمشق، بتحقيق يوسف علي بديوي في (٥٤٤) صفحة من القطع المتوسط. وقد اعتمد المحقق في نشره للكتاب على أصل مخطوط من دار الكتب المصرية. وتتميز هذه الطبعة بتعليقات مهمة عن حياة ابن الجوزي وعصره، وبها ترجمة وجيزة لأعلام الكتاب، وتوضيح لغوامض المتن، وبعض فروق النسخ. ومما يلاحظ على هذه الطبعة أن المحقق لم يفرد فهارس فنية للإفادة من الكتاب، ولم يتعرض للجوانب النقدية عند المصنف.

هذه الطبعات الست أفضلُ ما وقفتُ عليه من نشرات لكتاب «صيد الخاطر»، وكل الطبعات التي ظهرت بعدها، فقد أفادت منها، سواء صرَّح أصحابها بذلك أم لم يصرِّحوا. ولكل طبعة ميزة، ولا يستغنى عن طبعة دون سواها، لمن أراد الإفادة من الكتاب على الوجه الصحيح.

ومـن المؤسـف لـه أن جُـل عناية مـن حقَّـق كتـاب الصيد، هـو تخـريج الأحاديـث والآثار، دون العناية بتصـويب الأعـلام والمصـطلحات الـواردة في تضـاعيف الكتـاب، وقـد تأكـدتُ مـن ذلـك بنفسـي حـين مطالعـة كثـير مـن الطبعات السابقة واللاحقة.

ومـن عجائـب التصـحيف في الأعـلام الـتي لم ينتبَّـه لهـا أحـد مـن محقِّقـي كتاب «صيد الخاطر»، ما ذكره ابن الجوزي في الخاطرة (٢٨٥) في قوله: (وحدثني أبو الحسن الراندسي قال: مرض رجل عندنا...).

فكلمـة «الراندسـي» هنـا تصـحيف لكلمـة «البراندسـي». وقـد حققـت الكـلام فيـه لأهميتـه ليـتم اسـتدراكه في طبعـات «صـيد الخـاطر» لمـن شـاء مـن الباحثين.

تصحيح تصحيف في مخطوطة ومطبوعة «صيد الخاطر»:

قال ابن الجوزي «وحدثني أبو الحسن الراندسي، قال: مرض رجلٌ عندنا فبعث إليَّ فحضرت، فقـال: قـد خـتم القاضـي على مـالي. فقلـت: إن شئتَ قمتُ وفتحتُ الختم، وأعطيتك الثلث تفرقه، وتعمل به ما تشاء...)[1].

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة: ٢٨٦). البراندسي: علي بن محمد بن علي أبو الحسن البراندسي، مقـرئ، معمَّـر، مـن اهـل قريـة برانـدس، قريـة علـى نهـر عيسـى. انظـر: تاريـخ مدينـة السـلام (١٨/١٩)ومختصر تاريخ ابن الدبيثي للذهبي (٣٠٥/١) والتقييد لابن نقطة (١٩٠/٢).

لقد كتب النساخ العلم الوارد في هذا الخبر بهذا الشكل «الراندسي»، وقد نقل إلى مطبوعة «الخانجي» مُحرَّفًا على حاله. وقد تتابعت الطبعات اللاحقة كلها على هذا التحريف.

ولما شككتُ في هذا التحريف راجعت كتاب «المنتظم» لابن الجوزي، فوجدت العبارة التالية: «لما بنى عون الدين بن هبيرة مدرسة بباب الأزج ،جعل أبا الحسن علي بن مُحَمَّد المعروف بـ «البراندسي» مدرسًا فيها»[1].

والأدلة على هذا التصويب كثيرة منها:

الأول: أن رسم كلمة «البراندسي» قريب من رسم كلمة «الراندسي» وهذا يجعل التصحيف واردًا.

الثاني: الوزير ابن هبيرة صاحب مدرسة «باب الأزج» معاصر لابن الجوزي، وتعيين البراندسي مدرسًا في تلك المدرسة، أمر لا يخفى على ابن الجوزي المطلع على أحوال الناس وتراجم أعلامهم، وصلته بالبراندسي ثابتة كما لا يخفى.

الثالث: «البراندسي» نسبة الي «براندس» قرية من قرى بغداد عند نهر عيسى، وقد نشأ ابن الجوزي بالقرب منها[2].

---

(١) ابن الجوزي: «المنتظم» (١٠/ ٣) وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٨/١٩).

(٢) انظر: الزبيدي: «تاج العروس» (٣/ ٢٣٥). ومن الذكريات النافعة أنني اتصلتُ يوم الجمعة ١١/ ٩ / ١٤٢٦ هـ بالشيخ العلامة المحدث مُحَمَّد الأمين أبو خبزة التطواني رحمه الله تعالى، وسألته =

=

عن طبعات كتاب «صيد الخاطر» وعن حال ابن الجوزي ومروياته في كتابه، فأفاد بأن طبعة الشيخ ناجي الطنطاوي جيدة لكنها غير كافية في توضيح الكتاب، وأن طبعة مصر التي بإشراف مصطفى العدوي من أفضل طبعات الكتاب، وأن ابن الجوزي يقمِّش ولا يفتِّش، وهو غير مدقِّق في الأحاديث والمرويات، وأن مرويات ابن الجوزي يمكن نقدها على حسب قواعد مصطلح المحدثين.

قلت: وقد ظهرت طبعات كثيرة بعد تلك المكالمة، منها: طبعة ابن خزيمة بتحقيق عامر ياسين، أحسن الله إليه، وهي أفضل طبعة لكتاب صيد الخاطر بحسب اطلاعي، وفيها تصحيف يسير جدًا، ثم طبعة دار الكتب العلمية لحسين الصادق بعنوان: الترتيب الزاهر لكتاب صيد الخاطر، وقد خدم الكتاب خدمة جيدة جدًا ؒ، جزاه الله خيرًا، ثم طبعة طارق عوض الله، بارك الله في علمه، نشرتها دار مدار الوطن، وهي متوسِّطة، وخدمة الكتاب تحقيقاً وإخراجًا للنص، تحتاج إلى إعادة نظر، ففي الكتاب تصحيف لكثير من الأعلام والعبارات وأبيات الشِّعر، وهناك مواضع مشكلة وردت في كلام ابن الجوزي لم يعلِّق عليها !.

أما الجزء المخطوط الذي أضافه إلى صيد الخاطر وهو (٢٣٧) صفحة، فهو محلُّ نظر، فمنه (١٣) خاطرة موجودة في الكتاب المطبوع، في النسخة المتداولة، وهذه أرقام صفحاتها في طبعته: (٣٧٤، ٤١٤، ٤١٨، ٤٢٩، ٤٣٩، ٤٠٤، ٤٥٨، ٤٦٤، ٤٧١، ٤٨٢، ٤٨١، ٤٩٧، ٥٢٠)، والبعض الآخر جزء منه مقتبس أو منقول من كتاب المنتظم، وبعضه من لفتة الكبد، وجزء ملفَّق من كتب ابن الجوزي الوعظية الأخرى، مثل: ملتقط الحكايات، وياقوتة المواعظ، وتحفة الواعظ، ورؤوس القوارير. والخبير في علم المخطوطات يعلم أنه لا يوجد لصيد الخاطر نسخة خطية معتمدة، عليها سماع أو قراءة على المؤلِّف أو بخطِّه، أو بخطٍ قريب من تاريخ وفاته، فكل النُّسخ الخطية التي نقل عنها أو قارن بينها، منسوخة من أصلٍ واحد متأخِّر، والزائد على الأصل لا نسخة أخرى تعضد أصله، أو تؤكد الزيادة بدليل خطِّي قاطع، به برهان جامع مانع، فتبقى الزيادة محل نظر غير مجزوم باتصالها بصيد الخاطر. والله أعلم.

الرابع: «الراندسي» نسبة لم أعثر على من انتسب إليها، سواء في كتب البلدان والطبقات والتراجم. أو في كتب الأنساب والتواريخ. وبناء على هذا يترجح أن الصواب هو «البراندسي» وقد بينت نسبتها كما تقدم، والحمد لله على فضله وإحسانه.

وهناك تحريف آخر في لفظة (ابن الراوندي)، فقد تصحفَّت في جميع النسخ المطبوعة إلى (ابن الرومي)، وقد وضحت ذلك في مبحث موارد ابن الجوزي التي صرح بالنقل عنها في صيد الخاطر، فقرة (١١).فلتراجع هناك.



المبحث الثالث

مقاصد ابن الجوزي في مصنَّفه «صيد الخاطر»

إن مقاصد الكتب هي مفاتيح لمعرفة غايات المؤلفين وأهدافهم، وهي مرآة تعكس طبيعة المصنِّفين واتجاهاتهم وميولهم. ويستطيع الباحثون سبر مقاصد المؤلفين عن طريق التنقير والتقصي في مطاوي كتبهم وما دبّجته أقلامهم في ثنايا مؤلفاتهم، والبحث في مقدمات مصنفاتهم وخواتيمها، ومعرفة تراجم المصنفين وتخصصاتهم وما نبغوا فيه من العلوم والمعارف.

ولقد وقفتُ على بعض الملامح التي تحدِّد مقاصد ابن الجوزي في «صيد الخاطر»، وهي مستخرجة من الكتاب نفسه، ومن بعض مصنفاته الأخرى.

أولًا: ملامح المقاصد من «صيد الخاطر»:

أ- «يا من يقرأ تحذيري من التخليط، فإني وإن كنتُ خنت نفسي بالفعل، نصيح لإخواني بالقول، احذروا إخواني من الترخيص فيما لا يؤمن فساده، فإن الشيطان يزين المباح في أول مرتبة، ثم يجر إلى الجناح، فتلمحوا المآل، وافهموا الحال»[1].

---

(١) «صيد الخاطر»: (الخاطرة رقم: ٤٦). قلت: جميع مقاصد ابن الجوزي في صيد الخاطر بناها على ثلاثة مقاييس رئيسة وهي: الاستصحاب والإحتياط والمقاصد، وقد عزّز مروياته وأخباره وآثاره للإستدلال عليها. وعند تناول المنهج الحديثي سيأتي توضيح لهذه الجزئية .

ب-: «اعلم أيها الطالب للرشاد: أنه قد سبق إلينا من العقل والنقل أصلان راسخان، عليهما مرت الأحاديث كلها. أما النقل، فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[١] من فهم هذا لم يحمل وصفا له على ما يوجبه الحس. وأما العقل: فإنه قد علم مباينة الصانع للمصنوعات»[٢].

ج- «لما أنهيتُ كتابة الفصل المتقدم، وهتف بي هاتف من باطني: دعني من شرح الصبر على الأقدار فإني قد اكتفيت بنموذج ما شرحت، وصف لي حال الرضا، فإني أجد نسيمًا من ذكره فيه روح للروح..»[٣].

د- «مرَّ بي حمَّالان تحت جذع ثقيل، وهما يتجاوبان. بإنشاء التنغم، وكلمات الاستراحة، فأحدهما يصغي إلى ما يقوله الآخر ثم يعيده، أو يجيب بمثله، والآخر همته مثل ذلك، فرأيتُ أنهما لو لم يفعلا هذا زادت المشقة عليهما، وثقل الأمر، وكلما فعلا هذا هان الأمر، فتأملت السبب في ذلك، فإذا به تعليق فكر كل واحد منهما بما يقوله الآخر، وطربه به وإجالة فكره في الجواب بمثل ذلك، فينقطع الطريق وينسى ثقل المحمول، فأخذت من هذا إشارة عجيبة...»[٤].

---

(١) سورة الشورى: (الآية: ١١).

(٢) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة: ٤٩).

(٣) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة: ١٣٢).

(٤) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة: ٥٩).

هـ- «ولقد طرقتني حالة أوجبت التشبث ببعض الأسباب، إلا أنه كان من ضرورة ذلك لقاء بعض الظلمة ومداراته بكلمة، فبينما أنا أفكر في تلك الحال، دخل عليَّ قارئ فاستفتح، فتفاءلت بما يقرأ فقرأ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[١] فبهت من إجابتي على خاطري....»[٢].

و- «بكّرتُ يومًا أطلب الخلوة إلى جامع الرصافة، فجعلت أجول وحدي وأتفكر في ذلك المكان، ومن كان به من العلماء والصالحين، ورأيتُ اقوامًا قد جاوروا فيه، فسألت أحدهم: منذ كم أنت هاهنا؟ فأومأ إلى القريب من أربعين سنة...»[٣].

ز- «وللذنوب عواقب سيئة، فالله الله في الخلوات، البواطن البواطن، والنيَّات النيَّات، فإن عليكم من الله عينا ناظرة، وإياكم والاغترار بحِلمه وكرمه، فكم قد استدرج»[٤].

ح- «لقيتُ مشايخ أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه...»[٥].

---

(١) سورة هود: الآية: (١١٣).

(٢) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة: ٦٧).

(٣) المرجع نفسه: رقم الخاطرة: ٨٢).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة: ٨٣).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة: ٩٤).

ط- «أمكنني تحصيل شيء من الدنيا بنوع من أنواع الرخص، فكنتُ كلما حصل شيء منه فاتني من قلبي شيء، فكلما استنارت لي طريق التحصيل، تجدد في قلبي ظلمة...»[١].

ي- «ما زلت أسمعُ عن جماعة من الأكابر وأرباب المناصب: أنهم يشربون الخمور، ويفسقون ويظلمون، ويفعلون أشياء توجب الحدود، فبقيت أتفكر أقول: متى يثبت على مثل هؤلاء ما يوجب حدًا؟ فلو ثبت فمن يقيمه؟ واستبعد هذا في العادة...»[٢].

ك- «مما أفادتني تجارب الزمان: أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يظاهر بالعداوة أحدًا مهما استطاع، فإنه ربما يحتاج إليه......»[٣].

ل- «رأيتُ من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة؛ لأني أشافه في عمري عددًا من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقًا لا يحصون، ما خلقوا بعد....»[٤].

---

(١)«صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة: ٩٩).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة: ١٠٠).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة: ١٥٧).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة: ١٦٥).

م- «ولقد شهدتُ خلقًا كثيرًا لايعرفون معنى الحياة، فمنهم من أغناه الله عن الكسب بكثرة ماله، فهو يقعد في السوق أكثر النهار ينظر إلى الناس وكم تمرُّ به من آفة ومنكر....»[١].

ن- «أعوذُ بالله من سِّير هؤلاء الذين نعاشرهم؛ لا نرى فيهم ذا همة عالية فيتقتدي بها المبتدي، ولا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد، فالله الله؛ عليكم بملاحظة سِّير السلف ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم..»[٢].

هذه ملامح يسيرة من كتاب «صيد الخاطر» توضِّح مقاصد ابن الجوزي التي بنى عليها كتابه، فقد نثر خواطره وسوانحه وتأملاته العميقة التي تشهد بعلو كعبه في هذا الفن العزيز. وسوف أبيِّن في الصفحات اللاحقة-إن شاء الله تعالى- أن ابن الجوزي كان يصدِّر مقاصده بطريقة رائعة، من ذكر حكاية، أو تسطير تجربة، أو تقعيد أصل مهم؛ لينفث في فؤاد القارئ التربية الزكية التي تنفعه في دينه ودنياه [٣].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٦٤).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٣٨).

(٣) انظر : ابن الجوزي: «لفتة الكبد في نصيحة الولد»: (ص / ٥٢٧ - طبعة ملحقة بصيد الخاطر).

ثانيًا: ملامح المقاصد من كتب ابن الجوزي الأخرى:

ظفرت بنص مهم يحدد مقاصد ابن الجوزي في كتابه «صيد الخاطر»، فقد قال في كتابه «لفتة الكبد في نصيحة الولد»: «وعليك بكتاب «منهاج المريدين» فإنه يعلمك السلوك؛ فاجعله جليسك ومعلمك، وتلمَّح كتاب «صيد الخاطر» فإنك تقع بواقعات تصلح لك أمر دينك ودنياك». ولم يُشر ابن الجوزي-حسب علمي- إلى مقاصد «صيد الخاطر» إلا في هذين الكتابين اللذين أشرتُ إليهما.

وباستقراء ما سبق من ملامح للمقاصد، أستطيع أن أحدِّد المقاصد الرئيسة لكتاب «صيد الخاطر»[(١)].

المقصد الأول: حفظ العلم:

نبَّه ابن الجوزي إلى أهمية هذا المقصد في مواطن كثيرة في كتابه. والمقصود بحفظ العلم: استظهاره، واستذكاره، وفهمه، وتصنيف أبوابه. وقد استشهد في مقدمة كتابه بالحديث الموقوف «قيِّدوا العلم بالكتابة»[(٢)].ولا ريب أن الكتابة

---

(١) طريقتي في إيراد المقاصد: أنني أذكر المقصد الرئيس، ثم أتتبع الأمثلة الدالة علي ذلك المقصد من أول الكتاب إلى آخره، وهكذا في بقية المقاصد الأخرى.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه (١/ ١٢٦ - رقم ٣٣٢) والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٦٢) والخطيب البغدادي في «تقييد العلم»: (ص / ٩٦) عن أنس موقوفًا.

من أساليب حفظ العلم، ونبَّه أيضًا على أن ساعة التشاغل بالعلم تفضل على ساعات النوافل(١).

وذكر في كتابه أن العبادة بلا علم تُوقع صاحبها في الغلط، فروى عن بعض القدماء أنه قال لرجل: يا أبا الوليد، إن كنت أبا الوليد-يتورع أن يكنيه ولا ولد له-، ولو أوغل هذا في العلم لعلم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كنى صهيبًا أبا يحيى، وكنى طفلًا فقال «يا أبا عمير، ما فعل النغير»(٢).

وبيَّن رَحِمَهُ اللهُ أن أفضل الأشياء الاستزادة من العلم، فإنه من اقتصر على ما يعلمه، فظنَّه كافيًا استبد برأيه، وصار تعظيمه لنفسه مانعًا له من الاستفادة، والمذاكرةُ تُبيِّنُ له أخطاءه.

ونقم على «أبي المعالي الجويني» حين قال: إن الله تعالى يعلم جُمَل الأشياء، ولا يعلم التفاصيل»(٣) ،ونقم أيضًا على أبي بكر بن مقسم الذي أفسد علمه بإجازته أن يُقرأ عليه بما لم يقرأ به. وبيَّن أن «اقتصار الرجل على علمه إذا ما زجه نوع رؤية للنفس حُبس من إدراك الصواب، ونعوذ بالله من

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٤٠).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٤١)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: (كتاب الأدب – باب الأنباط إلى الناس – رقم الحديث ٦١٢٩)، وأخرجه مسلم في صحيحه: (كتاب الأدب – باب جواز التكية – رقم الحديث ٢١٥٠) كلاهما من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٦٩).

ذلك»[١]. وبين أيضًا أن من المتزهدين من لا يبالي بعمل الشرع، وقد يفتي بغير علم؛ لئلا يقال: «الشيخ لا يدري»[٢].

وضرب مثالًا على ذلك فقال «وحدثني بعض الفقهاء عن رجل من العباد: أنه كان يسجد للسهو سنين، ويقول: والله ما سهوتُ، ولكن أفعله احترازًا، فقال له الفقيه: قد بطلت صلاتك كلها؛ لأنك زدت سجودًا غير مشروع»[٣].

وبيَّن أيضًا أن العلم والتشاغل به يقوي القلب قوة، ويميل به إلى نوع قساوة، فلولا قوة القلب وطول الأمل يومًا ،لم يقع التشاغل به «فإني أكتبُ الحديث أرجو أن أرويه، وأبتدئ بالتصنيف أرجو أن أتمه، فإذا تأملتُ إلى باب المعاملات قل الأمل، إلا أن العلم أفضل، وأقوى حجة، وأعلى رتبة، وإن حدث منه ما شكوت منه.. فالصواب العكوف على العلم مع تلذيع لا يقدح في كمال التشاغل بالعلم»[٤].

وبين أيضًا أن «من أراد أن يعرف رتبة العلماء على الزهاد، فلينظر في رتبة جبريل وميكائيل، ومن خص من الملائكة بولاية تتعلق بالخلق، وباقي الملائكة

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٧١).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٧١).

(٣) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٧١).

(٤) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٩٦).

قيام للتعبد في مراتب الرهبان في الصوامع»[١] ،و«الذي لا يعمل بالعلم لا يطلعه العلم على غوره، ولا يكشف له عن سره، فيكون كمجذوب لجاذب جاذبه، فافهم هذا المثل، وحسِّن قصدك، وإلا فلا تتعب»[٢].

ونبَّه ابن الجوزي على أهمية الفقه، وأبان أنه أفضل العلوم «فإن أرباب المذاهب فاقوا بالفقه على الخلائق أبدًا، وإن كان في زمن أحدهم من هو أعلم منه بالقرآن، أو الحديث، أو باللغة»[٣] ،وأشار إلى خطأ من يجمع الكتب ونسخها ولا يتشاغل بفهم أصولها وتصحيح ما غمض منها[٤].

وألمح إلى أن الانهماك في إعادة الدروس ليلًا ونهارًا غلط يضر بصاحبه، واستدل على ذلك بقصة أبي بكر الأنباري في مرض موته[٥]. وأبان أن الصواب في هذا أن يأخذ الطالب قدر ما يطيق، ويرفِّه القوى في بقية الزمان.

وحثَّ ابن الجوزي طالب العلم على تخير أوقات الحفظ، وحذَّر من الحفظ بحضرة خضرة وعلى شاطي نهر، وذكر قاعدة مهمة في هذا الباب، وهي أن

---

(١) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٠٦).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٠٦).

(٣) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١١٠).

(٤) المرجع نفسه: رقم الخاطرة: ١١٢)

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٢١).أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ): محمد بن القاسم . لغوي شهير، من أهل الأنبار ببغداد. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي(٢/٢٢٢) .

جمع الهم أصل الأصول، وتقليل المحفوظ مع الدوام أصل عظيم، وألا يشرع في فن حتى يحكم ما قبله. وندب طالب العالم أن يدافع النكاح مهما أمكن لأجل جمع الهم، فإن غلب عليه الأمر تزوج، واجتهد في المدافعة بالفعل. لتتوفر القوة على إعادة العلم[(١)].

وحثَّ ابن الجوزي على إصلاح سريرة طالب العلم، ومن صح قصده استراح من كلف التكليف، واستدل بقصة الإمام مالك بن أنس أن رجلًا سأل عن مسألة فقال، لا أدري، فقال: سافرتُ البلدان إليك فقال: ارجع إلى بلدك، وقل: سألت مالكًا، فقال: لا أدري. وقد علَّق ابن الجوزي قائلًا: «انظر إلى دين هذا الشخص وعقله كيف استراح من الكلفة، وسلم عند الله عزوجل، ثم إن كان المقصود الجاه عندهم، فقلوبهم بيد غيرهم»[(٢)].

وقد أوصى ابن الجوزي طالب العلم بضرورة مزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد، وليكون سببًا لترقيق القلب.

وأشار إلى أن جماعة من السلف كانوا يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه، لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته [(٣)].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٢١).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٤٧).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٩١).

ونبَّه ابن الجوزي على أهمية الفهم الصحيح للعلم، واستدل بتنازع أبي عبدالرحمن السلمي مع حيان بن عطية، فقد قال أبو عبدالرحمن حيان: قد علمت ما الذي جرَّأ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما هو؟ قال: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: «اعملوا ماشئتم، فقد غفرت لكم»[(١)].

قال ابن الجوزي: «وهذا سوء فهم من أبي عبدالرحمن حين ظن أن عليًا قاتل وقتل اعتمادًا على أنه قد غفر له، وينبغي أن يعلم أن معنى الحديث إنما معناه: لتكن أعمالكم المتقدمة ما كانت، فقد غفرت لكم، فأما غفران ما سيأتي فلا يتضمنه ذلك، أتراه لو وقع من أهل بدر -وحاشاهم- الشرك -إذ ليسوا معصومين- أما كانوا يؤاخذون به؟ فكذلك المعاصي»[(٢)].

وقد حذَّر ابن الجوزي من التشاغل بصورة العلم، مثل من يفرح بكثرة طلابه ومريديه، والقدح في كلام المخالفين، وقد قصد التصدر والارتفاع في المجالس، وقد علق على ذلك بكلام نفيس فقال: «وهذه قلوب غافلة عن الله عَزَّوَجَلَّ؛ إذ لو كانت لها به معرفة، لاشتغلت به، وكان أنسها بمناجاته، وإيثارها لطاعاته، وإقبالها على والخلوة به»[(٣)].

---

(١) متفق عليه: (أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد والسير - باب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذِّمة - حديث رقم: ٣٠٨١. ومسلم في صحيحه - كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل حاطب).

(٢) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٥٥).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣١٥).

وحث ابن الجوزي طالب العلم على التشاغل بالمهم من كل علم: «ومن أصح الأشياء أن تجري حادثة، يسأل عنها شيخ قد كتب الحديث سنة لا يعرف حكم الله عَزَّوَجَلَّ فيها»[١].

وتعجب ابن الجوزي ممن يغفل عن معرفة بديهيات العلوم والمسائل، فقال: «ولقد رأيتُ بعض الفقهاء يقول: اجتمع الشبلي، وشريك القاضي. فاستعجبت له: كيف لا يدري بعد ما بينهما؟ وقال آخر في مناظرة: كانت الزوجية بين فاطمة وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا غير منقطعة الحكم، فلهذا غسلها. فقلت له: ويحك فقد تزوج أمامة بنت زينب، وهي بنت أختها، فانقطع»[٢]، والعمل بالعلم من علامات التوفيق وسعادة الطالب في الدنيا والآخرة ،«وفي الناس من حصل له العلم وغفل عن العمل بمقتضاه، وكأنه ما حصل شيئًا، نعوذ بالله من الخذلان»[٣].

المقصد الثاني: الإفادة من التجارب ووقائع الزمان:

يعد هذا المقصد من أملح المقاصد وأهمها وأغزرها مادة في كتاب «صيد الخاطر». ويُقصد به الإفادة من الخبرات الإنسانية والعبر التاريخية ومواقف

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٣٢).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٣٧).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٨٢).

الرجال وحوادث الدهر المختلفة. وقد حرص ابن الجوزي على إرشاد المسلم العاقل إلى كيفية الإفادة من هذا المقصد، ونبَّهه على استثمار الأوقات والإفادة من تجارب العقلاء. وقد عرَّج في كثير من مباحث تجاربه إلى الاستطراد عن أيام أقرانه وعشيرته، وعن صولاته وجولاته مع حُسَّاده وأعدائه. ولما كانت مباحث هذا المقصد تقدر بحوالي ثلث الكتاب، فحسبي الإشارة إلى خلاصة تجاربه ووصاياه:

١- «القلب لا يكون على صفة من اليقظة عند سماع الموعظة بعدها ،لسببين....»[١].

٢- «مراقبة العواقب والميل عن الهوى من أسباب السلامة»[٢].

٣- «عقوبات العلماء والزهاد سببها الرئاسة»[٣].

٤- «علو الهمة من علامة كمال العقل»[٤].

٥- «التقوى سبب للعافية»[٥].

---

(١)» صيد الخاطر «: (رقم الخاطرة ١).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٦).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٧).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٢).

٦- «أكثر الصوفية جهلة مبتدعة»[1].

٧- «العزلة مع الاشتغال بالعلم من أنفع الأدوية»[2].

٨- «العمل بالعلم يورث العبودية الصحيحة»[3].

٩- «العقل لا يستطيع إدراك حكمة الله في كل الحوادث»[4].

١٠- «أكثر الزهاد جهلة يخالفون الشرع والعقل»[5].

١١- «الإفراط في توقِّي الحر والبرد، يسبب هلاك البدن»[6].

١٢- «لابد من مداراة النفس وتعليلها بالمباح»[7].

١٣- «لا يجوز إظهار كل النعم خشية العين»[8].

١٤- «يجب الحذر من عواقب المعاصي»[9].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٩).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٤٨).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٧).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٠٠).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٧٧).

(٦) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٧).

(٧) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٤).

(٨) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٥٣).

(٩) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٥٩).

١٥- «أنفع المشايخ من يعمل بعلمه، وإن قلَّ علمه»[١].

١٦- «اجتهاد العاقل فيما يصلحه ،لازم له بمقتضى العقل والشرع»[٢].

١٧- «أصلح الأمور الاعتدال في كل شيء»[٣].

١٨- «إذا اجتمع المال والعلم دلَّ على الكمال»[٤].

١٩- «من أعظم الغلط الثقة بالناس، والاسترسال إلى الأصدقاء»[٥].

٢٠- «الفقه عليه مدار العلوم»[٦].

٢١- «الأعمال بالنية، والجزاء على مقدار الإخلاص»[٧].

٢٢- «نهاية اللذات الحسية النكاح، وغاية اللذات العقلية العلم»[٨].

٢٣- «بقدر إجلالكم الله يجلكم، وبمقدار تعظيم قدره وحرمته يعظم أقداركم وحرمتكم»[٩].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٧٨).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٨٣).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٩٤).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٠١).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٠٧).

(٦) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٠٩).

(٧) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١١٢).

(٨) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١١٤).

(٩) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١١٥).

٢٤- «من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه»[١].

٢٥- «الطاعة هي الموافقة بامتثال الأمر»[٢].

٢٦- «أنفع الأمور قطع أسباب الفتن، وترك الرخص فيما يجوز إذا كان حاملًا ومؤديًا إلى ما لا يجوز»[٣].

٢٧- «فتح باب المباحات ربما جرّ أذى كثيرًا في الدِّين»[٤].

٢٨- «لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحدًا مهما استطاع»[٥].

٢٩- «العاقل من دارى نفسه في الصبر بوعد الأجر وتسهيل الأمر»[٦].

٣٠- «من أراد الاقتداء فعليه برسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأصحابه، ففي ذلك الشفاء والمطلوب»[٧].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٣٤).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٣٨).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٤٠).

(٤) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٤٣).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٤٥).

(٦) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٥٧).

(٧) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٦١).

٣١- «أصل البلاء في الدِّين -في باب العلم والعمل- الفلسفة والرهبانية»[١].

٣٢- «نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة»[٢].

٣٣- «قوام الآدمي بشيئين: الحرارة والرطوبة»[٣].

٣٤- «الله وضع في النفوس أشياء لا تحتاج إلى دليل»[٤].

٣٥- «سبب صلاح الأخيار النظر، وسبب فساد الأشرار إهمال النظر»[٥].

٣٦- «سعادة السلف سببها إصلاح النيات والاستقامة»[٦].

٣٧- «العاقل من يحفظ جانب الله وإن غضب الخلق»[٧].

٣٨- «ينبغي للعاقل أن ينظر إلى الأصول فيمن يخالطه ويعاشره ويشاركه ويصادقه ويزوجه أو يتزوج إليه، ثم ينظر بعد ذلك في الصور فإن صلاحها دليل على صلاح الباطن»[٨].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٦٢).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٦٣).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٦٥).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٧٢).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٧٦).

(٦) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٧٦).

(٧) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٧٩).

(٨) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٨٣).

٣٩- «إياك أن تساكن من آذيته»[١].

٤٠- «من أحسن التدبير: التلطف بالأعداء ،إلى أن يمكن كسر شوكتهم»[٢].

٤١- «ستر المصائب من جملة كتمان السر؛ لأن إظهارها يسر الشامت»[٣].

٤٢- «ما رأيتُ أصعب على النفس من الحفظ للعلم والتكرار»[٤].

٤٣- «سيندم من لم يحفظ ندم الكسعي، وقت الحاجة إلى النظر والفتوى»[٥].

٤٤- «ما أعرف نفعاً كالعزلة عن الخلق خصوصًا للعالم والزاهد»[٦].

٤٥- «ما نهى السلف عن الخوض في الكلام إلا لأمر عظيم»[٧].

٤٦- «المؤمن الكامل هو الذي لا يختلج في قلبه اعتراض، ولا يساكن فيما يجري وسوسة، وكلما اشتد البلاء عليه زاد إيمانه وقوي تسليمه»[٨].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٨٤).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٨٥).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٨٥).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٨٦).

(٥) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٨٧).

(٦) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٨٨).

(٧) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٩٠).

(٨) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٩٤).

٤٧- «ينبغي للعاقل ألا يتكلم في الخلوة عن أحد بشيء ،حتى يشمل ذلك الشيء ظاهرًا معلنا به، ثم ينظر فيما يجني»[1].

٤٨- «ينبغي كتم المذاهب، فإنه ما يربح مظهرها إلا بالمعاداة»[2].

٤٩- «لا ينبغي للمؤمن أن ينزعج من مرض أو نزول موت، وإن كان الطبع لا يملك»[3].

٥٠- «متى آذيت شخصًا، وبلغ إلى قلبه أذاك، فلا تثق بمودته»[4].

٥١- «كل من لا يتلمَّح العواقب ويستعد لما يجوز وقوعه، فليس بكامل العقل»[5].

٥٢- «السعيد من اقتنع بالبلغة»[6].

٥٣- «الصعود الذي سببه مخالطة السلاطين، بعيد أن يسلم معه الدِّين»[7].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٩٧).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٩٧).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٩٩).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٠٥).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٠٦).

(٦) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٠٧).

(٧) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٠٧).

٥٤- «ذو الأنفة يأنف من الوسخ صورة، وعيب الخلق معنى، فليقنع بما باطنه الدين وظاهره الستر والقناعة، فإنه يعيش مرفَّه السر، طيِّب القلب، ومتى استكثر، فإنما يستكثر من شغل قلبه، ورقة دينه»[١].

٥٥- «إبقاء اليهود والنصارى بيننا، وأخذ الجزية عليهم، وكذلك وجودهم وتعبدهم، دليل على أنه قد كان أنبياء وشرائع»[٢].

٥٦- «سبب تنغيص العيش فوات الحظوظ العاجلة»[٣].

٥٧- «سبب تخليط العقائد، الميل إلى الحِس وقياس الغائبات على الحاضر»[٤].

٥٨- «سبب الهموم والغموم الإعراض عن الله عَزَّوَجَلَّ»[٥].

٥٩- «مجالسة العوام فتنة للدِّين»[٦].

٦٠- «ينبغي أن تكتم بعض حبك للولد؛ لأنه يتسلط عليك، ويضيع مالك»[٧].

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٢١٦).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٢٦).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٣١).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٣٨).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٤١).

(٦) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٥٣).

(٧) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٥٦).

٦١- «ينبغي للصبي إذا بلغ أن يحذر كثرة الجماع؛ ليقي جوهره»[١].

٦٢- «المباحات تُشغل عن تحصيل الفضائل»[٢].

٦٣- «ذخائر النفس في البدن: الدم، والمني، والمال، والجاه»[٣].

٦٤- «جمهور الناس اليوم معارف، ويندر فيهم صديق في الظاهر، فأما الأخوة والمصافاة فذلك شيء نُسخ فلا يطمع فيه»[٤].

٦٥- «السبب في نسخ حكم الصفا أن السلف كانت همتهم الآخرة وحدها، فصفت نياتهم في الأخوة والمخالطة، فكانت دينًا لا دنيا»[٥].

٦٦- «ينبغي للعاقل أن يكون على خوف من ذنوبه، وإن تاب منها، وبكى عليها»[٦].

٦٧- «الله الله يا من يريد حفظ دينه، قد كررت عليك الوصية بالتقليل جهدك، وخفِّف العلائق مهما أمكنك، واحتفظ بدرهم يكون معك، فإنه دينك»[٧].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٥٨).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٧٧).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٨٧).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٨٧).

(٥) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٢٩٠).

(٦) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٨٠).

(٧) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٩٦).

٦٨ – «ما رأيتُ مشتتًا للهم مبددًا للقلب مثل شيئين: أحدهما: أن تطاع النفس في طلب شيء تشتهيه، والثاني: مخالطة الناس خصوصًا العوام، والمشي في الأسواق»(١).

٦٩– «لا يغرك من الرجل طنطنته، وما تراه يفعل من صلاة وصوم وصدقة وعزلة عن الخلق، إنما الرجل هو الذي يراعي شيئين: حفظ الحدود، وإخلاص العمل»(٢).

٧٠– «من أعظم الضرر الداخل على الإنسان كثرة النساء وإنه أولًا يشتت همه في محبتهن ومجاراتهن، والإنفاق عليهن. والعاقل من يقتصر على الواحدة إذا وافقت غرضه»(٣).

٧١– «ينبغي الاحتراز مما يجوز أن يكون، ولا ينبغي أن يقال: الغالب السلامة»(٤).

٧٢– «تفكرت في سبب دخول جهنم، فاذا هي المعاصي، فنظرت في المعاصي، فإذا هي حاصلة من طلب اللذات، فنظرت في اللذات، فرأيتها خدعًا ليست بشيء»(٥).

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٩٨).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٢١).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٢٤).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٢٦).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٢٨).

٧٣- «أنهى من يتشاغل بالتزهد والانقطاع عن الناس أن يعرض عن العلم، بل ينبغي أن يجعل لنفسه منه حظًا، ليعلم إن زل كيف يتخلص»[(١)].

٧٤- «ينبغي أن يعد الخلق كلهم معارف ليس فيهم صديق. بل تحسبهم أعداء، ولا تظهر سرك لمخلوق منهم، ولا تعدن من يصلح لشدة، ولا ولدًا، ولا أخاً، ولا صديقًا، بل عاملهم بالظاهر، ولا تخالطهم إلا حالة الضرورة بالتوقي لحظة، ثم انفر منهم، وأقبل على شأنك متوكلًا على خالقك، فإنه لا يجلب الخير سواه، ولا يصرف السوء إلا إياه»[(٢)].

٧٥-« ليس العلم صور الألفاظ، إنما المقصود فهم المراد منه، وذلك يورث الخشية والخوف»[(٣)].

٧٦ – «لا ينبغي للإنسان أن يحمل على بدنه ما لا يطيق، فإن البدن كالراحلة»[(٤)].

٧٧- «العزلة عن الخلق سبب طيب العيش، ولابد من مخالطة بمقدار»[(٥)].

٧٨- «العاقل من تأمل العواقب وراعاها، وصور كل ما يجوز أن يقع»[(٦)].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٣٢).

(٢) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٣٣٤).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٣٥).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٣٦).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٤٥).

(٦) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٥٠).

٧٩- «الدنيا فخ، والناس عصافير، والعصفور يريد الحبَّة، وينسى الخنق، وقد ينسى أكثر الخلق ما لهم ميلًا إلى عاجل لذاتهم»[١].

٨٠- «اعلم أن الجزاء بالمرصاد، إن كان حسنة، أو سيئة، ومن الاغترار أن يظن المذنب إذا لم ير عقوبة: أنه قد سُومح»[٢].

المقصد الثالث: وجوب الاعتناء بالضروريات الخمس.

نبَّه ابن الجوزي على أهمية هذا المقصد في أربعين خاطرة نشرها في تضاعيف كتابه. والمقصود بالضروريات الخمس: حفظ الدِّين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال.

(أ)- **حفظ الدِّين**: وحفظه يستلزم الايمان بأركانه الستة. والقيام بالعبادات الظاهرة والباطنة، وأداء الشعائر كما شرع الله، وعدم ارتكاب ما نهى الله عنه أو نهى عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزجر[٣]. وتفصيل أحكام الإسلام مبسوطة في مصنفات العلماء.

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٥١).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٥٤).

(٣) أهم المهمات لحفظ الدِّين: توحيد الله تعالى، وصرف جميع العبادات له سبحانه وحده، ومجانبة الشرك والمشركين. والحذر من أسباب الردة عياذًا بالله تعالى .

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى:

١- «الواجب على العاقل أخذ العُدَّة لرحيله، فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمر ربه، ولا يدري متى يستدعى، وإني رأيت خلقًا كثيرًا غرّهم الشباب، ونسوا فقد الأقران، وألهاهم طول الأمل، فالعاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه، فإن بغتته الموت، رؤي مستعدًا، وإن نال الأمل ازداد خيرًا»[١].

٢- «رأيتُ كثيرًا من الناس في وجودهم كالعدم، لا يتصفحون أدلة الوحدانية، ولا ينظرون في أمر الله تعالى ونواهيه، بل يجرون على عاداتهم كالبهائم مرادهم، وإلا فمعولهم على أغراضهم، بعد حصول الدينار، لا يبالون أمن حلال كان أم من حرام؟، وإن سهلت عليهم الصلاة، صلوها، وإن لم تسهل، تركوها، وفيهم من يبارز بالذنوب العظيمة مع نوع معرفة المناهي، وقد يُهان الشيخ في كبره، حتى ترحمه القلوب، ولا يدري أن ذلك لإهماله حق الله تعالى في شبابه»[٢].

٣- «من أحب تصفية الأحوال، فليجتهد في تصفية الأعمال، قال الله تعالى ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾»[٣].

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٩).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٩).

(٣) سورة الجن: (الآية ١٦).

وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يروي عن ربه عَزَّ وَجَلَّ:[١] «لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد»، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البر لا يبلى، والإثم لا ينسى، الديان لا ينام، وكما تدين تدان»[٢] وكان شيخ يدور في المجالس ويقول: «من سرَّه أن تدوم له العافية فليتق الله عَزَّ وَجَلَّ»[٣].

٤- «تفكرتُ يومًا في التكليف، فرأيته ينقسم إلى سهل وصعب، فأما السهل، فهو أعمال الجوارح، إلا أن منه ما هو أصعب من بعض، فالوضوء والصلاة أسهل من الصوم، والصوم ربما كان عند قوم أسهل من الزكاة»[٤].

٥- «المؤمن لا يبالغ في الذنوب، وإنما يتوقى الهوى، وتتوقد نيران الشهوة فينحدر وله مراد، لا يعزم المؤمن على مواقعته، ولا على العود بعد فراغه، ولا يستقصي في الانتقام إن غضب، وينوي التوبة قبل الزلل»[٥].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٥٩ - «رقم الحديث:٨٦٩٣»)) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. بإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في: «المصنَّف» موقوفًا على أبي الدرداء بإسناد ضعيف.

(٣) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٢).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٣).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٦٨).

٦- «اعلم أن شرعنا مضبوط الأصول، محروس القواعد، لا خلل فيه ولا دخل، وكذلك كل الشرائع، إنما الآفة تدخل من المبتدعين في الدين، أو الجهال، مثل ما أُثر عند النصارى حين رأوا إحياء الموتى علي يد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فتأملوا الفعل الخارق للعادة الذي لا يصلح للبشر، فنسبوا الفاعل إلى الإلهية، ولو تأملوا ذاته -أي المسيح- لعلموا أنها مركبة على النقائض والحاجات، وهذا القدر يكفي في عدم صلاح الهيبة، فيعلم حينئذ أن ما جرى على يديه فعل غيره»[١].

قلت: وبسطُ أقوال ابن الجوزي في باب الإيمان والإسلام والحدود وأعمال القلوب والتحذير من البدع والمبتدعين: ليس من شرطي في هذه الكتاب، وتتبع ذلك يخرجني عن المقصود، وقد تقدَّم ما يغني عن الإطالة.

(ب)- **حفظ النفس**: المقصود بحفظ النفس: تطهيرها من كل شائبة، وتزكيتها من كل آفة، والقيام على تربيتها بالأخلاق الحميدة، والشمائل المجيدة، تدريبًا وتهذيبًا ومحاسبة ومجاهدة لتستقيم على الجادة المستقيمة، وتبلغ الغاية الشريفة.

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٧١).

ولابن الجوزي خواطر مليحة في تفقد هذه الجوانب، وتلمُّس تلك الشمائل يقول:

١- «تأملتُ إقدام العلماء بالعقاب على شهوات النفس المنهي عنها، فرأيتها مرتبة تزاحم الكفر، لولا تلوح معنى: وهو أن الناس عند مواقعة المحظور ينقسمون: فمنهم جاهل بالمحظور أنه محظور، فهذا نوع عذر، ومنهم من يظن المحظور مكروهًا لا محرمًا، فهذا قريب من الأول، وربما دخل في هذا القسم آدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنهم من يتأول فيغلط، كما يقال: إن آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نهي عن شجرة بعينها، فأكل من جنسها لا من عينها. ومنهم من يعلم التحريم، غير أن غلبة الشهوة آنسته تذكر ذاك فشغله ما رأى عما يعلم، ولهذا لا يذكر السارق القطع، بل يغيب بكليته في نيل الحظ، ولا يذكر راكب الفاحشة الفضيحة ولا الحدَّ؛ لأن ما يرى يذهله عما يعلم، ومنهم من يعلم الحظر ويذكره، غير أن الأخذ بالحزم أولى بالعاقل، كيف وقد علم أن هذا الملك الحكيم قطع اليد في ربع دينار، وهدم بناء الجسم المحكم بالرجم بالحجارة لالتذاذ ساعة، وخسف، ومسخ وأغرق»[1].

٢- «تأملتُ أحوال الناس في حالة علو شأنهم، فرأيتُ أكثر الخلق تبين خسارهم حينئذ، فمنهم من بالغ في المعاصي من الشباب، ومنهم من فرَّط

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٧).

في اكتساب العلم، ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللذات، حينئذ، فكلهم نادم في حالة الكبر حين فوات الاستدراك لذنوب سلفت أو قوًى ضعفت، أو فضيلة فاتت، فيمضي زمان الكبر في حسرات، فإن كانت للشيخ إفاقة من ذنوب قد سلفت قال: وأسفًا على ما جنيت، وإن لم يكن له إفاقة صار متأسفًا على فوات ما كان يتلذذ به، ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئًا بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم، هذا مع وجود لذاته في الطلب الذي كان تأمل به إدراك المطلوب، وربما كانت تلك الأعمال أطيب مما نيل منها، كما قال الشاعر:

أهتزُّ عند تمني وصلها طربًا... وربَّ أمنيةٍ أحلى من الظفر»(١)

٣- «قوام الآدمي بشيئين: الحرارة والرطوبة، ومن شأن الحرارة أن تحلل الرطوبة وتفنيها.

فالآدمي محتاج إلى تحصيل خلف للمتحلل، فأبدان النشء تغتذي بأكثر مما يتحلل منها، والأبدان المتناهية تغتذي بمقدار ما يتحلل منها، والأبدان التي قد أخذت في الهرم يتحلل منها أكثر مما تغتذي به، فينبغي للناشئ البالغ أن يتحفظ في النكاح، لأنه يربي قاعدة قوة يجد أثرها في الكبر، وأما المتوسط والواقف السِّن فينبغي أن يحذر فضول الجماع، فإن حصل له مثل ما يخرج منه أسرف، فاللازم آخذ من الحاصل، ويوشك أن يسرع النفاد، وأما الشيخ فترك

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٦٨).

النكاح كاللازم له، وخصوصًا إذا زاد علو السن، لأنه ينفق من الجوهر الذي لا يحصل مثله أبدًا، ثم ينبغي أن ينظر العاقل في ماله فيكتسب أكثر مما ينفق ليكون الفاضل مدخرًا لوقت العجز، وليحذر السرف فإن العدل هو الأصلح.

ثم ينظر في الزوجة، والمطلوب منها شيئان: وجود الولد، وتدبير المنزل، فإذا كانت مبذرة فعيب لا يحتمل، فإن انضمت صفة العقر فلا وجه للإمساك، إلا أن تكون مستحسنة الصورة، فإن ضم إليها عقل وعفاف حسن الإمساك، وإن كانت مما يحتاج أن تحفظ فتركها لازم، فأما الخدم فليجتهد في تحصيل خادم لا تستعبده الشهوة، فإن عبد الشهوة له مولى غير سيده، ولينظر المالك في طبع المملوك، فمنهم من لا يأتي إلا على الإكرام، فيكرمه فإنه يربح محبته، ومنهم من لا يأتي إلا على الإهانة، فليداره، وليعرض عن الذنوب، فإن لم يمكن عاتب بلطف، وليحذر العقوبة ما أمكن، وليجعل للمماليك زمن راحة، والعجب ممن يعنى بدابته، وينسى مداراة جاريته، وأجود المماليك الصغار، وكذلك الزوجات؛ لأنهم متعودون خلق المشتري. وليحفظ نفسه بالهيبة من الانحراف مع الزوجة، ولا يطلعها على ماله فإنها سفيهة تطلب كثرة الإنفاق، وأما تدبير الأولاد: فحفظهم من مخالطة تفسد، ومتى كان الصبي ذا أنفة حييًا، رجي خيره، وليحمل على صحبة الأشراف والعلماء، وليحذر من مصاحبة الجهال والسُّفهاء، فإن الطبع لص، وليحذر الصبي من الكذب غاية التحذير، ومن المخالطة للصبيان، وليوصَ بزيادة البر للوالدين، وليحفظ من مخالطة النساء، فإذا بلغ فليزوج بصبية لم تعرف غيره فينتفعان. هذه الإشارة إلى تدبير أمور الدنيا.

فأما تدبير العلم، فينبغي أن يحمل الصبي من حين يبلغ خمس سنين على التشاغل بالقرآن، والفقه، وسماع الحديث، وليحصل له المحفوظات أكثر من المسموعات؛ لأن زمان الحفظ إلى خمس عشرة سنة، فإذا بلغ تشتتت همته، فليضرب تارة، ويرشى أخرى، ليبلغ وقد حصل محفوظات سنية.

وأول ما ينبغي أن يكلف حفظ القرآن متقنًا؛ فإنه يثبت، ويختلط باللحم والدم، ثم مقدمة من النحو يعرف بها اللحن، ثم الفقه مذهبًا وخلافًا، وما أمكن بعد هذا من العلوم فحفظه حسن، وليحذر من عادات أصحاب الحديث، فإنهم يفنون الزمان في سماع الأجزاء التي يكرَّر فيها الحديث، فيذهب العمر وما حصلوا فهم شيء، فإذا بلغوا سنًا طلبوا جواز فتوى، أو قراءة جزء من القرآن، فعادوا القهقرى، يحفظون بعد كبر السِّن فلا يحصل مقصودهم. فالحفظ في الصبا للمهم من العلم أصل عظيم، وقد رأينا كثيراً ممن تشاغل بالمسموعات وكتابة الأجزاء، ورأى الحفظ صعبًا، فمال إلى الأسهل، فمضى عمره في ذلك، فلما احتاج إلى نفسه قعد يحفظ على كبره، فلم يحصل مقصوده. فاليقظة لفهم ما ذكرت، وانظر في الإخلاص، فما ينفع شيء دونه»[1].

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٧٢). وقوله: « فليُضرب تارة ويُرشى أخرى»، يقصد: الجمع بين الترغيب والترهيب، والحزم والمزاح، لينتفع في شبابه وبقية عمره بالعلم والتربية والعمل. وهذه المنهجية نافعة جدًا ومجربة. انظر: تحفة المودود لابن القيم (ص/١٣٣- وما بعدها) .

وزبدة القول: إن ابن الجوزي أطال النفس في الوصية بتربية ومجاهدة النفس والعمل على حراستها من الآفات والبلايا. وقد عرض بذكر بعض منكرات عصره-في هذا الباب- فنقدها وأنكر على أصحابها.

(ج) **حفظ العقل:** لا جرم أن العقل مناط التكليف، وبه شَرف الله الآدمي. وقد دعا الشرع إلى حفظه ورعايته ودرء الفساد عنه. والنصوص في هذا وفيرة لا حصر لها. ولابن الجوزي في هذا المعنى وتلك الغاية سوانح مليحة، أسوق طرفًا منها لفوائدها:

١- «تأملتُ على قوم يدَّعون العقول، يعترضون على حكمة الخالق، فينبغي أن يقال لهم: هذا الفهم الذى دلكم على ردِّ حكمته، أليس هو من مِنحه؟ أفأعطاكم الكمال، ورضي لنفسه بالنقص؟! هذا هو الكفر المحض الذى يزيد في القبح على الجحد. فأول القوم إبليس، فإنه رأى بعقله أن جوهر النار أشرف من جوهر الطين، فردَّ حكمة الخالق، ومرَّ على هذا خلق كثير من المعترضين مثل ابن الراوندي (٢٩٨هـ) والبصري (ت: ٢٧٠هـ)، وهذا المعَّري (ت: ٤٤٩هـ) اللعين يقول: كيف يُعاب ابن الحجاج (ت:٣٩١هـ) بالسُّخف، والدهر أقبح فعلًا منه؟، أترى يعني به الزمان؟ كلا فإن ممرَّ الأوقات لا يفعل شيئًا، وإنما هو تعريض بالله تعالى. وكان يستعجل الموت ظنًا منه أنه يستريح، وكان يوصي بترك النكاح والنسك، ولا يرى في الإيجاد حكمة إلا العناء، والتعب، ومصير الأبدان

إلى البلى. وهذا لو كان كما ظن كان الإيجاد عبثًا، والحق منَّزه عن العبث».

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾(١) فإذا كان ما خلق لنا لم يخلق عبثًا، أفنكون نحن -ونحن مواطن معرفته ومحال تكليفه- قد أوجدنا عبثا؟!.

ومثل هذا الجهل إنما يصدر ممن ينظر في قضايا العقول التي يحكم بها على الظواهر، مثل أن يرى مبنيًا يُنقض، والعقل بمجرده لا يرى في ذلك حكمة، ولو كشفت له حكمة ذلك لعلم أنه صواب، كما كشف لموسى مراد الخضر في خرق السفينة، وقتل الغلام، ومعلوم أن ذبح الحيوان، وتقطيع الرغيف، ومضغ الطعام لا يظهر له فائدة سوى الإطلاق ..فإذا علم أنه غذاء لبدن من هو أشرف بدنًا من المذبوح، حسن ذلك الفعل.

وعجبًا أو ما تقضي العقول بوجوب طاعة الحكيم الذي يعز عن معرفة حكم مخلوقاته، فكيف يعارضه في أفعاله؟ نعوذ بالله من الخذلان»(٢).

٢- « معرفة الله سبحانه لا تحصل إلا لكمال العقل، صحيح المزاج، والترقي إلى محبته بذلك يكون. وإن أقوامًا قلّت عقولهم، وفسدت أمزجتهم، فساءت مطاعمهم، وقلَّت، فتخايلت لهم الخيالات الفاسدة، فادَّعوا

(١) سورة ص: الآية: (٢٧).

(٢) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٣٠٧).

معرفة الحق، ومحبته، ولم يكن عندهم من العلم ما يصدهم عما ادعوا؛ فهلكوا. وليعلم أن في المأكولات إفساد العقل، وفيها ما يزيد في السوداء، فيوجب الماليخوليا، فترى صاحبها يحب الخلوة، ويهرب من الناس، ويقلل المطعم، فيقوى مرضه، فيتخايل له خيالات يظنها حقًا.

فمنهم من يقول: إني رأيتُ الملائكة، وفيهم من يخرجه الأمر إلى دعوى محبة الحق، والوله فيه، ولا يكون ذلك عن أصل معتمد عليه.

وإنما العاقل العالم يسير في الطريق بين الرفيقين: العلم، والعقل فإذا تقلَّل من الطعام فبعقل، وحد التقلل: ترك فضول المطعم، وما يخاف شره من شبهة أو شهوة يحذر تعودها، وأما زيادة التقلل مع القدرة فليس لعقل ولا شرع.. إلا أن يكون الفقر عم، فيتقلل ضرورة، ومن تأمل حال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وجدهم يأخذون بمقدار، ولا يتركون حظوظ النفس التي تصلحها[1].

ومن أحسن الأمر وأعدله قول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ثلثٌ طعام، وثلث شراب، وثلث نَفس»[2] و، قد قال لعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو مريض: «أصِب من هذا الطعام، فهو أوفق لك من هذا»[3] وكان

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٣٣٣).

(٢) صحيح الترمذي، كتاب الزهد، (حديث رقم ٢٣٠٢).

(٣) صحيح الترمذي، كتاب الطب، (حديث رقم ٢٠٣٧).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشاور الأطباء ويحتجم، ويحث على التداوي ويقول: «ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء، فتداووا»(١).

فجاء أقوام جهلوا العلم والحكمة في بنيان الأبدان، فمنهم من أقام في الجبال يأكل البلوط، فأصابه القولنج، ومنهم من قلَّل المطعم إلى أن ضعفت قواهم، ومنهم من اقتصر على نبات الصحراء، ومنهم من كان لا يقوت إلا الباقلاء والشعير، فأوجبت هذه الأفعال أمراضًا في البدن، وترقت إلى إفساد العقل، وأنفق لهم قلة العلم؛ إذ لو علموا لفهموا أن الحكمة تنهى عن مثل هذا، فإن البدن مبني على أخلاط إذا اعتدلت، وقعت السلامة، وإذا زاد بعضها، وقع المرض، وأكثر هؤلاء مرضوا، وتعجل لهم الموت، وفيهم من خرج إلى التسودن، وفيهم من لاحت له لوائح فادعى رؤية الملائكة إلى غير ذلك».

(د)- **حفظ النَّسل:** المقصود بحفظ النسل: القيام بأعباء الزواج والولد والعرض، والحذر من المفاسد المترتبة على التعدي على حدود الله فيها.

ولابن الجوزي دقائق نفيسة في هذا الباب أسوق منها ما يلي:

١- «طلب التزوج للأولاد هو الغاية في التعبد، وإن أراد التلذذ فمباح، ويندرج فيه من التعبد ما لا يحصى من إعفاف نفسه والمرأة، إلى غير ذلك، وقد أنفق موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من عمره الشريف عشر سنين في مهر بنت

---

(١) النسائي، كتاب الطب (حديث رقم ٥٣٧٨).وإسناده صحيح.

شعيب، فلولا أن النكاح من أفضل الأشياء، لما ذهب كثير من زمان الأنبياء فيه»[1].

٢-« تأملتُ في فوائد النكاح ومعانيه وموضوعه، فرأيتُ أن الأصل الأكبر في وضعه وجود النسل؛ لأن هذا الحيوان لا يزال يتحلَّل، ثم يخلف المتحلل الغذاء، ثم يتحلل من الأجزاء الأصلية ما لا يخلفه شيء، فإذا لم يكن بد من فنائه، وكان المراد امتداد أزمان الدنيا، جعل النسل خلفًا عن الأصل، ولما كانت صورة النكاح تأباها النفوس الشريفة من كشف عورة، وملاقاة ما لا يستحسن لنفسه؟، جعلت الشهوة تحت ليحصل المقصود، ثم رأيتُ هذا المقصود الأصلي يتبعه شيء آخر، وهو استفراغ هذا الماء الذي يؤذي دوام احتقانه، فإن المني يفصل من الهضم الرابع، فهو من أصفى جوهر الغذاء، وأجوده، ثم يجتمع، فهو أحد الذخائر للنفس، فإنها تدخر لبقائها وقوتها الدم، ثم المني، ثم تدخر التفل الذي هو من أعمدة البدن، كأنه لخوف عدم غيره.

فإذا زاد اجتماع المني؛ أقلق على نحو إقلاق البول للحاقن، إلا أن إقلاقه من حيث المعنى أكثر من إقلاق البول من حيث الصورة، فتوجب كثرة اجتماعه، وطول احتباسه أمراضًا صعبة، لأنه يترقى من بخاره إلى الدماغ فيؤذي-وربما أحدث سمية- ومتى كان المزاج سليمًا فالطبع يطلب بروز المني إذا

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٩).

اجتمع، كما يطلب بروز البول، وقد تنحرف بعض الأمزجة فيقل اجتماعه عنده، فيندر طلبه لإخراجه، وإنما نتكلم عن المزاج الصحيح.

فأقول: قد بينت أنه إذا وقع به احتباس أوجب أمراضًا، وجدد أفكارًا رديئة وجلب العشق والوسوسة إلى غير ذلك من الآفات، وقد نجد صحيح المزاج يخرج ذلك إذا اجتمع وهو بعد متقلقل، فكأنه الآكل الذي لا يشبع، فبحثتُ عن ذلك فرأيته وقوع الخلل في المنكوح إما لدمامته وقبح منظره، أو لآفة فيه، أو لأنه غير مطلوب للنفس، فحينئذ يخرج منه ويبقى بعضه، فإذا أردت معرفة ما يدلك على ذلك، فقس مقدار خروج المني في المحل المشتهى، وفي المحل الذي هو دونه، كالوطء بين الفخذين بالإضافة إلى الوطء في محل النكاح، وكوطء البكر بالإضافة إلى وطء الثيب، فعلم حينئذ أن تخير المنكوح يستقصي فضول المني، فيحصل للنفس كمال اللذة لموضع كمال بروز الفضول.

وثم قد يؤثر هذا في الولد أيضًا، فإنه إذا كان من شابين قد حَبسا أنفسهما عن النكاح مدة، كان الولد أقوى منه من غيرهما، أو من المدمن النكاح في الأغلب، لهذا كره نكاح الأقارب؛ لأنه مما يقبض النفس عن انبساطها، فيتخيل الإنسان أنه ينكح بعضه، ومدح نكاح الغرائب لهذا المعنى، ومن هذا الفن يحصل كثير من المقصود من دفع هذه الفضول المؤذية بمنكوح مستجد، وإن كان مستقبح الصورة فلا يحصل به العادة.

فمن أراد نجابة الولد، وقضاء الوطر، فليتخيَّر المنكوح، إن كان زوجة، فلينظر إليها، فإذا وقعت في نفسه، فليتزوجها، ولينظر في كيفية وقوعها في نفسه، فإن تعلق حبها بالقلب أنه لا يكاد يصرف الطرف عنها، فإذا انصرف الطرف، قلق القلب بتقاضي النظرة، ودونه مراتب، على مقاديرها يكون بلوغ الأغراض. وإن كان جارية تشترى، فلينظر إليها أبلغ من ذلك النظر، ومن قدر على مناطقة المرأة، أو مكالمتها بما يوجب التنبيه، ثم ليرى ذلك منها، فإن الحسن في الفم والعينين.

وقد نص أحمد على جواز أن يبصر الرجل من المرأة التي يريد نكاحها ما هو عورة، يشير إلى ما يزيد على الوجه، ومن أمكنه أن يؤخر العقد أو شراء الجارية، لينظر كيف توقان قلبه، فإنه لا يخفى على العاقل توقان النفس لأجل المستجد، وتوقانها لأجل الحب، فإذا رأى قلق الحب أقدم، فإنه قد أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا حمد بن أحمد، قال: أخبرنا أبو نعيم، قال حدثنا سليمان بن أحمد، قال حدثنا عبدالجبار بن أبي عامر قال: حدثني أبي، قال حدثني خالد بن سلام: قال حدثنا عطاء الخراساني قال: مكتوب في التوراة: كل تزويج على غير هوى حسرة وندامة إلى يوم القيامة»[١].

٣ — «ينبغي للعاقل أن يتخيَّر امرأة صالحة من بيت صالح، يغلب عليه الفقر، لترى ما يأتيها به كثيراً، وليتزوج من مقاربة في السِّن، فأما الشيخ فإنه إذا

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٢٨).

تزوج صبية آذاها، وربما فجرت، أو قتلته، أو طلبت الطلاق وهو يحبها، فيتأذى. وليتم نقصه بحسن الأخلاق، وكثرة النفقة. ولا ينبغي للمرأة أن تقرب من زوجها كثيرًا فتمل، ولا تبعد عنه فينساها. ولتكن وقت قربها إليه كاملة النظافة مستحسنة، ولتحذر أن يرى فرجها أو جسمها كله فإن جسم الإنسان ليس بمستحسن، وكذلك ينبغي له ألا يريها جسمه، وإنما الجماع في الفراش، ورأى كسرى يومًا كيف يسلخ الحيوان، ويطبخ، فتقلبت نفسه، ونفى اللحم، فذكر ذلك لوزيره، فقال: أيها الملك الذبيح على المائدة، والمرأة في الفراش، ومعناه. لا تفتش عن ذلك.

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما رأيتُ من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا رأى مني[(١)]. وقام ليلة عريانًا، فما رأيت جسمه قبلها»، وهذا الحزم، وكذلك يعجب الرجل بالمرأة؛ لأنه لم ير عيوبها، وليكن للمرأة فراش، وله فراش، فلا يجتمعان إلا في حال الكمال. ومن الناس من يستهين بهذه الأشياء، فيرى المرأة متبذلة تقول: هذا أبو أولادي، ويتبذل هو، فيرى كل واحد من الآخر ما لا يشتهي؛ فينفر القلب، وتبقى المعاشرة بغير المحبة، وهذا فصل ينبغي تأمله، والعمل به، فإنه أصل عظيم»[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه»: (كتاب الاستئذان - باب ما جاء في المعانقة والقبلة - حديث رقم: ٢٧٣٢) وإسناده ضعيف.

(٢) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة: ٣٦٩).

ولابن الجوزي -في هذا الباب- قواعد وأصول وضوابط يمكن للمربين وعلماء الاجتماع الانتفاع بها والإفادة منها في إصلاح البيوت والأسر والمؤسسات الاجتماعية.

(هـ) **حفظ المال**: المال عصب الحياة، وسبب المعاش، وبدون المال تتعطل كثير من مصالح المرء وتتبدد أحواله، ولا يستقيم له حال، والمقصود بحفظ المال: معرفة طرق كسبه المشروعة ومعرفة سبل الإنفاق، وأحكام البيوع والمعاملات، والحذر من تعدي حدود الله في ذلك. ولأبي الفرج رحمه الله تعالى نفائس في الأمر، بحفظ المال ومراعاة حقوق الله تعالى فيه، ومنها:

١- «تفكرتُ، فرأيت أن حفظ المال من المتعين، وما يسميه جهلة المتزهدين توكلًا من إخراج ما في اليد ليس بالمشروع، فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لكعب بن مالك: أمسك عليك بعض مالك»(١) أو كما قال له، وقال لسعد «لأن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس»(٢)، فإن اعترض جاهل فقال: فقد جاء أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بكل ماله.

---

(١) أخرجه البخاري: (كتاب التفسير - باب لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار - حديث رقم ٤٦٧٦) ومسلم: (كتاب التوبة - باب توبة كعب بن مالك).

(٢) أخرجه البخاري: (كتاب الوصايا - باب أن يترك ورثته أغنياء - حديث رقم ٢٧٤٢).

فالجواب: «أن أبا بكر صاحب جاه وتجارة، فإذا أخرج الكل أمكنه أن يستدين عليه فيتعيش، فمن كان على هذه الصفة لا أذمُّ إخراجه لماله، وإنما الذم متطرق إلى من يخرج ماله وليس من أرباب المعاش، أو يكون من أولئك، إلا أنه ينقطع عن المعاش، فيبقى كلًّا على الناس، ويستعطيهم، ويعتقد أنه على الفتوح وقلبه متعلق بالخلق، وطمعه ناشب فيهم، ومتى حرك بابه نهض قلبه، وقال رزق قد جاء، وهذا أمر قبيح بمن يقدر به على المعاش، وإن لم يقدر كان إخراج ما يملك أقبح، لأنه يتعلق قلبه بما في أيدي الناس، وربما ذل لبعضهم، أو تزين له بالزهد، وأقل أحواله أن يزاحم الفقراء والمكافيف والزمنى في الزكاة» [١].

٢- «لا ينكر أن الطباع تحب المال؛ لأنه سبب بقاء الأبدان، لكنه يزيد حبه في بعض القلوب حتى يصير محبوبًا لذاته، لا للتوصل به إلى المقاصد، فترى البخيل يحمل على نفسه العجائب، ويمنعها اللذات، وتصير لذاته في جمع المال، وهذه جِبلة في خلق كثير، وليس العجب أن تكون في الجهال، بل العجب أن تكون في أهل العلم، وينبغي أن يؤثر فيها عند العلماء المجاهدة للطبع ومخالفته، خصوصًا في الأفعال اللازمة في المال.

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٣٤).

فأما أن يكون العالم جامعًا للمال من وجوه قبيحة، من شبهات قوية وبحرص شديد وبذل في الطلب، ثم يأخذ من الزكوات ولا تحل له مع الغنى، ثم يدخِرهُ ولا ينفع به، فهذه بهيمية تخرج عن صفات الآدمية، بل البهيمية أعذر لأنها بالرياضة تتغير طباعها، وهؤلاء ما غيرتهم رياضة ولا أفادهم العلم.

ولقد كان أبو الحسن البسطامي(ت:٤٢٥هـ) مقيمًا في رباط البسطامي الذي على نهر عيسى، وكان لا يلبس إلا الصوف شتاء وصيفًا، وكان يُحترم ويقصد، فخلَّف ما لا يزيد على أربعة آلاف دينار.

ورأينا بعض أشياخنا وقد بلغ الثمانين وليس له أهل ولا ولد، وقد مرض فألقى نفسه عند بعض أصدقائه، فتكلَّف له ذلك الرجل ما يشتهيه، وما يشفيه، فمات، فخلف أموالًا عظيمة. ورأينا صدقة بن الحسين الناسخ ،وكان على الدوام يذم الزمان وأهله، ويبالغ في الطلب من الناس، ويتخفَّف وهو في المسجد وحده ليس له من يقوم بأمره، فمات، فخلَّف فيما قيل ثلاثمائة دينار. وكان يصحبنا أبو طالب بن المؤيد الصوفي وكان يجمع المال، فسُرق منه نحو مئة دينار، فتلهَّف عليها وكان ذلك سبب هلاكه.

ومن أعجب أحوال الناس أنك ترى أقوامًا جلسوا على صفة القوم، يطلبون الفتوح، فيأتيهم منها الكثير الذي يصيرون به من الأغنياء وهم لا يمتنعون من أخذ زكاة، ولا من طلب.

وكذلك القُصَّاص، يخرجون إلى البلاد ويطلبون، فيحصل لهم المال الكثير، فلا يتركون الطلب عادة. فيا سبحان الله! أي شيء أفاد العلم؟! بل الجهل كان لهؤلاء أعذر.

ومن أقبح أحوالهم لزومهم الأسباب التي تجلب الدنيا من التخاشع والتنسك في الظاهر، وملازمة حث العزلة عن المخالطة، وكل هؤلاء بمعزل من الشرع»(١).

***

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة: ٢١٢).

المبحث الرابع

موارد ابن الجوزي في كتاب «صيد الخاطر»

يزخر كتاب «صيد الخاطر» بكثير من العلوم والمعارف التي دبجتها يراع ابن الجوزي رحمه الله تعالى، فالكتاب وإن كان موضوعه الرئيس نثر السوانح والتأملات والخواطر ، إلا أنه ضمَّ بين دفتيه عشرات الحِكم والأخبار والأصول والحكايات، وغيرها من فنون المرويات.

ولم يرتب ابن الجوزي علومه في كتابه، لطبيعة الموضوعات التي فرضها أسلوب التأليف في هذا الفن، فغدت كنوز الكتاب متناثرة ومتباعدة، لا يُعرف لها مورد، ولا يُستدل لها بمصدر.

والوقوف على موارد ابن الجوزي في «صيد الخاطر» له فائدتان:

الأولى: الاطلاع على مصادر ابن الجوزي في شتى الموضوعات الشرعية في عصره وما قبله.

الثانية: الوقوف على الاتجاهات الدينية والعلمية والفكرية لمن ينقل عنهم ابن الجوزي.

وقد قسَّمتُ موارد ابن الجوزي–بعد سبر مروياته وآثاره– إلى قسمين:

القسم الأول: موارد ابن الجوزي التي صرَّح بالنقل عنها في «صيد الخاطر».

القسم الثاني: موارد ابن الجوزي التي لم يُصرّح بالنقل عنها في «صيد الخاطر»، وثبتت إفادته منها.

وقد ترجمتُ -ولله الحمد- لكل موارد ابن الجوزي التي وقفتُ عليها، وأشرتُ إلى مواضع الاقتباس التي أفاد منها الشيخ في كتابه، ثم أتبعتُ ذلك بذكر الملاحظات العامة والاستدراكات التي يلزم الوقوف عليها، في باب موارد ابن الجوزي في «صيد الخاطر».



القسم الأول: موارد ابن الجوزي التي صرَّح بالنقل عنها في «صيد الخاطر»:

هذه قائمة بموارد ابن الجوزي التي صرَّح بالنقل عنها في كتابه «الصيد» وقد بلغت اثنين وخمسين موردا(١).

١- محمَّد بن علي بن عطية (ت:٣٨٦هـ):

أبو طالب المكي الحارثي: (ت:٣٨٦هـ)، شيخ الصوفية، الزاهد العارف، مكيُّ المنشأ، عجمي الأصل، له روايات حديثية، كان يخطُّ في بغداد ويخلط، حُفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضر من الخالق. فبَدَّعه العلماء وهجروه. كانت له رياضات وأحوال تخالف السنة والهدي الصالح. روى عنه أبو الفرج في موضعين في الخاطرة رقم (١٩) وذكر أنه كان يقتدي به في الصبا

---

(١) الوقوف على هذه الموارد يُعين على نقد المرويات، سواء كانت حديثية أو تاريخية. انظر: ظَفر الأماني للكنوي (ص/٤٦٧-وما بعدها)، ففيه نقد السخاوي والذهبي وغيرهما، لمنهج الرواية عند ابن الجوزي. وانظر: معايير نقد المتن عند المحدثين، لإبراهيم صدِّيق (ص/٣٠- وما بعدها).

قلت: أما قول ابن عِراق الكناني (ت: ٩٦٣هـ) في مقدِّمة كتابه تنزيه الشريعة (ص/٤): «وموارد ابن الجوزي التي يُسند الأحاديث من طريقها غالبا: الكامل والضعفاء وتفسير ابن مردويه ومعاجم الطبراني والأفراد للدارقطني وتصانيف الخطيب وتصانيف ابن شاهين والحلية وتاريخ اصبهان وتاريخ نيسابور والأباطيل للجوزجاني»، فيقصد بها موارده في كتابه العِلل المتناهية في الأحاديث الواهية الذي لخَّصه الذهبي.

لما تصوف، تقليدًا، وبين أن ذلك مخالف للشرع. وفي الخاطرة رقم (٣٦٠) بيَّن فيها أن الكتب التي صنفها بعض العبَّاد فيها أحاديث غير صحيحة، وفيها ما يخالف الشرع[1].

٢- عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الأنماطي: (ت:٥٣٨هـ):

الحافظ المسند، ومن شيوخ ابن الجوزي، كان ثقة حافظًا. روى عنه أبو الفرج في أربعة مواضع، في الخواطر: (١٩,٩٤,٣٣٧,٣٥٢)، وكان يروي عنه بإسناده إليه بصيغة التحديث «أنبأنا» ،وقد ذكر ابن الجوزي أن شيخه كان على قانون السلف، وكان يبكي إذا قُرئ عليه أحاديث الرقائق. وأشار أبو الفرج إلى أنه استطاع النظر في ثبت شيخه الذي فيه مروياته وأسانيده.

٣- مُحَمَّد بن عبدالباقي بن أحمد ابن البطي: (ت ٥٦٤:هـ):

مسند العراق، مُعَمَّر، كان حريصًا على نشر العلم، صدوقًا، ويعد من شيوخ ابن الجوزي، صحيح السماع، روى عنه ابن الجوزي بصيغة الحديث «أخبرنا» في الخاطرة رقم (٢٨).

---

(١) من مصنفاته المشهورة: «قوت القلوب» وهو من الكتب المعتمدة عند الصوفية في الوعظ وطلب الآخرة. وقد شحنه مؤلفه بالأحاديث والأخبار الواهية والضعيفة.

٤- يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري الأندلسي: (ت:٤٦٣هـ):

الحافظ، المؤرخ، من كبار علماء المغرب. يعد من أئمة السلف. قال الإمام الذهبي عنه: «كان في أصول الدِّيانة على مذهب السلف لم يدخل في علم الكلام، بل قفا آثار مشايخه». له تأليف كثيرة، من أشهرها «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد». اقتبس منه ابن الجوزي في الخاطرة رقم (٤٩) عند الحديث عن صفة النزول لله تعالى. وقد أغلظ ابن الجوزي على ابن عبدالبر ووصفه بالجهل بمعرفة الله عَزَّوَجَلَّ. وهنا فائدة مهمة وهي: أن ابن الجوزي له اطلاع على كتب أهل المغرب. وليس ببعيد أنه استفاد من ابن حزم في حديثه عن أحوال النفس وعيوبها. مع العلم أنه لم يصرّح بذلك في كتابه «صيد الخاطر».

٥- مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ):

الحافظ المحدث، ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وتوفي في نيسابور، من الأعلام، صاحب كتاب «المسند الصحيح المختصر من السُّنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، اقتبس منه ابن الجوزي أحاديث صحيحة انفرد بها، وأحاديث أخرى اتفق مع البخاري في تصحيح أسانيدها. انظر الخواطر: (٢٠٢، ٢١٥، ٢٥٩، ٢٨٩).

٦- مُحَمَّد بن الحسن بن يعقوب العطار: (ت: ٣٥٤هـ):

العلامة المقرئ، شيخ القراء. ثقة. صنَّف في التفسير والمعاني. طعن فيه بعضُ علماء عصره في إقرائه بحروف تخالف الإجماع. اقتبس منه أبو الفرج في الخاطرة رقم (٦٩) في ذكر مثال على القراءات المخالفة للإجماع، وأنكر عليه تعظيم نفسه وهجر سماع علماء عصره في هذا الفن.

٧- إبراهيم بن دينار النهرواني الحنبلي (ت: ٥٥٦هـ):

زاهد، من علماء الفرائض، كان يؤثر الخمول والقنوع. وصفه الذهبي بقوله: «أحد أئمة بغداد»، روى عنه ابن الجوزي حكاية امرأة مع أحد القضاة. وحكاية أخرى عن المطلقة ثلاثًا ،هل تحل إذا ولدت ذكرًا، في الخاطرة رقم (٧١).

٨- موهوب بن أحمد بن مُحَمَّد الجواليقي (ت: ٥٤٠هـ):

أديب، لغوي، من شيوخ ابن الجوزي. قال السمعاني: هو ثقة ورع. شهد له أهل عصره بالصدق والأمانة وصلاح الطريقة. روى عنه ابن الجوزي في الخاطرة رقم (٩٤) ،أنه انتفع برؤيته وحرصه على العبادة والتحري. ووصفه بالإتقان والتحقيق.

٩- هبة الله بن محمَّد بن عبدالواحد ابن الحصين البغدادي (ت: ٥٢٥هـ):

مسند، تفرَّد براويات. وَثقه السمعاني وصحَّح سماعه ووصفه بالثقة الدَّيِّن. يُعَدّ من شيوخ ابن الجوزي، روى عنه بصيغة التحديث في الخاطرة رقم (٢٦٨) وقال «أخبرنا».

١٠- أحمد بن الحسن بن أحمد ابن البناء البغدادي (ت: ٥٢٧ هـ):

مسند بغداد، من العلماء الثقات. حدَّث عنه «السلفي» و«ابن عساكر» وغيرهما. يُعَدّ من شيوخ ابن الجوزي. روى عنه أبو الفرج في موضع واحد في الخاطرة رقم (٢٦٨) بصيغة الحديث «أنبأنا».

١١- أحمد بن يحيي بن اسحاق الراوندي (ت: ٢٩٨هـ):

المعتزلي الفيلسوف، له مقالات الحادية، أصله من أصبهان، واستوطن بغداد وبها توفي. وللعلماء ردود عليه أثبتوا فيها زندقته وكفره. ورد اسمه في جميع طبعات «صيد الخاطر» محرفًا إلى «ابن الرومي»، وفي بعض النسخ المخطوطة «الرمودني».

وقد تحققت من صحة الاسم وهو «الراوندي» بالرجوع إلى ترجمة ابن الجوزي له في «المنتظم»، فقد تطابق فيه اقتباس ابن الجوزي لمقالة «الراوندي».

قال أبو الفرج في «صيد الخاطر» بعد كلامه عن وجوب التسليم لحكمة الله، وأن حكمته فوق العقل في الخاطرة رقم (٢٣٧): «ولقد رأيتُ لابن الراوندي

اعتراضًا على من يقول بتخليد الكفار في النار: ينبغي أن يُقبل كل ما يقوله العقل، ولا يردّ بعضه؛ إذ ليس ردّ بعضه بأولى من ردّ الكل، وتخليد الكفار لا غرض فيه للمعذِّب ولا المعذَّب، فلا يجوز أن يكون».

وقال في «المنتظم» في ترجمة «الراوندي»: «وذكر في كتاب «نعت الحكمة» تقبيح اعتقاد من يعتقد أن أهل النار يخلّدون، وقال: لا نفع لهم في ذلك ولا للخالق، والحكيم لا يفعل شيئًا لا نفع فيه. وهذا جهل منه؛ لأنه يريد بهذا تعليل أفعال الخالق سبحانه، وأفعاله لا تُعلَّل؛ لأن حكمته فوق عقل المعلِّل»[1].

١٢- علي ابن إبراهيم الحصري (ت: ٣٧١ هـ):

الصوفي الواعظ. بصري الأصل سكن بغداد. كان شيخ المتصوفة، صحب «الشبلي» وغيره من الزهاد، اقتبس أبو الفرج منه قوله «أيش علَي مني: وأيش لي فِي» ؟، في الخاطرة رقم (٢٣١) ومعناها: أي شيء عليَّ من النعم هو مني وأنا سببه؟ ،وأي شيء لي في نفسي؟ ويقصد أن النعم كلها من الله وإليه، والعبد لا يملك من أمر نفسه شيئًا.

---

(١) «المنتظم»: (٤/ ٧٧).

١٣- عبدالمجيد بن عبدالعزيز بن أبي رواد (ت: ٢٠٦هـ):

حافظ، وثّقه الإمام أحمد، يُعَدّ من المرجئة، كان فيه زهد وصلاح. اقتبس منه أبو الفرج في الخاطرة رقم (٢١) حكاية وقعت بخراسان، يصف فيها حادثة رجل أصابته العين.

١٤- أحمد بن صالح بن شافع (ت: ٥٦٥ هـ):

حافظ، ثقة، من أهل بغداد، من المتفنِّنين على جادة السلف، نال رئاسة مع علم ودين. روى عنه أبو الفرج في الخاطرة رقم (٣٦٩) حادثة وقعت له في أمر الشهادة والشهود.

١٥- داود بن علي الظاهري (ت: ٢٧٠هـ):

مجتهد، تُنسب إليه الطائفة الظاهرية. أخذ بالظاهر من نصوص الوحيين وأعرض عن التأويل والرأي والقياس، اقتبس منه أبو الفرج حُكمه على حديث في باب المياه، وغلّطه فيه، في الخاطرة رقم (٣٦٤).

١٦- مُحَمَّد بن علي ابن الحسن الترمذي (ت: ٣٢٠هـ):

صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين. من أهل «ترمذ». له مصنفات في التصوف والكشف والإشارات، كاد أن يهلك بسببها. وقد هجره أكثر العلماء بسبب طريقته في مذهبه وشدة عباراته في التأويل. ذكر أبو الفرج في الخاطرة رقم (٣٦٠) تحذيره من كتبه ،التي فيها دفائن قبيحة تخالف الشريعة.

١٧- علي بن مُحَمَّد بن البراندسي (ت:٥٨٦هـ):

فقيه حنبلي، من شيوخ ابن الجوزي. من أهل بغداد، من قرية «براندس». تولى التدريس في مدرسة ابن هبيرة بباب البصرة. روى عنه ابن الجوزي بصيغة التحديث: «حدثني» في الخاطرة رقم (٢٨٦).

وقد تصَّحف اسمه -للأسف- في جميع طبعات صيد الخاطر إلى «الراندسي» ،وقد رقمتُ في هذا الكتاب مقالة شَرحتُ فيها أسباب التحريف وأدلة التصحيح.

١٨- عبدالله بن القاسم بن علي الحريري (ت: بعد ٥١٦هـ):

شاعر، أديب، من أهل بغداد، تلقى العلم والأدب عن أبيه، أبوه صاحب المقالات الحريرية المشهورة، لم أجد له ترجمة سوى إشارة يسيرة من الذهبي في- سير أعلام النبلاء- في ترجمة أبيه، فأخباره قليلة جدًا، اقتبس منه أبو الفرج في الخاطرة رقم (٢٩٨) بيتين من الشعر في هجوه الزمان، وغلَّطه في ذلك.

١٩- أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري (ت: ٤٤٩هـ):

فيلسوف، شاعر، من أهل بغداد، متهم بالزندقة. له تصانيف وأشعار فيها غرائب ودواهٍ. اقتبس منه أبو الفرج في الخاطرة رقم (٣٠٦) قوله في الوصية بترك النكاح، والقول بقبح الدهر. وقد غَلَّطه أبو الفرج ووصفه بـ «اللعين».

٢٠- منصور بن عمار بن كثير السُّلمي (ت: ٢٠٠هـ):

واعظ بليغ، من البصرة، له اشتغال بالحديث، وعظ بالعراق والشام ومصر، وتزاحم عليه الخلق. وكان فيه صلاح وورع وله كرامات. أشار أبو الفرج إلى حسن وعظه وبلاغته في الخاطرة رقم (٨٦). وبعض علماء الحديث يضعِّفون رواياته ويصفون حديثه بالمنكر.

٢١- مُحَمَّد بن عمر بن واقد الأسلمي (ت: ٢٠٧هـ):

علامة بالتاريخ والمغازي، من المدينة، انتقل الى العراق في أيام الرشيد، في كتبه غرائب وروايات ضعيفة. ولهذا ضعَّفه المحدثون. اقتبس أبو الفرج منه حكاية عن بعض مُدَّعي النبوة كما في الخاطرة رقم (٣٠٩).

٢٢- علي بن عقيل بن مُحَمَّد البغدادي (ت: ٥١٣هـ):

واعظ، فقيه، متكلم، من كبار علماء الحنابلة، غزير التصنيف، يُعَدُّ من شيوخ ابن الجوزي بالوجادة، من أهل بغداد، له ميل إلى المعتزلة، وفي عقيدته- في الأسماء والصفات- اضطراب. لم يُدرك ابن الجوزي شيخه أبا عقيل، فقد توفي شيخه وعمر ابن الجوزي ثلاث سنوات. لكن ابن الجوزي تأثر بآرائه وتقريراته، وفي بعض المواضع نَقَدَه وغَلَّطه كما في الخاطرة رقم (٣١).

٢٣- عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري (ت: ٢٧٦هـ):

أديب متفنن، غزير التصنيف، من أهل بغداد، اشتغل بالقضاء مدة. وَثَّقه أهل الحديث ووصفوه بأنه من أهل السُّنة، اقتبس منه ابن الجوزي تفسيره لمعنى قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اليد العليا خير من اليد السفلى»(١) في الخاطرة رقم (١٠١). وفي الخاطرة رقم (١٠٩) ،عاب عليه تزلفه للوزير ابن خاقان.

٢٤- عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن عبدالواحد القزاز (ت: ٥٣٥هـ):

محدث من أهل بغداد، كان ثقة صحيح السماع. يعدُّ من شيوخ ابن الجوزي، روى عنه أبو الفرج بصيغة التحديث «أخبرنا» في الخاطرتين رقم (١١٩) و(١٢٩).

٢٥- مُحَمَّد بن عبدالله بن البيع النيسابوري الحاكم (ت: ٤٠٥هـ):

حافظ للحديث، من الأئمة، ولي قضاء نيسابور، كان يُنفذ الرسائل الى ملوك بني بويه، اقتبس منه أبو الفرج مقالة له في كتابه (المدخل) حول عدد أحاديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقده فيها كما في الخاطرة رقم (١٧٤).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: (كتاب الزكاة - باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى - حديث رقم: ١٤٢٧)، ومسلم: (كتاب الزكاة - باب اليد العليا خير من اليد السفلى- حديث رقم: ١٠٣٣).

٢٦- يحيي بن محمد بن هبيرة الدوري (ت: ٥٦٠):

عالم، فقيه حنبلي، كان كاتبًا ثم ترقّى فصار وزيرًا، من أهل بغداد، مات مسمومًا. يعد من شيوخ ابن الجوزي، روى عنه أبو الفرج بصيغة التحديث «حدثني» وذكر قصة حدثت للوزير ابن هبيره مع المستنجد بالله العباسي.

٢٧- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت: ٢٥٦هـ):

الحافظ، الإمام، صاحب «الجامع الصحيح» المعروف بصحيح البخاري. من أهل بخارى، قام برحلات كثيرة لطلب العلم، وسمع من ألف شيخ. اقتبس منه أبو الفرج أثرًا موقوفًا كما في الخاطرة رقم (١٩)، ونقد منهجه في التصحيح كما في الخاطرة رقم (١٧٤).

٢٨- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ):

إمام أهل السنة والجماعة، إمام المذهب الحنبلي، أصله من مرو، ولد ببغداد، سافر كثيرًا في طلب العلم .صنَّف «المسند»، فيه ثلاثون ألف حديث. اقتبس منه أبو الفرج في أربعين موضعًا من كتابه: في الزهد والأخلاق والسلوك والفقه. وكان معجبًا به وبسمته وبإمامته وفضله، وأكثر اقتباسات ابن الجوزي من «المسند» و«الزهد»، أشهر كتابين للإمام أحمد. فقد اقتبس أبو الفرج من المسند أحاديث، منها حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما لبس الخاتم رمى به، وقال «شغلني نظري إليكم ونظري إليه»[1]، وكذلك

(١) أخرجه النسائي في سننه: (كتاب الزينة - باب طرح الخاتم وترك لبسه - رقم الحديث: ٤٨٨٣)، واسناده صحيح.

حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ مر على حائط مائل فأسرع...[(١)].

واقتبس أبو الفرج من «الزهد» للإمام أحمد آثارًا منها: قول أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: (ما أعرفُ شيئًا مما كنا عليه اليوم إلا القِبلة). وكذلك قول عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنهُ (ليتني إذ متُّ لا أُبعث). وقول عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: (ليتني كنت نسيًا منسيًا)[(٢)].

٢٩- أحمد بن مُحَمَّد بن هارون الخلال (ت: ٣١١هـ):

عالم بالتفسير والحديث واللغة. من كبار الحنابلة. من أهل بغداد. جمع علم الإمام أحمد وألفاظه وفتاويه فرتبها وقرّبها للناس. اقتبس أبو الفرج منه أحاديث من كتابه (العلل) ونقدها لمخالفتها مذهب الإمام ،كحديث الوضوء بالنبيذ. وذكر أن أهل خراسان اعترضوا على أبي الفرج لنقده أحاديث في المسند.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (٢/ ٣٥٦ - حديث رقم ٢٢٧٦) واسناده صحيح.

(٢) انظر الخواطر رقم: (١١ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٥١ ، ٦٠، ٦١ ، ٧١ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٤، ١٧٨، ١٩٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٨٩ ، ١٩٣ ' ٢٩٥ ، ٣٢١ ، ٣٣٣ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٥٠ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣). فائدة مهمة: أكثر الاعلام وروداً في كتاب «صيد الخاطر» هو الإمام «أحمد بن حنبل» (ت:٢٤١هـ)، فقد ذكره في نحو ثلاثين موضعًا من كتابه، يليه «سفيان الثوري» (ت:١٧٥هـ) ثم «بشر الحافي» (ت:٢٢٧هـ).

٣٠- مُحَمَّد بن الحسين بن مُحَمَّد أبو يعلى الفراء (ت: ٤٥٨ هـ):

القاضي، شيخ الحنابلة، عالم بالمذهب وفروعه، من أهل بغداد، له مصنفات كثيرة. اقتبس أبو الفرج منه مسألة بخطه في (النبيذ) وذكر عنه قاعدة أن الإمام أحمد يروي في مسنده ما اشتهر ولم يقصد الصحيح ولا السقيم. في الخاطرة (٢١٨).

٣١- عبدالرحمن بن عيسى الفقيه (لم أقف على تاريخ وفاته):

من شيوخ ابن الجوزي. روى عنه بصيغة التحديث «حدثني» في الخاطرة رقم (٢٢٦)، روى عنه ابن الجوزي حكاية حصلت لبعض مِّدعي الفقه. لم أظفر بترجمته بعد طول بحث. وليس ببعيد أن يكون الاسم محرفًا. و«ابن المنصوري» شيخه الذي أورده أبو الفرج لم أجد له ذكرًا في كتب التراجم، إلا ما أشار إليه الجزري في «اللباب» وقصد به: أحمد بن مُحَمَّد بن صالح المنصوري، ولم أظفر بترجمته.

٣٢- علي بن الحسين الغزنوي (ت: ٥٥١هـ):

الواعظ الشهير. أصله من «غزنة» من بلاد خراسان. سكن بغداد وبها تفقَّه. كان له جاه ومنزلة عند السلطان. وكان كريمًا سخيًا. كان فيه ميل إلى التشيع. روى عنه ابن الجوزي مقالة له قالها على المنبر في الخاطرة رقم (٢٣٥).

٣٣- علي بن عبيدالله بن نصر ابن الزاغوني (ت: ٥٢٧ هـ):

شيخ الحنابلة، فقيه، مؤرخ، من أهل بغداد. يُعَدُّ من شيوخ ابن الجوزي. وصفه أبو الفرج بقوله «شيخنا» في الخاطرة رقم (٣٤١) وروى عنه أبيات تنسب إلى «مُحَمَّد التميمي» في ذم الهوى والتعلق بالنساء في الخاطرة رقم (٢٤٥).

٣٤- مُحَمَّد بن ناصر السُّلامي (ت: ٥٥٠ هـ):

إمام محدث حافظ، من أهل بغداد، له تصانيف، كان إمامًا في اللغة، عرف بحسن الديانة. يعد من شيوخ ابن الجوزي. روى عنه بصيغة التحديث «حدثني» ووصفه بـ «شيخنا» كما في الخاطرة رقم (٢٨٥). وثقه السمعاني وابن النجار، ولازمه ابن الجوزي ثلاثين سنة.

٣٥- عبدالله بن أحمد بن أحمد الخشاب (ت: ٥٦٧ هـ):

محدث، علامة، إمام في النحو، من أهل بغداد، عُرف بسرعة قراءته وفصاحته، وكانت فيه دعابة، طالع أبو الفرج ثبت كتبه، ونهل منها، وأفاد من مسائلها، كما في الخاطرة رقم (٣٣٧).

٣٦- مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ):

الإمام الفيلسوف، المتصوف. أبو حامد. عالم بقواعد الأخلاق، له شهرة واسعة، تصانيفه كثيرة، أصله من (طوس) من مدن خراسان، اقتبس منه أبو الفرج أقوالًا في أحوال أهل التصوف ونقده فيها، وتعجب منها كيف صدرت منه على جلالة قدره. انظر الخاطرتين (٢٥١) و(٣٦٠).

٣٧- عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني (ت:٤٧٨ هـ):

أبو المعالي، شيخ الشافعية، أصولي متكلم، من أئمة الأشاعرة، كان يحضر دروسه أكابر العلماء، له مصنفات كثيرة. اقتبس ابن الجوزي منه في موضعين كما في الخاطرة رقم (٦٩) ،في مسألة علم الله بتفاصيل الأشياء، وقد نقده أبو الفرج في عدم تحريره المسألة[١]. وفي الخاطرة رقم (٣٣٧) اقتبس أبو الفرج منه حكاية تاريخية في اتفاق الحلاج والجنابي وابن المفنع على قلب الدول واستعطاف القلوب. وقد وضَّح أبو الفرج تهافت حكايتهم عن طريق تباعد وفياتهم.

٣٨- علي بن مُحَمَّد بن أحمد الجرجاني الحناطي (ت: في حدود٤٢٠هـ):

لم أقف على ترجمته.

٣٩- أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ):

أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية. ولد ومات في أصبهان. اقتبس منه أبو الفرج كثيرًا من فوائد تراجم الرجال، وقصص السِّير. ويعد كتابه «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» من مصادر ابن الجوزي الرئيسة في كتابه «صيد الخاطر». وجل فوائد التراجم والأخبار مقتبسة منه مع بعض

---

(١) وضَّح الإمام الذهبي في كتابه «سِّير أعلام النبلاء»: (١٨/ ٤٧٢) المقصود من كلام الجويني، وبين موضع الخطأ والصواب من كلامه.

الاختصار والتنقيح والزيادة. ويعد أبو نعيم من شيوخ مشايخ ابن الجوزي، فقد أشار إليه في الخاطرة رقم (٢٨).

بقوله: أخبرنا مُحَمَّد بن عبدالباقى، قال: أخبرنا حمد بن أحمد. قال «أخبرنا أبو نعيم» ويعد أبو نعيم من زمرة المتصوفة، لكنه من الثقات في باب الإسناد والاعتقاد.

٤٠- أحمد بن الحسين بن الحسن الكندي المتنبي (ت: ٣٥٤ هـ):

أبو الطيب، شاعر حكيم، له شهرة واسعة في القرن الرابع الهجري وما بعده من القرون. ولد بالكوفة في مكان يسمى «كندة» ونشأ بالشام. قُتل بالنعمانية غرب بغداد. له رحلات ومدائح.

اقتبس ابن الجوزي منه أبياتًا استشهد بها في الخاطرة (٦٣، ١٠٨، ١٧٠). ولابن الجوزي رأي في منهج المتنبي في الحياة، إذ يعده من طلاب الدنيا اللاهثين بشعرهم لجمع حطامها.

٤١- مُحَمَّد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي (ت: ٤٠٦ هـ):

أبو الحسن: من مشاهير شعراء الطالبيين الأشراف. مولده ووفاته ببغداد. له ديوان شعر كبير، وهو مؤلف كتاب «نهج البلاغة» المنسوب إلى علي

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اقتبس ابن الجوزي منه أبياتًا استشهد بها كما في الخاطرة (١٣٧، ١٧٠، ٣٣٨). وكان يسخر من همته فيصفه بقوله: «نظرتُ فإذا غاية أمله الإمارة».

٤٢- علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ):

أبو الحسن: مؤسس مذهب الأشاعرة، إمام، متكلم، عالم بالفِرق والطوائف. ولد في البصرة وتوفي ببغداد. وبرع في مذهب المعتزلة، ثم ندم على اعتقاده، فتاب منه ومن أصوله وقواعده وردّ على أهله وعلمائه. قال أبوبكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى نشأ الأشعري فحجرهم في أقماع السِّمسم[1].

يعد من المنافحين عن مذهب أهل السنة والجماعة في أواخر حياته. وله مصنفات كثيرة منها «الصفات» في الرد على المعتزلة. ولا يخفى على عاقل أن الأشاعرة من القرن الرابع الهجري إلى اليوم، ليسوا على منهج أهل السنة والجماعة الذي رجع إليه أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى.

اقتبس ابن الجوزي جملة من اعتقاد أبي الحسن الأشعري القديم -عندما كان على مذهب المعتزلة-، كما في الخاطرة رقم (١٥٩) وفيه: أن بعض الولاة يميل إلى مذهب الأشاعرة.

---

(١) انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٥/ ٨٦).

٤٣- جرول ابن أوس بن مالك العبسي (ت: ٤٥هـ):

شاعر مخضرم، اشتهر بالهجاء، هجا أمه وأباه ونفسه، له ديوان شعر مشهور. اقتبس منه ابن الجوزي بيتين من الشعر، استشهد بهما كما في الخاطرة رقم (١١٤) في ذم من يجمع الكتب ولا يدري ما فيها.

٤٤- محمَّد بن يحيى بن عبدالله الصولي (ت:٣٣٥هـ):

أبو بكر: عالم بالأدب. اشتهر بمؤانسة ثلاثة من خلفاء بني العباس: الراضي والمكتفي والمقتدر، وكان ماهرًا في لعب الشطرنج معروفًا بذلك.

له تصانيف كثيرة. توفي في البصرة مستترًا. اقتبس أبو الفرج منه رواية في المقارنة بين الأشراف وغيرهم ممن لا أصل له.

٤٥- عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ):

أبو الفتح: إمام في الأدب والنحو. ولد بالموصل وتوفي ببغداد. كان أبوه روميًا مملوكًا. له تصانيف كثيرة. اقتبس منه أبو الفرج في الخاطرة رقم (١٧٦) حكاية جرت له مع بعض الأعراب. ونقل عنه أيضًا تعريفًا للغة.

٤٦- أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي (ت: ٣٧١هـ):

حافظ، محدث، فقيه، من أهل جرجان، اقتبس منه أبو الفرج قوله «إن البخاري لم يخرّج كل ما صح عنده»، وقد ضعَّف قوله وعقَّب عليه، كما في الخاطرة رقم (١٧٥).

٤٧- مُحَمَّد بن الحسين بن الشبل الحريمي (ت: ٤٧٣هـ)[1]:

أبو علي: شاعر، من أهل بغداد، له ديوان مشهور، له حِكم رائعة في أبياته. اتهم في عقيدته بسبب قصيدته الرائية ومطلعها:

بربك أيها الفلك المدار... أقصد ذا المسير أم اضطرار.

اقتبس منه أبو الفرج أبياتًا استشهد بها كما في الخاطرة رقم (١٧١).

٤٨- علي بن مُحَمَّد البستي (ت: ٤٠١هـ):

أبو الفتوح شاعر، له نظم في غاية الجودة. ولد في«بست» قرب سجتان. كان من كتاب الدولة السامانية في خراسان. وكانت له مكانة عند الأمير سبكتكين. وهو صاحب القصيدة النونية الشهيرة التي مطلعها «زيادة المرء في دنياه نقصان»، واقتبس أبو الفرج منه بيتيين من الشِّعر كما في الخاطرة رقم (١٧١).

٤٩- لبيد بن ربيعة بن مالك العامري (ت: ٤١هـ):

أبو عقيل شاعر مخضرم من أصحاب المعلقات المشهورة، من أهل عالية نجد «أدرك الإسلام فأسلم».

---

(١) ورد اسمه في بعض المصادر: «الحسن بن عبد الله». ينظر الصفدي: «الوافي بالوفيات»: (٣/ ١٢)، والحموي: «معجم الأدباء»: (٤/ ٨٠).

سكن الكوفة وعاش عمرًا طويلًا، ترك الشِّعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا وهو:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه... والمرءُ يُصلحه الجليسُ الصالح.

اقتبس أبو الفرج منه بيتًا واحدًا، كما في الخاطرة رقم (١٧١).

٥٠- مُحَمَّد بن فتوح بن عبدالله الحميدي (ت: ٤٨٨هـ):

أبو عبدالله: محدث: مؤرخ. أندلسي من أهل جزيرة «ميورقة»، أصله من قرطبة، يُعَدُّ من تلاميذ ابن حزم، توفي ببغداد، كانت له رحلات إلى الشام ومصر والحجاز، له مصنفات كثيرة، نَهل ابن الجوزي من كتبه التي كانت موقوفة في المدرسة النظامية ببغداد، فأفاد منها كثيرًا وقد صرَّح بذلك كما في الخاطرة (٣٣٨) من صيد الخاطر.

٥١- الحسن بن يسار البصري (ت: ١١٠هـ) أبو سعيد:

عالم، من الفقهاء التابعين. يعد من الأئمة. ولد بالمدينة، كان أبوه مولى لبعض الأنصار. ونشأ هو في كنف علي بن أبي طالب، وسكن البصرة، وبها توفي. وكان فصيحًا. كلامه كله حكم وفوائد. اقتبس منه أبو الفرج رواية ساقها بإسناده: أن الحسد من طباع بني آدم التي خُلقوا عليها؛ كما في الخاطرة رقم (٣٢٢).

٥٢- مُحَمَّد بن عمر بن واقد الواقدي (ت: ٢٠٧هـ):

أبوعبدالله: عالم مؤرخ، من مشاهير المصنفين في المغازي، ولد بالمدينة وتوفي ببغداد، اتصل بخالد البرمكي في العراق فقَرَّبه، وتولى القضاء مدة. له تصانيف كثيرة، من أشهرها «المغازي النبوية»، و«الطبقات». وقد ضعَّف علماء الحديث الاحتجاج به، وأخباره في التاريخ والمغازي يعوزها التحقيق والتدقيق. اقتبس منه أبو الفرج رواية عن بعض مدَّعي النبوة كما في الخاطرة رقم (٣٠٩).



القسم الثاني: موارد ابن الجوزي التي لم يصِّرح بالنقل عنها، وثبتت إفادته منها:

هذه قائمة بموارد ابن الجوزي التي استقى منها، وأفاد منها ،ولم يصِّرح بالنقل عنها، وقد بلغت هذه الموارد- في هذا القسم- (سبعة عشر) موردًا.

١- أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي) (ت: ٤٦٣هـ):

أبو بكر مؤرخ، من الحفاظ الثقات. مولده في (غزية) بالقرب من الكوفة، نشأ ببغداد وبها توفي، له رحلات كثيرة، تعد تصانيفه من أجود مصنفات القرن الرابع والخامس الهجري. تتسم مؤلفات الخطيب بأمرين: الأول: الجمع والتحقيق، الثاني: العناية بالأثر[١].

وقد اقتبس ابن الجوزي من الخطيب كثيرًا من الأحاديث والآثار المرفوعة، واعتمد عليه كثيرًا في تراجم الزهاد والعباد وأئمة السلف، وكذلك أفاد منه في تخريج بعض الآثار والتمييز بين المصطلحات والحُكم عليها. وهذا يتبين بالاستقراء والمقارنة بين مصنفات الرجلين. وقد كانت وفاة الخطيب البغدادي

---

(١) قال الذهبي في كتابه (الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم (ص /٥١) ط دار البشائر - سنة ١٤١٢هـ: تكلم فيه بعضهم، وهو أبو نعيم وكثير من علماء المتأخرين، لا أعلم لهم ذنبا أكبر من روايتهم الأحاديث الموضوعة في تأليفهم غير محذرين منها، وهذا إثم وجناية على السنن، فالله يعفو عنا وعنهم) وفي سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٢٨٩) قال الذهبي (تناكد ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغض من الخطيب ونسبه إلى أنه يتعصب على أصحابنا الحنابلة).

قريبة من ولادة ابن الجوزي. فقد كان بينهما أقل من نصف قرن فقط. ولم يصِّرح ابن الجوزي بالإفادة من الخطيب البغدادي لأسباب متعددة، منها: أن ابن الجوزي كان يتهم الخطيب بالتعصب ضد الحنابلة، وقد عاب عليه الاحتجاج بالأحاديث الموضوعة والدفاع عن المبتدعة!.

وقد قال العلامة حماد الأنصاري(ت: ١٤١٨هـ) رحمه الله تعالى: «إن ابن الجوزي يكرهُ ما كان عليه الحافظ الخطيب البغدادي من الاعتقاد، ويذم الخطيب بسب اعتقاده، وذلك أن ابن الجوزي يرى أن اعتقاد الخطيب حنبلي مخالف لما كان عليه الإمام أحمد وأصحابه، وأن الذي هو عليه هو الموافق لأحمد وأصحابه. وابن الجوزي مخطئ ولم يكن على عقيدة الإمام أحمد، بل كان أشعريًّا معتزليًا بسبب ابن عقيل وغيره»[١].

٢- أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ):

أبو نعيم: حافظ مؤرخ، مشهور بالرواية، ولد ومات في أصبهان، له تصانيف أكثرها في تراجم طبقات الأعلام.

اقتبس ابن الجوزي منه بعض أخبار الزهاد والمتصوفة وأقوالهم وحكاياتهم، ويعد كتابه «حلية الأولياء» من موارد ابن الجوزي الأساسية في «صيد الخاطر».

---

(١) حماد الأنصاري: «المجموع» - بدون ذكر اسم الناشر - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ: (٢/ ٧٤٥).

ولم يكن ابن الجوزي بعيد العهد عن وفاة أبي نعيم؛ إذ كان بينهما نحو قرن من الزمان. وهذا فيه دلالة على إفادة ابن الجوزي من أبي نعيم، ولم يصرّح ابن الجوزي بالإفادة من مصنفات أبي نعيم ،جريًا على عادة العلماء في عدم إسناد ما اشتهر.

٣- مُحَمَّد بن سعد بن منيع الزهري (ت: ٢٣٠هـ):

أبو عبدالله: مؤرخ من حفاظ الحديث، من الثقات. ولد في البصرة. ونشأ في بغداد، وبها توفي، له مصنفات أشهرها: «طبقات الصحابة» المعروف بـ «طبقات» ابن سعد.

اقتبس ابن الجوزي منه بعض أخبار الصحابة وأقوالهم وحكاياتهم. ولم يصرّح ابن الجوزي بالإفادة منه، جريًا على عادة العلماء في عدم إسناد ما اشتهر.

٤- مُحَمَّد بن جرير بن يزيد الطبري (ت: ٣١٠هـ):

أبو جعفر: مؤرخ، مفسر، فقيه، مُحِّدث. يعدُّ من الأئمة الثقات، ولد في «أمل طبرستان» استوطن بغداد وتوفي فيها. له مصنفات كثيرة، من أشهرها: «جامع البيان في تفسير القرآن» «وأخبار الرسل والملوك».

اقبس ابن الجوزي منه بعض معانى التفسير لأسباب النزول وقصص الأنبياء والمرسلين-عليهم الصلاة والسلام-، كذلك اقتبس منه بعض أخبار الأمم والإسرائيليات المروية.

ولم يصِّرح ابن الجوزي بالإفادة منه؛ جريًا على عادة العلماء في عدم إسناد ما اشتهر.

٥- أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١ هـ):

أبو عبدالله: إمام أهل السنة والجماعة، إمام المذهب الحنبلي. أصله من مرو، ولد ببغداد، سافر كثيرًا في طلب العلم. صنَّف (المسند) فيه ثلاثون ألف حديث. اقتبس ابن الجوزي من أقواله وأقوال مذهبه وأحواله وأخباره، وبثَّها في مواضع من «صيد الخاطر». وقد سبق ذكره في القسم الأول من المبحث الرابع. ولم يصِّرح ابن الجوزي بالإفادة منه لشهرته وشهرة مذهبه.

٦- عبدالله بن مُحَمَّد بن عبيد ابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١ هـ):

أبو بكر: حافظ، مصنِّف، له شهرة. أدَّب بعض خلفاء بني العباس في نشأتهم كالمعتضد والمكتفي. أصله من بغداد، وفيها توفي، له (١٦٤) كتابًا في الزهد والوعظ وأخبار الزاهدين. اقتبس ابن الجوزي منه بعض المرويات والأقوال الزهدية. ولم يصرح ابن الجوزي بالإفادة منه إلا في موضع واحد، كما في الخاطرة رقم (١٠٩). وتعدُّ مصنفات ابن أبي الدنيا من المصادر الأساسية للوقوف على روايات الزهد والوعظ ومعرفة أخبار الصالحين ،في القرنين الأول والثاني الهجريين.

٧- مُحَمَّد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت: ٢٤٥هـ):

أبو جعفر: علامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر. مولده ببغداد ووفاته بسامراء. يعدُّ من موالي بني العباس. له مصنفات كثيرة من أشهرها: «المحبر» و«المقاتلين من الأشراف». اقتبس ابن الجوزي منه بعض معاني اللغة وفوائد الشعراء في شعرهم. ولم يصرح بالإفادة منه؛ جريًا على عادة العلماء في عدم إسناد ما اشتهر.

٨- مُحَمَّد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت: ١٥١هـ):

مؤرخ، عالم بالمغازي والفتوحات. له شهرة واسعة عند العلماء. أصله من المدينة، سكن بغداد فمات بها. من أشهر مصنفاته «السيرة النبوية». اقتبس ابن الجوزي منه بعض أخبار السيرة النبوية ورواياتها، ولم يصرّح بذلك لتواتر العلم بها.

٩- مُحَمَّد بن الحسين بن مُحَمَّد السُّلمي (ت: ٤١٢هـ):

أبو عبدالرحمن: عالم بالتصوف وتاريخه وطبقاته. أصله من (نيسابور) وبها نشأ وتوفي. له تصانيف كثيرة تبلغ المئة، كلها في التصوف. أشهرها: «طبقات الصوفية» و«مناهج العارفين». وله روايات ضعيفة وأوهام في الأحاديث والمصطلحات. اقتبس ابن الجوزي منه بعض قصص الصوفية وأخباهم؛ كما في

الخاطرة رقم (٢٦٣). وفي الخاطرة رقم (٢٨٦) .ولم يصِّرح بالأخذ منه لعدم الرضا عن مذهبه وطريقته[١].

١٠- عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس الرازي (ت:٣٢٧هـ):

أبو مُحَمَّد المشهور بابن أبي حاتم الرازي: حافظ، مُحِّدث، من كبار العلماء. أصله من «الري» بخراسان. له مصنفات كثيرة ونافعة من أشهرها «الجرح والتعديل» و«التفسير» و«المراسيل» اقتبس ابن الجوزي منه بعض روايات التفسير الماثورة وفوائد الآيات وأسباب نزولها، كما في الخاطرة رقم (٢٦١) ولم يصرّح بالأخذ عنه؛ جريًا على عادة العلماء في عدم إسناد ما اشتهر.

١١- عبد بن حميد بن نصر الكَسي (ت: ٢٤٩هـ):

أبو مُحَمَّد: حافظ، عالم بالحديث، أصله من بلاد السند. له تصانيف من أشهرها: «تفسير القرآن»، و«المسند» اقتبس ابن الجوزي منه بعض روايات التفسير؛ كما في الخاطرة رقم (٣٠٥) والخاطرة رقم «٢١٥». ولم يصِّرح ابن الجوزي بالاقتباس منه؛ جريًا على عادة العلماء في عدم إسناد ما اشتهر.

---

(١) أورد ابن الجوزي في الخاطرة رقم (٢٩١) رواية في مسند الامام أحمد وفيها أن أبا عبدالرحمن السلمى تنازع مع رجل آخر. والسلمي الوارد في هذه الخاطرة ليس هو السلمي المتصوف، فالأول من أبناء الصحابة وقد توفي سنة (٧٤) والثاني الذي ترجم أعلاه.

١٢- حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري (ت: ٥٤هـ):

أبو الوليد: صحابي، مخضرم. عاش مئة وعشرين سنة. كانت له مدائح للإسلام وللرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اقتبس ابن الجوزي منه أبياتًا استشهد بها، كما في الخاطرة رقم (٣٦٤) وهي قوله:

لنا الجفنات الغُرُّ يلمعن بالضحى... وأسيافنا يقطرنَ من نجدةٍ دمًا

وقوله: همُّها العطر والفراش... ويعلوها لجين ولؤلؤ منظوم.

ولم يصرّح ابن الجوزي بنسبتها إليه مع شهرتها لحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

١٣- علي بن عقيل بن محمَّد البغدادي (ت:٥١٣ هـ):

واعظ، فقيه، متكلم، من كبار علماء الحنابلة. غزير التصنيف. يعدُّ من شيوخ ابن الجوزي، من أهل بغداد، له ميل إلى المعتزلة، وفي عقيدته في الأسماء والصفات اضطراب.

لم يُدرك ابن الجوزي شيخه ابن عقيل، فقد توفي شيخه وعمر ابن الجوزي ثلاث سنوات. لكن ابن الجوزي تأثر بآرائه وتقريراته، وفي بعض المواضع نقده وغلّطه كما في الخاطرة رقم (٣١). وذكر في مواضع أنه وجد أوراقًا بخطه استفاد منها كما في الخاطرة (٩٨) و(٦٠) و(٣٥٥).

وقد شاع أن ابن الجوزي اقتبس فوائد من كتاب «الفنون» لابن عقيل ولم ينسبها إلى شيخه، إما اختصارًا أو وهماً ، ولم يثبت هذا بدليل قاطع من خلال دراستي لكتاب صيد الخاطر.

١٤- أحمد بن مُحَمَّد بن الحجاج المروذي (ت: ٢٧٥هـ):

أبوبكر: عالم، فقيه، من كبار العلماء. من أقرب تلاميذ الإمام أحمد، نسبته إلى «مرو الروذ» من خراسان، ووفاته ببغداد. روى عن الإمام أحمد مسائل فقهية وحديثية كثيرة.

اقتبس ابن الجوزي منه مسائل وأقوال، ولم ينسبها إليه كما في الخاطرة رقم (٣٤٠).

١٥- أحمد بن مُحَمَّد بن هارون الخلال (ت: ٣١١ هـ):

أبوبكر: عالم، فقيه، مفسر، مُحِدث، من كبار الحنابلة. من أهل بغداد. جمع علم الإمام أحمد ورتَّبه وهَذَّبه. من أشهر مصنفاته: «السُّنة» و«العلل» و«الجامع لعلوم الإمام أحمد».

اقتبس ابن الجوزي منه بعض أقوال الإمام أحمد وأخباره، ولم ينسبها إليه كما في الخاطرة رقم (٣٤٣).

١٦- عبد الملك بن قريب علي الأصمعي (ت: ٢١٦هـ):

أبو سعيد: إمام في اللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده «أصمع» مولده ووفاته في البصرة. له أخبار كثيرة مع الخلفاء والأمراء. له تصانيف كثيرة من أشهرها «الأضداد» و«الخيل».

اقتبس ابن الجوزي منه حكاية رواها الأصمعي بإسناده في بيان حال (الحجاج بن يوسف الثقفي) «المتوفي سنة ٩٥هـ»، وقد نقل ابن كثير رواية الأصمعي بإسناده في كتابه (البداية والنهاية (٥/ ١٤٤) .ورواية الأصمعي ذكرها ابن الجوزي في الخاطرة رقم (٣٥٢) ولم ينسبها إليه اختصارًا.

١٧- أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ):

أبو بكر إمام في الفقه والحديث. ولد بنيسابور، ونشأ في «بيهق»، ورحل إلى بغداد، ثم إلى الكوفة ومكة، وتوفي بنيسابور. له مصنفات كثيرة من أشهرها: «السنن الكبرى» و«الجامع في شعب الإيمان» و«معرفة السنن والآثار» و«الأسماء والصفات» و«مناقب الإمام الشافعي» و«القراءة خلف الإمام».

اقتبس ابن الجوزي منه مقالة رواها البيهقي بإسناده إلى الإمام الشافعي. كما في الخاطرة رقم (٣٦٦). ولم ينسبها إليه اختصارًا.

وفيما يلي بعض الملاحظات والاستداراكات المهمة على موارد ابن الجوزي:

١- ابن الجوزي لا يكتفي بالنقل المباشر من الكتب التي يفيد منها، بل ينقد ويناقش، ولا يقبل بكل رأي أو حكم يقف عليه.

٢- ابن الجوزي يستخرج الدروس والعبر والفوائد الشرعية من كل المصادر التي يفيد منها، حتى ولو كانوا من المخالفين لمنهجه ومذهبه.

٣- لم يقتصر ابن الجوزي على مصادر المكتبات، بل سجَّل بعض مشاهداته وملاحظاته مع العوام والعلماء والخلفاء والأمراء، كما في الخواطر التالية: (٢٩) وفيها قوله «حكى بعض المشايخ» و(١٦٨) وفيها قوله: «إن أبي مات وأنا لا أعقل» و(١٦٦) وفيها قوله: «حضر عندي رجل شيخ ابن ثمانين سنة، فاشتريت منه دكانًا»، و(١٦٢) وفيها قوله: «لقد حدثني بعض الصالحين المجاورين بجامع المنصور». و(٦٠)، وفيها قوله: «وقع بيني وبين أرباب الولايات نوع معاداة لأجل المذهب». و(١٢٤)، وفيها قوله: «قدم إلى بغداد جماعة من أهل البدع الأعاجم» و(٩٥) وفيها قوله: «لقيتُ مشايخ أحوالهم مختلفة»، و(٨٣) وفيها وصف لجامع الرصافة. و(٢٣٥) وفيها وصف لوعظ علي بن الحسين الواعظ. و(٢٠٠) وفيها وصف لجنازة شاب، و(١٨٣) وفيها نقله خبراً عن الوزير ابن هبيرة، وهو من المعاصرين له. و(٣٥٣) وفيها ذكر حادثة وقعت لأحد معاصريه وهو الوزير (علي بن مُحَمَّد بن جهير) المتوفى سنة (٥٤٩هـ) وهو من معاصريه ، و(٣٤٩هـ) وفيها ذكر عاقبة (المسترشد) الخليفة العباسي المقتول سنة (٥٢٩هـ) وهو من معاصريه.

٤- ابن الجوزي اعتمد في بعض موارده على خطوط العلماء وأوراقهم كما في الخاطرتين (٩٨) و(٢١٩).

٥- ابن الجوزي يعتمد على ذاكرته وذهنه في نقل بعض فوائد المصادر، ولهذا وقع في بعض الأوهام والأخطاء. وسيأتي بيان ذلك في محله في آخر الكتاب، إن شاء الله تعالى.

٦- مصادر ابن الجوزي عديدة وغزيرة، فقد اقتبس من القرآن وعلومه والسنة وعلومها، والتاريخ والتراجم والفقه وأصوله. والفلك والطب وعلوم الأرض واللغة وعلومها[(١)].

٧- هل اقتبس ابن الجوزي من ابن حزم الأندلسي؟

---

(١) من فوائد موارد ابن الجوزي أنه ينقل عن بعض مصنفاته كما في الخاطرة رقم (١٨٣) فقد أورد قصة الوزير ابن هبيرة مع المستنجد بالله العباسي، وقد أوردها كاملة في كتاب «المنتظم»: (١٠/ ٢١٤). وفي الخاطرة رقم (١٩٧) أورد قصة الشريف أبي جعفر في زمن المقتدي لما خالف الأشاعرة وحبس حتى مات، وقد أوردها كاملة في «المنتظم»: (٨/ ٣١٥). وفي الخاطرة رقم (٣٣٣) أورد قصة وعظ «ميمونة بنت شاقولة» في وعظ الناس، وقد أوردها كاملة في «المنتظم»: (٩/ ٦٠).ومن الفوائد أيضًا أن ابن الجوزي يعتمد على بعض روايات الناس، وهذه تعد موارد شفهية، فقد نقل عن مصدر شفهي في الخاطرة رقم (٣٣٥) فقال: «وقد حكى بعض المعتبرين» ، ونقل عن مصدر شفهي في الخاطرة رقم (٣٤٩) فقال: «وقد روينا أن رجلًا ....»، ونقل أيضاً عن مصدر شفهي كما في الخاطرة رقم (٣٥٣) فقال: «ومن أعجب ما سمعت فيه عن الوزير ابن حصير ...»، ونقل أيضًا عن مصدر شفهي كما في الخاطرة رقم (٣٥٧) فقال: «ما يُحكى عن ابن الراوندي ...».

عرف ابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ) بنقد النفس الإنسانية والحديث عن أخلاقها وخواطرها وعيوبها وفضائلها، وله في ذلك رسائل كتبَ بعضًا منها في بادية «لبلة» بالأندلس لما لجأ إليها منفيًا طريدًا. من أهم تلك الرسائل (مداواة النفوس).

ولا يمكن الجزم باطلاع ابن الجوزي على نفائس هذه الرسالة ومدى إفادته منها في تصنيف كتابه «صيد الخاطر»؛ إذ لا يوجد دليل، وهي أصل في معرفة ذلك. وكذلك لا يمكن الجزم بعدم وقوف ابن الجوزي على نفائس ابن حزم بواسطة أو بالنقل مباشرة ،إذ المدة الزمنية بين وفاة ابن الجوزي وابن حزم هي إحدى وأربعون ومائة سنة.

فابن حزم توفي قبل ولادة ابن الجوزي، والأول مغربي والثاني مشرقي، فالمدة الزمنية ليست بعيدة، وبغداد في عهد ابن الجوزي كانت تصلها مئات الكتب والدواوين سنويًا، من شتى بقاع الدنيا، وتجار العلم نشيطون في النسخ والنقل والبيع والشراء من مشارق الأرض ومغاربها.

والذي جعلني أميل إلى هذا الراي أن ابن الجوزي ذكر في الخاطرة رقم (٣٣٨) أنه اطلع على ثبت مؤلفات الحميدي الأندلسي (ت: ٤٨٨هـ) ،أحد تلاميذ ابن حزم، وقد كان بين وفاته ووفاة ابن حزم اثنتان وثلاثون سنة فقط.

وقد تبيَّن لي بالاستقراء أن ابن الجوزي لم يكن راضيًا عن الظاهرية وأعلامها وعلمائها، ولهذا لم يصرح بذكرهم إلا على سبيل النقد والقدح. فقد لمز داوود الظاهري بسوء الفهم كما في الخاطرة رقم (٣٦٥).

ويعد داود بن علي الظاهري (ت: ٢٧٠هـ) مؤسس المذهب الظاهري والداعي إليه. وإذا عرف أن ابن الجوزي كان من المتعصبين لأقواله أحيانًا ،تبيَّن له سبب هذا التنافر بينه وبين المخالفين له من العلماء والفقهاء.

لكن من المؤكد-كما أشرتُ سابقًا- أن ابن الجوزي اقتبس من شيخه المشهور "علي بن عقيل بن مُحَمَّد البغدادي" (ت:٥١٣هـ)، كما في الخواطر رقم (٦٠) و(٩٨) و(٣٥٥) وقد تأثر ابن الجوزي بشيخه ابن عقيل لأسباب اجتماعية ونفسية وعلمية، ولهذا السبب أفاد أبو الفرج كثيراً من معاني كتاب «الفنون» لابن عقيل وأودعها كتابه «صيد الخاطر» منسوبة إليه.

ومن المعلوم أن كتاب الفنون يقع في «مئتي مجلد» قيَّد فيه ابن عقيل دقائق الفوائد والغوامض والحوادث. وللأسف فإن كتاب «الفنون» من المصنفات المفقودة، ولم يطبع منه سوى مجلدين[١].

***

(١) لقد اجتهدتُ في استخراج الموارد من خلال قراءاتي المتكررِّة والمتأنية للكتاب خلال السنوات الماضية التي عكفتُ فيها على دراسته. فقد فهمتُ أسلوب ابن الجوزي وطريقته في تقرير الفوائد والنُّكت العلمية. والقاعدة هنا: كلما كانت طبعة الكتاب مخدومة وجيدة، سهل على القارئ التقاط الفوائد والدُّرر منها. فليحرص الباحثُ دائمًا على اقتناء أفضل طبعة للكتاب من ناحية التحقيق والعناية بالنصوص.

المبحث الخامس

المنهج الوعظي في كتاب «صيد الخاطر»

إذا كان ابن الجوزي -رحمه الله تعالى- قد مارس علم الوعظ، قرابة ستين عامًا، مصنفًا وواعظًا ومحققًا وناصحًا في أرض الرافدين، فلا شك أنه كان يستند إلى قواعد راسخة ومتينة وينطلق منها في دعوته وتعليمه وتأليفه. ولا أستطيع -في هذه العجالة- أن أرسم جميع الأسس والقواعد التي كان ابن الجوزي يتكئ عليها في منهجيته بكل أجزائها. ولكن من الضروري أن أشير إلى المنهج الوعظي الذي سلكه في كتابه الماتع النافع «صيد الخاطر».

وكنت قد أشرتُ في الصفحات السابقة إلى أن كتاب «صيد الخاطر» من آخر مؤلفات الشيخ أبي الفرج، فقد عصر في هذا الكتاب خلاصة تجاربه وفوائده ونصائحه، فلا غرو أن يأتي ناضجًا مستويًا يسر الناظرين.

وقد رتبتُ منهج ابن الجوزي الوعظي على مطلبين:

المطلب الأول: المنهج العام للكتاب.

المطلب الثاني: المنهج الوعظي في كتاب «صيد الخاطر»[(١)].

---

(١) المنهج الوعظي في صيد الخاطر من الناحية الحديثية ظاهر وجلي، وفي الغالب يقوم على التعليل والتدليل، والأمثلة كثيرة جدًا، فقد وصف الخوارج وبين شؤم أفعالهم ثم استدل بقصة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معهم. وأورد حال الحجاج بن يوسف الثقفي وأسند رواية عن حال أهل المظاليم =

المطلب الاول

المنهج العام لكتاب «صيد الخاطر»

عقد ابن الجوزي في كتابه ثلاثة وسبعين وثلاثمائة فصلٍ، دوَّن فيها مادة كتابه «صيد الخاطر».

وقد دون تلك الفصول في الثلث الأخير من عمره. ويبدو أنه كان يكتبها في أوقات متباعدة.

ودليل ذلك أنه كان يكرِّر كثيرًا من المعاني، وربما عقد فصلين متشابهين لفظًا ومعنى، وأحيانًا يعقد فصلًا في أول الكتاب، ثم ينقض بعضه في آخر كتابه، ومن الواضح أن ابن الجوزي اعتنى بتصنيف كتابه، فقد استشهد بتسعة وثمانين آية كريمة، وبعشرين ومئتي حديث. وبمائة أثر وقول وحكاية.

فهذه الذخيرة العلمية التي أعدها المصنف تدل على أهمية الكتاب وتنوع معارفه وفوائده، وأن المصنف اعتنى بتعزيز كلامه وآرائه بالنصوص والأدلة والحكايات والأبيات الشعرية الرائقة، وقد مرَّ معنا الحديث عن الموارد التي نهل منها أبو الفرج في كتابه، فقد ثبت أنه نقل عن نحو ستين كتابًا نشر فوائدها في كتابه النفيس «صيد الخاطر»، يُضاف إلى تلك الذخيرة العلمية القيّمة، =

في سجنه. انظر الخاطرة رقم (٣٥٤). لكنه لم يدقق في حال الأسانيد للتسامح في هذا عند بعض العلماء، وسيأتي مزيد إيضاح لحال الأسانيد الوعظية في آخر الكتاب، إن شاء الله تعالى.

للجمال اللفظي الذي كساه أبو الفرج كتابه، والأسلوب الوعظي البلاغي المؤثر الذي زيَّن به معاني تلك الألفاظ، وحسن العرض والبسط، بلا إملال ولا إخلال. ولقد اعتمد ابن الجوزي في كتابه كثيرًا على ثروة تجاربه ومعرفته للنفس وتقلبات المزاج، فوضع الدواء الناجع لانحراف السلوك وأمراض القلوب، وعرَّف الناس بكثير من مصالح نفوسهم التي يغفلون عنها أو يتناسونها. وكان دائمًا يحث على الاتصال بالله تعالى وتدبر القرآن العظيم وفهم السنة النبوية، وعدم الاغترار بطول الأمل، ويحذر من الاشتغال بغير النافع.

فهذه المعاني الخمسة اعتمد على توضيحها وتفهيمها في جميع فصول كتابه، ولكنه يستطرد أحيانًا فيكرر بعض الموضوعات لفائدة رأى أهميتها في ثنايا كلامه. ولأبي الفرج اقتباسات مليحة من السيرة النبوية –على صاحبها أزكى الصلاة والتسليم– يوظفها لتقرير كلامه وأحكامه.

وقد ضمَّن فصول كتابه شذرات من حياة السلف الصالح، يتبيَّن منها براعته العلمية في التحليل والتمثيل وحسن الاستشهاد.

ولم يغفل ابن الجوزي عن التذكير ببعض الظواهر الخاطئة في عصره، فقد نقد الخلفاء والوزراء والعلماء والشعراء وعامة الناس وسوقتهم، وهو كثير الإشارة إلى شيوخه وأقرانه، يذكر محاسنهم، يذم معايبهم نثرًا للفضيلة، وتقبيحًا للرذيلة.

ويلاحظ أن ابن الجوزي أسهب في كتابه في ذكر الأعلام، من الأنبياء والرسل والصحابة والتابعين، وطبقات العلماء، وغيرهم من مشاهير الناس في قديم الدهر إلى القرن السادس الهجري، والسبب في هذا يعود إلى أمرين:

أولهما: أن ابن الجوزي اعتنى بمفهوم القدوة الحسنة وأهميتها في التربية والتقويم. والناس ينظرون إلى الأعلام نظرة فخر واعتزاز، لأنهم يرونهم فوقهم علمًا وعملًا وفضلًا.

وثانيهما: أن دواء أمراض كثير من الناس لا يكون إلا بتأثير هؤلاء الأعلام على أقوامهم ومجتمعاتهم، وهذا معروف ومشهور ومجرَّب، لا ينكره إلا جاهل أو مكابر.

ويلاحظ في الكتاب عاطفة ابن الجوزي الفياضة، فهو رقيق المشاعر، يحرص على هداية المدعو واستقامته، لا يكاد يفتر من تحذير الناس من الغفلة والهوى، بأسلوب فذ يأسر الألباب.

وهو حيي في ألفاظه لا ينطق بالفحش ولا يجهر بالسوء، كقوله «ولقد بلغنا في الحديث عن بعض من نُعظِّمه ونزوره أنه..»، لكنه أحيانًا يشتدُّ في جدله فيخطئ القول، فقد أورد كلام ابن عبدالبر –رحمه الله تعالى– في نزول الله تعالى ثم عقَّب عليه بقوله: «هذا كلام جاهل بمعرفة الله..»[1].

(١) «صيد الخاطر»: الخاطرة رقم:(٤٩).

ولأبي الفرج وصف بديع لأحوال العامة ومغالطاتهم وخرافاتهم وطرق إصلاحهم، ووصف لعلماء الدنيا المغترين بزينتها وبهرجتها ،وعلماء الآخرة المخلصين لربهم العاملين بعلمهم. والشيخ خبير بأحوال النساء وطبعهن وحيلهن، عرف ذلك بالفراسة والمعاشرة وسماع شكوى الناس.

وللشيخ خبرة بالطب ومداواة الأمراض، وله علم بأحوال الأبدان وعللها، وقد صنَّف كتابًا مستقلًا في هذا الفن سَّماه بـ «لقط المنافع». وقد نثر في كتابه «صيد الخاطر» قواعد الطب وأسس الصحة العامة، وبيَّن كلام الأطباء في حفظ البدن والجسد، وربما خلط ذلك ببعض القصص والشواهد كعادته رحمه الله تعالى في إقناع المدعوين.



المطلب الثاني

المنهج الوعظي في كتاب «صيد الخاطر»

لقد استنبطتُ -ولله الحمد- منهج ابن الجوزي الوعظي من كتابه «صيد الخاطر» من خلال قرآتي المتعددة للكتاب.

واتضح لي أن الشيخ يعتمد على أربعة أركان:

الركن الأول: العناية بالجانب العقدي.

الركن الثاني: العناية بالجانب التشريعي.

الركن الثالث: العناية بالجانب الأخلاقي.

الركن الرابع: العناية بالجانب العلمي.

وسأقوم بتوضيح كل ركن من هذه الأركان، مع الاستدلال من كلام الشيخ رحمه الله تعال .

لكن قبل هذا أريد أن أؤكد أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وظَّف للعناية بهذه الأركان، أربعة وسائل دعوية أفاد منها في كتابه كله، وهي: اللغة، والأسلوب، والمعاني، والشواهد.

فلغة الكتاب لغة سهلة ، لكنها فخمة متينة، ويلاحظ أنها منتقاة بعناية، وإن كان يخلطها أحيانًا بكلمات قليلة من القاموس العراقي العامي، وابن الجوزي في خواطره يعتني كثيرًا بألفاظه وأدوات عباراته؛ ليقنع القارئ بالمعاني التي

يستدل لها، فعلى سبيل المثال يورد كثيراً أفعل التفضيل في مواطن كثيرة من كتابه فيقول: «أعظم دليل على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته»[١] و«أعجب الأشياء مجاهدة النفس»[٢]، و«أعظم البلايا أن يعطيك همة عالية» ومثل هذا كثير في ثنايا الكتاب. والشيء نفسه يقال عن أدوات النفي والنهي والتوكيد، كقوله «ليس في الوجود شيء أشرف من العلم»[٣] و«ليس كل الأبدان تتساوى في الإطاقة»[٤]، و«لا ينال لذة المعاصي إلا سكران الغفلة»[٥] و«ليس في الدنيا ولا في الآخرة أطيب عيشًا من العارفين بالله»[٦] و«ما أقل من يعمل لله تعالى خالصًا»[٧] و«والله ما ينفع تأديب الوالد إذا لم يسبق اختيار الخالق لذلك الولد»[٨] و«لا ينبغي للمؤمن أن ينزعج من مرض أو نزول موت......»[٩]

---

(١) «صيد الخاطر» (رقم الخاطرة ١١٠).

(٢) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٩١).

(٣) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٦٩).

(٤) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٧٩).

(٥) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٨٨).

(٦) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٧٩).

(٧) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٨٠).

(٨) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٩٩).

(٩) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٦١).

و«أضر الأشياء على العوام كلام المتأولين»[١]، و«أفضل الأشياء التزيد من العلم»[٢] و«ليس في التكليف أصعب من الصبر على القضاء»[٣] ،وليس كل الأبدان تتساوى في الإطاقة[٤].

أما أسلوب الكتاب فيعتمد على تحليل الظواهر الاجتماعية والدينية وأساليب الناس في العبادات والمعاملات مع النقد والوعظ برفق وحكمة ودراية؛ كقوله: «حكى بعض المشايخ أنه اشترى في زمن شبابه جارية، قال: فلما ملكتها تاقت نفسي إليها، فما زلتُ أسأل الفقهاء لعل مخلوقًا يرخِّص لي...»[٥].

ولم يلتزم ابن الجوزي في كتابه ،بتحليل الظواهر الاجتماعية والدينية بأسلوب واحد بعينه. فتارة يبدأ بتفسير آية، فإذا فرغ من التعليق عليها واستلال الدروس منها أورد حكمة على واقعة، كقوله: «وهذه حالة أكثر الناس، فنعوذ بالله من سلب فوائد الآلات، فإنها أقبح الحالات»[٦].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٦٩).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٦٩).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٤٨).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٩).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٤٨).

(٦) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٦٢).

وتارة يورد خبرًا عن عصره أو عن العصر الذي سبقه بقليل ويعلق عليه بحكم الله الذي استفادة من النصوص، كقوله: «روي عن الحجاج الصوفي أنه كان يقعد في الشمس، في الحر الشديد، وعرقه يسيل، فجاز به بعض العقلاء فقال: يا أحمق: هذا تقاوٍ على الله تعالى، وما أحسن ما قال هذا، فإنه ما وضع التكليف إلا على خلاف الأغراض، وقد يخرج صاحبه إلى أن يعجز عن الصبر»[١]، وتارة يورد واقعة عن عصره فيعلق عليها، فقد أورد حادثة اشتداد الغلاء ببغداد في سنة (٥٧٥هـ) فقال: «فقلتُ: يا نفس، خذي من هذه الحال إشارة. ليغبطن من له عمل صالح وقت الحاجة إليه، وليفرحن من له جواب عند إقبال المسألة..)[٢].

ومن الأساليب الأخرى في الكتاب: إقناع المدعو بنصيحة بناها ابن الجوزي على تجربة اقتنع بها، وتظافرت أدلة الشرع على تصديقها وتقويتها، وقد ملأ-رحمه الله تعالى- كتابه بهذا الأسلوب الوعظي التربوي. **وقد هدف من ورائه إلى أمرين:**

أولهما: تشويق القارئ وتسليته بهذا اللون التربوي.

وثانيهما: غرس الفضائل النافعة في ضمير القارئ وتحفيزه لعمل الخير من خلال الوعظ والحكمة والجدل الحسن.

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٦٠).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٧٣).

وفي الكتاب نفثات جرح عانى ابن الجوزي من مرارتها وبؤسها، وهي في مواطن قليلة يلحظ فيها المتأمل ما كان يعانيه ابن الجوزي من قسوة أهل زمانه- في بعض فترات حياته-، وقد جعلها بابًا للترغيب إلى فضيلة أو الترهيب من رذيلة-، وتُعد أسلوبًا يتميز به كتابه «صيد الخاطر» دون كتبه الأخرى. وقد اهتم الشيخ بمعاني كتابه، فتناول كثيرًا مما كان سائدًا في عصره.

ويلاحظ أن ابن الجوزي تحدَّث عن جميع طبقات الناس: الخلفاء والملوك، والعلماء وطلبة العلم، والفرق والديانات، وقد تحدَّث عن العمال والفلاحين، والمماليك والجواري والنساء.

وقد قصد ابن الجوزي من هذا التنويع إلى غاية شريفة وهي أن الناس كلهم عبيد لله، أكرمهم عند الله أتقاهم. وقد كرَّر هذا المعنى كثيرًا في مواطن متفرقة من كتابه. وقد تحدث عن مقاصد العلم، ومقاصد النكاح، ومقاصد الطاعة والعبادة، وبين أغلاط الناس في العلم والشهوة والمعاصي.

واكاد أجزم أن نصف كتاب «صيد الخاطر» وظَّفه ابن الجوزي في الحديث عن هذه المقاصد، لأهميتها وشيوع الغلط فيها، وأسوق مثالًا فيه معنيان جليان على ما تقرَّر:

قوله-رحمة الله عليه-: «قرأتُ سورة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فتعجبتُ من مدحه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على صبره وشرح قصته للناس، ورفع قدره بترك ما ترك، فتأملتُ خبيئة الأمر، فإذا هي مخالفة للهوى المكروه. فقلت: وا عجبًا لو وافق

هواه من كان يكون؟ ،ولما قد خالفه، لقد صارَ أمرًا عظيمًا يضرب الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده، وكل ذلك قد كان بصبر ساعة، فيا له عزًا وفخرًا يقاوم كل لحظة من ذكره أمثال ساعة الصبر عن المحبوب.

وبالعكس منه حالة آدم في موافقته هواه، لقد عادت نقيصة في حقه أبداً لولا التدارك ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[1] فتلمَّحوا-رحمكم الله- عاقبة الصبر، ونهاية الهوى.

فالعاقل من ميَّز بين الأمرين: الحلوين والمرين، فإن من عدل ميزانه ولم تمل به كفة الهوى، رأى كل الأرباح في الصبر، وكل الخسران في موافقة النفس وكفى بهذا موعظة في مخالفة الهوى لأهل النهى، والله الموفق»[2].

وانظر إلى قوله: «رأيتُ كل من يعثر بشيء أو يزلق في مطر يلتفت إلى ما عثر به، فينظر إليه، طبعًا موضوعًا في الخلق؟ ،إما ليحذر منه إن جاز عليه مرة أخرى، أو لينظر مع احترازه وفهمه كيف فاته التحرز من مثل هذا، فأخذتُ من ذلك إشارة، وقلتُ: يامن عثر مرارًا هلا أبصرتَ ما الذى عثرك، فأحترزتَ من مثله، أو قبَّحت لنفسك مع حزمها تلك الواقعة؟! فإن الغالب ممن يلتفت: أن معنى التفاته كيف عثر مثلي مع احترازه بمثل ما أرى؟!.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٣٧).

(٢) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة:١٥٤).

فالعجب لك: كيف عثرت بمثل الذنب الفلاني والذنب الفلاني؟! ،كيف غرك زخرف تعلم بعقلك باطنه، وترى بعين فكرك مآله؟ ،كيف آثرت فانيًا على باقٍ؟ كيف بعت بوكسٍ؟! ،كيف اخترت لذة رقدة على انتباه معاملة؟! ،آهٍ لك لقد اشتريت بما بعت أحمال ندم لا يُقِلُّها ظَهْرٌ، وتنكيس رأس أمسى بعيد الرفع، ودموع حزن على قبح فعل ما لمددها انقطاع، وأقبح الكل أن يقال لك: بماذا؟ ومن أجل ماذا؟ يا من قلب الغرور عليه الصنجة ووزن له الميزان راكب!»[1].

فهذا المثال الذي صوَّره ابن الجوزي، قصد من ورائه إلى التنبيه على أهمية الاستعداد للآخرة والحذر من الغفلة والركون إلى الحياة الدنيا الفانية. وهو معنى بديع صوَّره ابن الجوزي في قالب بلاغي صحيح. والكتاب مليّء من هذه الأمثلة التي تعتني بالمعاني والمقاصد.

أما شواهد الكتاب، فإنها بمثابة الروافد التي تغذي مضامين الكتاب ومعانيه وتكسبها قوة وجزالة. وشواهد كتاب «صيد الخاطر» إما آية قرآنية يفسِّرها أو يستدل بها أو يقتبس من فوائدها ومعانيها، وإما حديثًا نبويًا، أو قولًا ماثورًا أو قصة مليحة، أو حكاية مستحسنة، أو بيتًا شعريًا لطيفًا. ولا يراعي ابن الجوزي ترتيبًا معينًا في إيراد شواهده، وإنما يسوق ذلك على حسب توارد خواطره ومعانيه.

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة:٧٩).

وخواطر ابن الجوزي التي لم يستشهد لها قليلة تُعد على الأصابع، ولعل السبب الذي جعل ابن الجوزي لا يستدل لها أنها وردت في سياق آخر في أول الكتاب مع أدلتها وشواهدها، ثم كرَّرها لمعنى آخر مع حذف الآثار الدالة عليها.

هذه الوسائل الأربعة «اللغة، والأسلوب، والمعاني، والشواهد»، أفاد ابن الجوزي منها في الاحتجاج لمنهجه الوعظي، وأبدع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك، لكنه أحيانًا يقع في زلات وأغلاط بسبب تقليده لبعض شيوخه، كما سيأتي بيانه في حينه إن شاء الله تعالى.

-المنهج الوعظي في «صيد الخاطر».

قسَّم ابن الجوزي-رحمه الله تعالى- منهجه الوعظي في كتابه «صيد الخاطر» إلى أربعة أقسام:

الأول: المنهج العقدي.

الثاني: المنهج التشريعي.

الثالث: المنهج الأخلاقي.

الرابع: المنهج العلمي.

وهذه الأقسام الأربعة لم ينص ابن الجوزي عليها في مقدمته. ولم يشر إلى خطته فيها ضمن فاتحة كتابه، ولكن بالتأمل في موضوعات الكتاب ومعانيه،

يكمن استنباط ذلك المنهج، وهي غالبًا مدرجة في خواطر الكتاب كله، وقد تجتمع أحيانًا في خاطرة واحدة.

المنهج العقدي:

حرص ابن الجوزي على إفهام الناس للعقيدة الصحيحة، وعلى تعليم توحيد الله تعالى، والقيام بأركان الإيمان الثابتة من القرآن والسنة، وها هنا تقييد للقواعد التي رسمها في كتابه «صيد الخاطر» المتعلقة بباب التوحيد والعقائد:

١- «يجب على الناس تصفح أدلة الوحدانية، والنظر في أوامر الله ونواهيه»[(١)].

٢- «تأملتُ حالًا عجيبة ،وهي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد بنى هذه الأجسام متقنة على قانون الحكمة، فدل بذلك المصنوع على كمال قدرته، ولطيف حكمته، ثم عاد فنقضها، فتحيرت العقول بعد إذعانها له بالحكمة في سر ذلك؛ فأعلمت: أنها ستعاد للمعاد، وأن هذه البنية لم تخلق إلا لتجوز في مجاز المعرفة»[(٢)].

٣- «نظرتُ في الأدلة على الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فوجدتها أكثر من الرمل»[(٣)].

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٠) وقد أشار إليها بالمعنى المذكور أعلاه.

(٢) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة:٢٧).

(٣) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة:٣٠).

٤- «العقل موجود بلا شك، والروح موجودة بلا شك، كلاهما يعرف بآثاره لا بتحقيق ذاته، فإذا أثبت هذا في المخلوقات، فالخالق أجل وأعلى، فينبغي أن يوقف في إثباته على دليل وجوده، ثم يستدل على جواز بعثه رسله، ثم تتلقى أوصافه من كتبه ورسله، ولا يزاد على ذلك. ولقد بحث خلق كثير عن صفاته بآرائهم، فعاد وبال ذلك عليهم. ولا نخوض في شيء آخر، وكذلك نقول متكلم، والقرآن كلامه، ولا تتكلف ما فوق ذلك، ولم يقل السلف، تلاوة ومتلو، وقراءة ومقروء ولا قالوا: استوى على العرش بذاته، ولا قالوا: ينزل بذاته، بل أطلقوا ما ورد من غير زيادة، ولا نقول لما ثبت بالدليل ما لا يجوز عليه، وهذه كلمات كالمثال، فقس عليها جميع الصفات، تفز سليمًا من تعطيل، متخلصًا من تشبيه»(١).

٥- «عرضت لي حالة لجأتُ فيها بقلبي إلى الله تعالى وحده، عالما بأنه لا يقدر على جلب نفعي، ودفع ضري سواه، ثم قمتُ أتعرض بالأسباب، فإذا جعل الشرع الأمور منوطة بالأسباب ،كان إعراضي عن الأسباب دفعًا للحكمة، ولهذا أرى أن التداوي مندوب إليه»(٢).

٦- «ليس في التكليف أصعب من الصبر على القضاء، ولا فيه أفضل من الرضا به، فأما الصبر فهو فرض، وأما الرضا: فهو فضل، وإنما صعب

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة: ٤٣).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٥١).

الصبر ؛لأن القدر يجري في الأغلب بمكروه النفس- ومما يقوي الصبر على الحالتين: النقل والعقل. أما النقل: فالقرآن والسنة..»[١].

«من أضرِّ الأشياء على العوام كلام المتأولين والنفاة للصفات والإضافات.. وبيان هذا أن الله تعالى أخبر باستوائه على العرش، فأنست النفوس إلى إثبات الإله ووجوده قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾»[٢].

٧ - «وقال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٣]، وقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[٤]، وقال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾[٥].

ولا يجوز لعالم أن يأتي إلى عقيدة عامي قد أنس بالإثبات فيهوشها، فإنه يفسده، ويصعب صلاحه، فأما العالم فإنا قد أمناه؛ لأنه لا يخفى عليه استحالة تجدد صفة الله تعالى، وأنه لا يجوز أن يكون استوى كما يعلم، ولا يجوز أن يكون محمولًا، ولا يوصف بملاصقة ومس، ولا أن ينتقل، ولا يخفى عليه أن المراد بتقليب القلوب بين إصبعين: الإعلام بالتحكم في القلوب فإن ما يدبره الإنسان بين إصبعين هو متحكم فيه إلى الغاية، ولا يحتاج إلى تأويل من قال

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٥٤).

(٢) سورة الرحمن: الآية:(٢٧).

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٤).

(٤) سورة الفتح: (الآية ٦).

(٥) سورة البينة: (الآية:٨).

الأصبع: الأثر الحسن، فالقلوب بين أثرين من آثار الربوبية، وهما الإقامة والإزاغة، ولا إلى تأويل من قال: يداه نعمتاه، لأنه إذا فهم أن المقصود الإثبات.

وقد حدثنا بما نعقل وضربت لنا الأمثال بما نعلم، وقد ثبت عندنا بالأصل المقطوع به: أنه لا يجوز عليه ما يعرفه الحس: علمنا المقصود بذكر ذلك، وأصلح ما نقول للعوام: أمروا هذه الأشياء كما جاءت ولا تتعرضوا لتأويلها، وكل ذلك يقصد به حفظ الإثبات، وهذا الذي قصده السلف، وكان أحمد يمنع من أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، كل ذلك ليحمل على الاتباع، وتبقى ألفاظ الإثبات على حالها. وأجهل الناس من جاء إلى ما قصد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأضعف في النفوس قوى التعظيم..»[(١)].

٨- «اعلم أن الله عَزَّوَجَلَّ وضع في النفوس أشياء لا تحتاج إلى دليل، فالنفوس تعلمها ضرورة، وأكثر الخلق لا يحسنون التعبير عنها، فإنه وضع في النفوس أن المصنوع لابد له من صانع، وأن المبني لابد له من بان، وأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الجسم الواحد لا يكون في مكانين في حالة واحدة، ومثل هذه الأشياء لا تحتاج إلى دليل»[(٢)].

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٦١).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٧٦).

٩- «التفتوا-إخواني- إلى إصلاح النيات، وترك التزين للخلق، ولتكن عمدتكم الاستقامة مع المالك، فبذلك صعد السلف وسعدوا، وإياكم وما الناس عليه اليوم، فإنه بالإضافة إلى يقظة السلف نوم»[(١)].

١٠- «العاقل من يحفظ جانب الله عَزَّوَجَلَّ وإن غضب الخلق، وكل من يحفظ جانب المخلوقين، ويضيع حق الخالق، يقلب الله قلب الذي قصد أن يرضيه، فيسخطه عليه»[(٢)].

١١- «ما أبله من لا يعلم متى يأتيه الموت، وهو لا يستعد للقائه، وأشد الناس بلهًا وتغفيلًا من قد عبر الستين، وقارب السبعين، فإن ما بينها هو معترك المنايا»[(٣)].

١٢ - «ما نهى السلف عن الخوض في الكلام إلا لأمر عظيم، وهو أن الإنسان يريد أن ينظر ما لا يقوى عليه بصره، فربما تحيَّر فخرج إلى الحُجب؛ لأننا إذا نظرنا في ذات الخالق حار العقل عليه بصره، فربما تحير فخرج إلى الحجب؛ لأننا إذا نظرنا في ذات الخالق حار العقل وبهت الحس، لأنه لا يعرف شيئًا لا بداية له، لا يعلم إلا أفعاله. رأيناه يحكم البناء ثم ينقضه، ولا نطلع على تلك الحكمة، فالأولى للعاقل أن يكف

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٧٩).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٨٣).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٩٠).

كف التطلع إلى مالا يطيق النظر إليه، ومتى قام العقل، فنظر في دليل وجود الخالق بمصنوعاته، وأجاز بعثة نبي، واستدل بمعجزاته، كفاه ذلك أن يتعرض لما قد أُغني عنه، وإذا قال: القرآن كلام الله تعالى، بدليل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾[(١)] كفاه»[(٢)].

١٣ – «أصل كل محنة في العقائد قياس أمر الخالق على أحوال الخلق، فإن الفلاسفة لما رأوا إيجاد شيء لا من شيء كالمستحيل في العادات، قالوا بقدم العالم، ولما عظم عندهم في العادة الإحاطة بكل شيء قالوا: إنه يعلم الجُمل لا التفاصيل، ولما رأوا تلف الأبدان بالبلاء أنكروا إعادتها، وقالوا: الإعادة رجوع الأرواح إلى معادنها. وكل من قاس صفة الخالق على صفات المخلوقين، خرج إلى الكفر، فإن المجسمة دخلوا في ذلك لأنهم حملوا أوصافه على ما يعقلون، وكذلك تدبيره عَزَّوَجَلَّ، فإن من حمله على ما يعقل في العادات رأى أن ذبح الحيوان لا يستحسن والأمراض تستقبح، وقسمة الغنى للأبله، والفقر للجلد العاقل، أمرًا ينافي الحكمة وهذا في الأوضاع بين الخلق.

فأما الخالق سبحانه: فإن العقل لا ينتهي إلى حكمته، بل قد ثبت عنده وجوده وملكه وحكمته، فتعرضه بالتفاصيل على ما تجري به عادات الخلق

---

(١) سورة التوبة:(الآية ٦).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٨).

جهل، ألا ترى أول المعترضين، وهو إبليس كيف ناظر، فقال: أنا خير منه، وقول خليفته وهو أبو العلاء المعري: «رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا»، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ توفيقًا للتسليم وتسليمًا للحُكم، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾(١)، أترى أننا نقدر على تعليل أفعاله فضلًا عن مطالعة ذاته، وكيف نقيس أمره على أحوالنا؟!، فإذا رأينا نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل في أمه وعمه فلا يقبل منه ويتقلب جائعًا والدنيا ملك يده، ويُقتل أصحابه والنصر بيد خالقه، أو ليس هذا مما يحير، فما لنا والاعتراض على مالك قد ثبتت حكمته واستقر ملكه»(٢).

١٤- «ليس المؤمن بالذي يؤدي فرائض العبادات صورة، ويتجنب المحظورات فحسب، إنما المؤمن الكامل الإيمان، لا يختلج في قلبه اعتراض، ولا يساكن فيما يجري وسوسة»(٣).

١٥- «اعلم أن الآدمي قد خُلق لأمر عظيم، وهو مطالب بمعرفة خالقه بالدليل، ولا يكفيه التقليد»(٤).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ٨).

(٢) «صيد الخاطر» (رقم الخاطرة ١٩٢).

(٣) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٩٤).

(٤) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٢٢٢).

١٦- «تأملتُ سبب تخليط العقائد ،فإذا به الميل إلى الحس وقياس الغائبات على الحاضر»[١].

١٧- «من قدح في البعث فقد بالغ في القدح في الحكمة، ومن قال: الروح غرض، فقد جحد البعث؛ لأن العرض لا يبقى، والأجساد تصير ترابًا»[٢].

١٨- «وما رأت عيني مصيبة نزلت بالخلق أعظم من سبهم للزمان وعيبهم الدهر، وقد كان هذا في الجاهلية. ونهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك فقال: «لا تسبوا الدهر»[٣]».

١٩- «ينبغي أن يكون العمل كله لله، ومعه، ومن أجله، وقد كفاك كل مخلوق وجلب كل خير، وإياك أن تميل عنه بموافقة هوى، وإرضاء مخلوق، فإنه يعكس عليك الحال ويفوتك المقصود»[٤].

---

(١) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٢٣٨).

(٢) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٢٧٤).

(٣) المرجع نفسه (رقم الخاطرة:٢١٩). والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الأدب - باب لا تسبوا الدهر - حديث رقم ٦١٨١) وأخرجه مسلم في صحيحه (كتاب الألفاظ - باب النهي عن سب الدهر - حديث رقم ٢٢٤٦).

(٤) «صيد الخاطر» (رقم الخاطرة ٣٤٧).

٢٠- «ينبغي للمؤمن أن يعلم أن الله-سبحانه- مالك حكيم، لا يعبث، وهذا العلم يوجب نفي الاعتراض على القدر، وقد لهج خلق بالاعتراض قدحًا في الحكمة، وذلك كفر»[1].

هذه أهم معالم المنهج العقدي في كتاب «صيد الخاطر».

ويلاحظ أن ابن الجوزي كرَّر بعض هذه المعالم في مواضع متعددة من كتابه، وقد يذكر ذلك صراحة، وقد يكرر بعض المعالم إما نسيانًا منه ،أو لزيادة في معنى من معانيها.

ويلاحظ أن ابن الجوزي له نفَس طويل في كتابه في الرد على الصوفية وبدعهم وأقوالهم وشعائرهم. وله تعقبات على الطوائف الضالة وأعلام الكفر والزندقة والدجل، وله ردود على المخالفين لسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فهم أحاديث الأسماء والصفات.

---

(١) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٣٧١).

قلت: هنا فائدة مهمة وهي أن بعض الباحثين أو من يُسمُّون أنفسهم بالمفكرين قالوا إن ابن الجوزي بثَّ في كتابه صيد الخاطر ما يعْرف بالتكليف العقلي. والمقصود به أن العقل يُوجب فعل الأشياء او يردها، أم لا بُدَّ من خطاب الشرع ؟، وهي نظرية قال بها المعتزلة، ورتبوا عليها فروعًا وأحكاماً مثل ما يسمى بالتحسين والتقبيح، والصلاح والأصلح. ويوجد في صيد الخاطر إشارات لهذه النظرية بسبب تأثر ابن الجوزي بالمعتزلة، لكنه كان حذرًا من قبولها. انظر الخواطر: (٢١و ١٩٢، ١٥٠). وانظر: فتاوى ابن تيمية (١٠/٥) والحكمة والتعليل في أفعال الله/لمحمد ربيع ، فهي رسالة مهمة في هذا الباب.

-المنهج التشريعي:

حرص ابن الجوزي على تفقيه الناس أحكام ربهم وفهم سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتنفيذ شعائر الله كما أوجب الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وهاهنا تقييد لأهم القواعد التي رسمها في كتابه «صيد الخاطر» المتعلقة بباب الفقه والتشريع:

١- «تفَكرتُ يومًا في التكليف فرأيته ينقسم إلى سهل وصعب، فأما السهل فهو أعمال الجوارح، إلا أن منه أصعب من بعض، فالوضوء والصلاة أسهل من الصوم، والصوم ربما كان عند قوم أسهل من الزكاة»(١).

«قال أحمد بن حنبل: أكره التقلل من الطعام فإن أقوامًا فعلوه فعجزوا عن الفرائض. وهذا صحيح، فإن المتقلل لا يزال يتقلل إلى أن يعجز عن النوافل ثم الفرائض، ثم يعجز عن مباشرة أهله وإعفافهم، وعن بذل القوى في الكسب لهم، وعن فعل خير قد كان يفعله»(٢).

٢- «ولقد بلغنا في الحديث عن بعض من نعظمه ونزوره، أنه كان على شاطئ دجلة، فبال ثم تيمم فقيل له: الماء قريب منك، فقال: خفتُ ألا أبلغه، وهذا وإن كان يدل على قصر الأمل إلا أن الفقهاء إذا سمعوا هذا الحديث تلاعبوا به، من جهة أن التيمم إنما يصح عند عدم الماء، فإذا كان

---

(١) «صيد الخاطر» (رقم الخاطرة: ٣١).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٩).

الماء موجودًا كان تحريك اليدين بالتيمم عبثًا، وليس من ضرورة وجود الماء أن يكون إلى جانب المحدث، بل لو كان على أذرع كثيرة».

٣- «إن كان موجودًا فلا فعل للتيمم ولا أثر حينئذ»[١].

٤- «تأملتُ في فوائد النكاح ومعانيه وموضوعه، فرأيتُ أن الأصل الأكبر في وضعه وجود النسل»[٢].

٥- «تفكرتُ في السِّر الذي أوجب حذف آية الرجم من القرآن لفظًا مع ثبوت حكمها إجماعًا، فوجدت لذلك معنيين:

- **أحدهما**: لطف الله تعالى بعباده في أنه لا يواجههم بأعظم المشاق، بل ذكر الجلد وستر الرجم، ومن هذا المعنى قال بعض العلماء: إن الله تعالى قال في المكروهات ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[٣]، على لفظ لم يسم فاعله، وإن كان قد علم أنه هو الكاتب، فلما جاء إلى ما يوجب الراحة قال: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٤].

- **والوجه الثاني**: أنه بين بذلك فضل الأمة في بذلها النفوس، قنوعًا ببعض الأدلة، فإن الاتفاق لما وقع على ذلك الحكم كان دليلًا، إلا أنه ليس

---

(١) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٩).

(٢) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٢٨).

(٣) سورة البقرة: (الآية ١٨٣).

(٤) سورة الأنعام: (الآية ١٥٤).

كالدليل المتفق لأجله، ومن هذا الجنس شروع الخليل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في ذبح ولده بمنام، وإن كان الوحي في اليقظة آكد»[(١)].

٦- «تلمحتُ على خلق كثير من الناس إهمال أبدانهم، فمنهم من لا ينظف فمه بالخلال بعد الأكل، ومنهم من لا ينقي يديه في غسلها من الزهم، ومنهم من لا يكاد يستاك، وفيهم من لا يكتحل، وفيهم من لا يراعي الإبط، إلى غير ذلك فيعود هذا الإهمال بالخلل في الدِّين والدنيا، فأما الدِّين: فإنه قد أمر المؤمن بالتنظف والاغتسال للجمعة؛ لأجل اجتماعه بالناس، ونهى عن دخول المسجد إذا أكل الثوم، وأمر الشرع بتنقية البراجم، وقص الأظافر والسواك، والاستحداد وغير ذلك من الآداب، فإذا أهمل ذلك ترك مسنون الشرع، وربما تعدى بعض ذلك إلى فساد العبادة، مثل أن يهمل أظفاره فيجمع تحته الوسخ المانع للماء في الوضوء أن يصل»[(٢)].

٧- «من أراد الاقتداء فعليه برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه، ففي ذلك الشفاء والمطلوب، ولا ينبغي أن يخلد العاقل إلى تقليد معظم شاع اسمه، قال أبو يزيد، وقال الثوري، فإن المقلد أعمى»[(٣)].

---

(١) «صيد الخاطر» (رقم الخاطرة: ٥٠).

(٢) المرجع نفسه (رقم الخاطرة:٥٢).

(٣) المرجع نفسه (رقم الخاطرة: ١٦٢).

٨- «رأيتُ عادات الناس قد غلبت على عملهم بالشرع، فهم يستوحشون من فعل الشيء لعدم جريان العادة، لا لنهي الشرع، فكم من رجل يوصف بالخير يبيع ويشتري، فإذا حصلت له القراضة باعها بالصحيح من غير تقليد لإمام، أو عمل برخصة عادة من القوم واستثقالًا للاستفتاء، ونرى خلقًا يحافظون على صلاة الرغائب، ويتوانون عن الفرائض»[١].

٩- «فينبغي له عند تمام الأربعين أن يجعل جل همته التزود للآخرة، ويكون كل تلمحه لما بين يديه، ويأخذ في الاستعداد للرحيل. وإن كان الخطاب بهذا لابن العشرين، إلا أنه جاء التدارك في حق الصغير لا في حق الكبير. فإذا بلغ الستين فقد أعذر الله له في الأجل، وجاز من الزمن أخطره، فليقبل بكليته إلى جمع زاده، وتهيئ آلات السفر، وليعتقد أن كل يوم يحيا فيه لغنيمة ما هي في الحساب، خصوصًا إذا قوي عليه الضعف وزاد، فإنه لا محرك له، وكلما علت سنه، فينبغي أن يزيد اجتهاده، فإذا دخل في عشر الثمانين، فليس إلا الوداع، وما بقي من العمر إلا تجارة الأنفس، أسف على تفريط، أو تعبد على ضعف، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ يقظة تامة تصرف عنا رقاد الغفلات، وعملًا صالحًا نأمن معه من الندم يوم الانتقال. والله الموفق»[٢].

---

(١) «صيد الخاطر» (رقم الخاطرة ١٦٦).

(٢) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٨٩).

١٠ – «ومن أقبح الذنوب أن يزني الشيخ، وفي الحديث «إن الله يبغض الشيخ الزاني»[١] ،لأن شهوة الطبع قد ماتت، وليس فيها قوة تغلب، فهو يحركها، ويبالغ فكانت معصيته عنادًا.

ومن المعاصي التي تشبه المعاندة لبس الرجل الحرير والذهب، وخصوصًا خاتم الذهب الذي يتحلى به الشيخ، وأنه من أبرد الأفعال، وأقبح الخطايا.

ومن هذا الفن: الرياء، والتخاشع، وإظهار التزهد للخلق، فإنه كالعبادة لهم مع إهمال جانب الحق عَزَّوَجَلَّ. وكذلك المعاملة بالربا الصريح، خصوصًا من الغني الكثير المال. ومن أقبح الأشياء أن يطول المرض بالشيخ الكبير، ولا يتوب من ذنب، ولا يعتذر من زلة، ولا يقضى دينًا، ولا يوصي بإخراج حق عليه. ومن قبائح الذنوب أن يتوب السارق، والظالم، ولا يرد المظالم، والمفرِّط في الزكاة أو في الصلاة، ولا يقضي. ومن أقبحها أن يحنث في يمين طلاقه، ثم يقيم مع المرأة، وقس على ما ذكرته، فالمعاصي كثيرة، وأقبحها لا يخفى. وهذه المستقبحات فضلًا عن القبائح تشبه العناد للأمر، فيستحق صاحبها اللعن، ودوام العقوبة. وإني لأرى شرب الخمر من ذلك الجنس، لأنها ليست مشتهاة لذاتها، ولا لريحها، ولا لطعمها فيما يذكر، وإنما لذتها فيما يقال بعد تجرع مرارتها، فالإقدام على ما لا يدعو إليه الطمع إلى أن يصل التناول إلى اللذة معاندة.

---

(١) أخرجه العراقي في المغني عن الأسفار في الأسفار، وعزاه إلى الترمذي والنسائي وقال إسناده ضعيف.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ إيمانًا يحجز بيننا وبين مخالفته، وتوفيقًا لما يرضيه؛ فإنما نحن به وله»[١].

هذه أهم معالم المنهج التشريعي التي قيَّدها ابن الجوزي في كتابه «صيد الخاطر»، ويلاحظ أن ابن الجوزي لم يطل النفس في هذا الجانب؛ لأن مادة الكتاب الأساسية قد طغت على ثلثي الكتاب، مما جعل المصنِّف يختصرها في مباحث هذا المنهج. وهناك بعض المسائل الفقهية والأحكام العملية تعرض لها ابن الجوزي في ثنايا المباحث العقدية، وهذه يصعب إفرادها هنا، وبالله التوفيق.

المنهج الأخلاقي:

وضَّح ابن الجوزي في كتابه معالمَ الآداب الشرعية، والشمائل المحمدية، وحذَّر من أسباب فساد النفوس والأخلاق، وهاهنا أهم القواعد التي رسمها في هذا الكتاب:

١- «تأملتُ التحاسد بيَن العلماء، فرأيتُ منشأه من حب الدنيا، فإن علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون»[٢].

٢- «من أحبَّ تصفية الأحوال، فليجتهد في تصفية الأعمال»[٣].

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٢٠٢).

(٢) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١١).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٢).

٣- «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة»[١].

٤- «تأملتُ جهاد النفس، فرأيته أعظم الجهاد، ورأيتُ خلقًا من العلماء والزهاد لا يفهمون معناه»[٢].

٥- «من نزلت به بلية، فأراد تمحيقها، فليتصورها أكثر مما هي تهن، وليتخايل ثوابها، وليتوهم نزول أعظم منها، يرى الربح في الاقتصار عليها، وليتلمَّح سرعة زوالها، فإنه لولا كرب الشدة، ما رُجيت ساعات الراحة»[٣].

٦- «البدن مطية، والمطية إذا لم يُرفق بها لم تصل براكبها إلى المنزل، وليس مرادي بالرفق الإكثار من الشهوات، وإنما أعني البلغة الصالحة للبدن، فحينئذ يصفو الفكر، ويصح العقل ويقوى الذهن»[٤].

٧- «لا أقول لك خالط الفساق احتقارًا لنفسك، بل اغضب عليهم في الباطن، وأعرض عنهم في الظاهر، وتلمَّح جريان الأقدار عليهم في الباطن»[٥].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٤).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٧).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٩).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٤٨).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٧٠).

٨- «المقصود أن تعلم أن الشرع تام كامل، فإن رُزقت فهمًا له فأنت تتبع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتترك بنيات الطريق، ولا تقلد دينك الرجال، فإن فعلت لا تحتاج إلى وصية أخرى. واحذر جمود النقلة. وانبساط المتكلمين، وجمود المتزهدين، وشره أهل الهوى، ووقوف العلماء على صورة العلم من غير عمل، وعمل المتعبدين بغير علم»(١).

٩- «اعلم أن الزمان لا يثبت على كل حال، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾(٢) فتارة فقر، وتارة غنى، وتارة عز، وتارة ذُل، وتارة يُفرح الموالي، وتارة يشمت الأعادي.

فالسيد من لازم أصلًا واحدًا على كل حال، وهو تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنه إن استغنى زانته، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتلي جملته، ولا يضره إن نزل به الزمان أو صعد، أو أعراه، أو أشبعه، أو أجاعه، لأن جميع تلك الأشياء تزول وتتغير، هذا نقدها العاجل، والأجل معلوم»(٣).

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة: ٧١).

(٢) سورة آل عمران:(١٤٠).

(٣) «صيد الخاطر» (رقم الخاطرة ٧٢).

١٠- «الحازم من تعلم من نفسه الجد وحفظ الأصول، فإذا فسح لها في مباح لم تتجاسر أن تتعداه، فيكون معها كالملك إذا مازح بعض جنده»[١].

١١- «اجتهاد العاقل فيما يصلحه لازم له بمقتضى العقل والشرع»[٢].

١٢- «اعلم أن أصلح الأمور الاعتدال في كل شيء»[٣].

١٣- «أعظم دليل على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته»[٤].

١٤- «من أعظم الغلط الثقة بالناس، والاسترسال إلى الأصدقاء»[٥].

١٥- «إن للخلوة تأثيرات تتبين في الجلوة»[٦].

١٦- «اللذات كلها بين حسي وعقلي، فنهاية اللذات الحسية وأعلاها النكاح، وغاية اللذات العقلية العلم، فمن حصلت له الغايتان في الدنيا فقد نال النهاية»[٧].

---

(١) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٩١).

(٢) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٠١).

(٣) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٠٧).

(٤) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١١٠).

(٥) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١١٢).

(٦) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١١٥).

(٧) «صيد الخاطر» (رقم الخاطرة ١٢٠).

١٧- «العاقل يحفظ جانب الله عَزَّوَجَلَّ، وإن غضب الخلق، وكل من يحفظ جانب المخلوقين ويضيع حق الخالق، يقلب الله قلب الذي قصد أن يرضيه، فيسخط عليه»(١).

١٨- «ينبغي للعاقل أن ينظر إلى الأصول فيمن يخالطه ويعاشره ويشاركه ويصادقه ويزوجه أو يتزوج إليه، ثم ينظر بعد ذلك في الصور، فإن صلاحها دليل على صلاح الباطن»(٢).

١٩- «من العجز إفشاء السِّر إلى الولد والزوجة، والمال من جملة السر»(٣).

٢٠- «ستر المصائب من جملة كتمان السر؛ لأن إظهارها يسر الشامت، ويؤلم المحب»(٤).

٢١- «ينبغي أن يكتم مقدار السن، لأنه إن كان كبيرًا استهرموه، وإن كان صغيرًا احتقروه»(٥).

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٨٣).

(٢) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٨٤).

(٣) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٨٦).

(٤) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٨٦).

(٥) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٨٦).

٢٢- «ما أعرف نفعًا كالعزلة عن الخلق، خصوصًا للعالم والزاهد، فإنك لا تكاد ترى إلا شامتًا بنكبة، أو حسودًا على نعمة، ومن يأخذ عليك غلطاتك»[١].

٢٣- «ينبغي للعاقل ألا يتكلم في الخلوة عن أحد بشيء حتى يمثل ذلك الشيء ظاهرًا معلنًا به ثم ينظر فيما يجني»[٢].

٢٤- «السعيد من وُفق لاغتنام العافية، ثم يختار تحصيل الأفضل، فالأفضل في زمن الاغتنام، وليعلم أن زيادة المنازل في الجنة على قدر التزيد من الفضائل هاهنا»[٣].

٢٥- «ما يكاد يحب الاجتماع بالناس إلا فارغ، لأن مشغول القلب بالحق يفر من الخلق، ومتى تمكن فراغ القلب من معرفة الحق امتلأ بالخلق، فصار يعمل لهم ومن أجلهم ويهلك بالرياء ولا يعلم»[٤].

٢٦- «كل المعاصي قبيحة، وبعضها أقبح من بعض، فإن الزنى من أقبح الذنوب، فإنه يفسد الفراش، ويغير الأنساب، وهو بالجارة أقبح»[٥].

---

(١) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٨٨).

(٢) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٩٧).

(٣) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٩٩).

(٤) «صيد الخاطر» (رقم الخاطرة ٢٠١).

(٥) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٢٠٢).

٢٧- «من المعاصي التي تشبه المعاندة، لبس الرجل الحرير والذهب، خصوصًا خاتم الذهب الذي يتحلَّى به الشيخ، وأنه من أبرد الأفعال، وأقبح الخطايا»[١].

٢٨- «ليس في الدنيا أبله ممن يسيء إلى شخص، ويعلم أنه قد بلغ إلى قلبه بالأذى، ثم يصطلحان في الظاهر، فيعلم أن ذلك الأثر مُحي بالصلح»[٢].

٢٩- «كل من لا يتلمَّح العواقب ويستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل العقل، واعتبر هذا في جميع الأحوال»[٣].

٣٠- «ربما أظهر الإنسان كثرة المال، وسبوغ النعم، فأصابه عدوه بالعين، فلا يفي ما تبجح به بما يلاقي من انعكاس النعمة، والعين لا تصيب إلا ما يستحسن للشيء، ولا يكفي الاستحسان في إصابة العين حتى يكون من حاسد، ولا يكفي ذلك حتى يكون من شرير الطبع، فإذا اجتمعت هذه الصفات خيف من إصابة العين، فليكن الإنسان مظهرًا للتجمل مقدار ما يأمن إصابة العين، ويعلم: أنه في خير، وليحذر الإفراط في إظهار النعم، فإن العين هناك محذورة)» [٤].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٠٢).

(٢) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٢٠٥).

(٣) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٢٠٦).

(٤) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٢٢٣).

٣١- «ليس في الدنيا أبله ممن يطلب النهاية في لذات الدنيا، وليس على الحقيقة لذة إنما هي راحة من مؤلم»[١].

٣٢- «من البله أن تبادر عدوًا أو حسودًا بالمخاصمة، وإنما ينبغي إن عرفت أن تظهر له ما يوجب السلامة بينكما، وإن اعتذر قبلت، وإن أخذ في الخصومة صفحت»[٢].

٣٣- «جمهور الناس اليوم معارف، يندر فيهم صديق في الظاهر، فأما الأُخوة والمصافاة، فذلك شيء نُسخ فلا يُطمع فيه»[٣].

٣٤- «ينبغي للعاقل أن يكون على خوف من ذنوبه، وإن تاب منها، وبكى عليها»[٤].

٣٥- «من المخاطرات العظيمة تحديث العوام بما لا تحتمله قلوبهم أو بما قد رسخ في نفوسهم ضده»[٥].

٣٦- «الرجل كل الرجل هو الذي يراعي حدود الله»[٦].

---

(١) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٢٣٦).

(٢) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٢٤٩).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٨٧).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٩٠).

(٥) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٢٠).

(٦) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٢١).

٣٧- «علامة المخلص أن يكون في جلوته كخلوته»(١).

٣٨- «من أعظم الضرر الداخل على الإنسان كثرة النساء»(٢).

٣٩- «إذا رأيتَ قليل العقل في أصل الوضع فلا ترج خيره، فأما إن كان وافر العقل، لكنه يغلب عليه الهوى، فارجه» (٣).

٤٠- «ينبغي الاحتراز من كل ما يجوز أن يكون ولا ينبغي أن يقال: الغالب السلامة»(٤).

٤١- «عموم من رأينا من الكبار غلبت عليهم شهوة الوطء، فانهدمت أعمارهم، ورحلوا سريعًا، وقد رأينا من العقلاء من زجر نفسه عن هذه المحنة، ولم يستعملها إلا وقت الحاجة، فبقي لهم سواد شعورهم وقوتهم حتي تمتعوا بها في الحياة، وحصلوا المناقب، وعرفت منهم النفوس قوة العزيمة، فلم تطالبهم بما يؤذي»(٥).

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٢١).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٢٤).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٢٥).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٣٢٦).

(٥) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ٣٣٠).

٤٢- «الدنيا فخ، والناس كعصافير، والعصفور يريد الحبَّة، وينسى الخنق، وقد نسي أكثر الخلق ما لهم، ميلًا إلى عاجل لذاتهم»[١].

هذه أهم معالم الجانب الأخلاقي التي نبَّه عليها ابن الجوزي في خواطره. ومما يلاحظ في هذا الجانب أن ابن الجوزي شدَّد على أمور ثلاثة ونبه عليها وكرر الحديث فيها مرارًا وهي: ضرورة حفظ المال، وعدم الإسراف أو التبذير فيه، والحذر من الناس ووجوب الاحتراز مهما كانت الظروف والأحوال، وعدم الركون إلى النساء والإفراط في التعلق بهن.

-المنهج العلمي:

حرص ابن الجوزي على توضيح أسس العلم النافع، وتقييد ضوابط العلوم والمعارف، والتحذير من مزالق التعلم والتعليم، وهاهنا سرد للقواعد التي رسمها في كتابه «صيد الخاطر» المتعلقة بباب العلوم والمعارف:

١ - «تأملتُ التحاسد بيَّن العلماء، فرأيت منشأه من حب الدنيا»[٢].

٢- «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، يقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل» [٣].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٢٥١).

(٢) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١١).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٤).

٣- «أفضل الأشياء التزيد من العلم، فإنه من اقتصر على ما يعلمه فظنه كافيًا، استبد برأيه وصار تعظيمه لنفسه مانعًا له من الاستفادة، والمذاكرة تبين له أخطاؤه»[١].

٤- «الفقه عليه مدار العلوم، فإن اتسع الزمان للتزيد من العلم، فليكن من الفقه، فإنه الأنفع»[٢].

٥- «من الغلط الانهماك على الإعادة ليلًا ونهارًا، فإنه لا يلبث صاحب هذه الحال إلا أيامًا ثم يفتر أو يمرض»[٣].

٦- «لا يُحمد الحفظ بحضرة خُضرة وعلى شاطئ نهر، لأن ذلك يلهي، والأماكن العالية للحفظ خير من السوافل، والخلوة أصل، وجمع الهم أصل الأصول، وترك النفس من الإعادة يومًا في الأسبوع ليثبت المحفوظ، وتقليل المحفوظ مع الدوام أصل عظيم، وألا يشرع في فن حتى يُحكم ما قبله»[٤].

٧- «إذا صح قصد العالم استراح من كلف التكليف، فإن كثيرًا من العلماء يأنفون من قول لا أدري، فيحفظون بالفتوى جاههم عن الناس، لئلا يقال: جهلوا الجواب، وإن كانوا على غير يقين مما قالوا، وهذا نهاية الخذلان»[٥].

---

(١) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ٦٩).

(٢) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١١٤).

(٣) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٢١).

(٤) المرجع نفسه: (رقم الخاطرة ١٢١).

(٥) «صيد الخاطر» (رقم الخاطرة ١٤٧).

٨- «الواجب على العاقل أن يتبع الدليل، ثم لا ينظر فيما لا يجني من مكروه»[1].

٩- «رأيتُ من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة»[2].

١٠- «ليس العلم صور الألفاظ، إنما المقصود فهم المراد منه»[3].

هذه أهم معالم المنهج العلمي التي قيَّدها ابن الجوزي في كتابه «صيد الخاطر»، ويلاحظ أن ابن الجوزي اختصر هذا المنهج، **وذلك يعود لسببين:**

الاول: أن عناية الشيخ كانت متوجهة إلى التنبيه على أهمية الوقت، وحفظ الهمة العالية من الضياع والضعف. وقد سرد الشيخ صفحات كثيرة حول هذا المعنى.

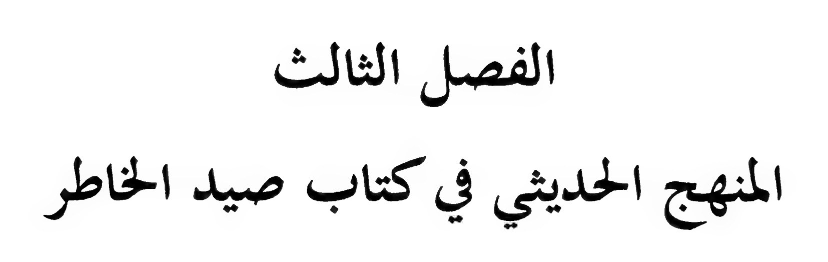
الثاني: أن الشيخ يستطرد في كثير من خواطر كتابه، فينبِّه على أهمية الاعتناء بفهم القرآن والسنة النبوية، وقد كان كثير من خواطر الكتاب حول هذا المعنى. وبالله التوفيق.

***

(١) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٩٣).

(٢) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ١٦٠).

(٣) المرجع نفسه (رقم الخاطرة ٣٣٦).



الفصل الثالث

المنهج الحديثي في كتاب صيد الخاطر

الفصل الثالث

المنهج الحديثي في كتاب صيد الخاطر

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: مقاييس ابن الجوزي في صيد الخاطر.

المبحث الثاني: تطبيقات مقاييس ابن الجوزي في صيد الخاطر.

المبحث الثالث: الصناعة الحديثية عند ابن الجوزي.

المبحث الرابع: الروايات المعلولة في صيد الخاطر.

المبحث الخامس: أسباب ورود الضعيف في صيد الخاطر.

المبحث السادس: أسباب رواية الموضوع في صيد الخاطر.

المبحث السابع: منهج ابن الجوزي في الإستدلال.



المنهج الحديثي في صيد الخاطر يقوم على ثلاث ركائز: التقرير بالنص من غير تشديد في الحُكم، والإستدلال بالمعنى الحديثي، والإستدلال بالأخبار والآثار.

والمتعارف عليه عند الباحثين وطلبة العلم، أن كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، كتاب وعظٍ فحسب، وهذا صحيح في الجُملة، لكنه غير دقيق عند الإستقراء والملاحظة.

فهو كتاب قصدَ منه مؤلفه تأصيل منهج علمي تربَّى عليه ونافح عنه ومات عليه، وقد قرَّر أحكام الوعظ ومقاصد الحديث الشريف والآثار والأخبار بمعايير معينة.

ولهذا نجد له تقريرات في العقيدة وفي الحديث وفي المصطلح وفي التاريخ، وفي غيرها من المباحث العلمية.

وسوف يتبيَّن هذا المنهج في المباحث الآتية في ثنايا الدراسة.

وابن الجوزي من العلماء الذين يُؤسِّسون المناهج في مؤلفاتهم، ولا يوضِّحونها إلا بالأدلة والأمثلة والدلائل العلمية، وهذه من خصائص ابن الجوزي في كثير من مؤلفاته.

فهو مولع بالإستقراء والنظر العقلي مع العمل بقاعدة التخلية والتحلية، اللتين تعب من أجل ترسيخهما في واقع الناس، في مدة اشتغاله بالعلم والتربية.

وقد كان لابن الجوزي رغم حنبليته، اتصال وثيق بالفِرق الكلامية في عصره، وقد تأثر بكثير من أفكارها وقواعدها، كالمعتزلة والأشاعرة.

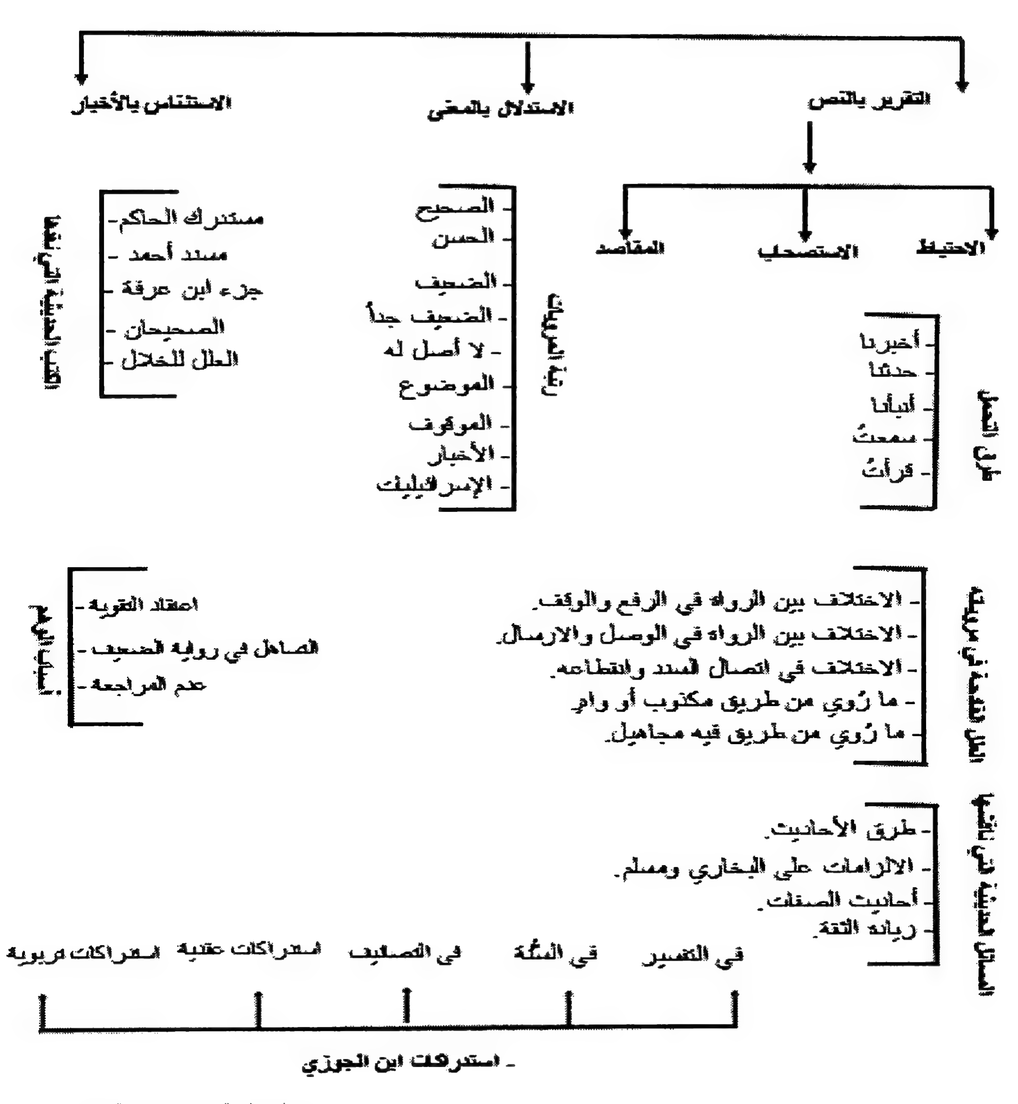
وبسبب هذا الاتصال والتأثر، انعكس ذلك في بعض تحريراته وتصوراته، وقد ناله كثير من الابتلاء والأذى من أهل العلم وأهل السُّلطة.

وابن الجوزي ينتسب في الجملة إلى مذهب أهل السُّنة والجماعة، لكنه بسبب مبالغته في التأويل والنظر العقلي التطبيقي، مال إلى مقام لم يحمده عليه كثير من العلماء، كما بيَّنه المحققون القدامى والمحدثون.

لقد أراد ابن الجوزي من خِلال كتابه الصيد أن ينثر فيه خُلاصة عمره في جانبين مهمين: الأول: الشريعة، الثاني: نقد أحوال الناس.

وقد تدرَّع بالنص الحديثي والإخباري لدعم أفكاره وتقريراته.

❖❖❖


(الخريطة الذهنية لمرويات ابن الجوزي في صيد الخاطر)
التقرير بالنص
الاستدلال بالمعنى
الاستئناس بالأخبار
الاحتياط
الاستصحاب
المقاصد
طرق التحمل
أخبرنا
حدثنا
أنبأنا
سمعتُ
قرأتُ
رتبة المرويات
الصحيح
الحسن
الضعيف
الضعيف جداً
لا أصل له
الموضوع
الموقوف
الأخبار
الإسرائيليات
الكتب الحديثية التي نقلها
مستدرك الحاكم
مسند أحمد
جزء ابن عرفة
الصحيحان
العلل للخلال
العلل الخفية في مروياته
الاختلاف بين الرواة في الرفع والوقف.
الاختلاف بين الرواة في الوصل والارسال.
الاختلاف في اتصال السند وانقطاعه.
ما رُوي من طريق مكذوب أو واهٍ.
ما رُوي من طريق فيه مجاهيل.
أسباب الوهم
اعتقاد التقوية
التساهل في رواية الضعيف
عدم المراجعة
المسائل الحديثية التي ناقشها
طرق الأحاديث.
الالزامات على البخاري ومسلم.
أحاديث الصفات.
زيادة الثقة.
في التفسير
في الفقه
في التصانيف
استدراكات عقدية
استدراكات تربوية
استدراكات ابن الجوزي
(المدخل إلى كتاب صيد الخاطر)

المبحث الأول

مقاييس ابن الجوزي في صيد الخاطر

في صفحات صيد الخاطر عشرات الأحاديث والأخبار، نثرها ابن الجوزي **بثلاثة مقاييس:**

- **المقياس الأول**: الإحتياط
- **المقياس الثاني**: الإستصحاب.
- **المقياس الثالث**: المقاصد.

وهذه المقاييس الثلاثة نظم لها ابن الجوزي رحمه الله تعالى، مروياته وأدلته واستنباطاته وتجاربه وأخباره.

ومعرفة هذه المقاييس مهمة لسبر كتاب صيد الخاطر، وللإفادة من علومه وفرائده. ولن يكمُل الإنتفاع بهذا الكتاب إلا بفهم مقاييسه في مصنَّفه.

وقد وقع التباس عند كثير من الباحثين قديمًا وحديثًا، في أهلية ابن الجوزي في علم الحديث، لأنه يورد أخباراً وأدلة مرجوحة أو غير صحيحة من جهة الإسناد.

والإستدلال بالمرجوح أو الضعيف في كتاب صيد الخاطر كثير وملاحظ، بسبب اعتماد ابن الجوزي على المقاييس الثلاثة: الإحتياط والإستصحاب والمقاصد.

وهنا توضيح مختصر للمقاييس الثلاثة التي اعتمد عليها ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر:

الإحتياط:

المقصود بالإحتياط: الاحتراز الشرعي من الوقوع في المخالفة عند الاشتباه، والعمل به مشروع، وأدلته كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢].

ولحديث: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه» متفق عليه.

وقد رُوي عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنه كان إذا حُدِّث بحديث لم يسمعه، فإنه يحلِّف الراوي ليتوثق منه.

والاحتياط قد يكون واجبًا وقد يكون مندوبًا.

وضابط التفريق بينهما مرجعه إلى وجود الاحتمال والشك قوة وضعفًا. وقد قال الشاطبي رحمه الله تعالى: «فالأحرى بمن يريد برآءة ذمته وخَلاص نفسه، الرجوع إلى أصل العزيمة، إلا أن هذه الأحروية تارةً تكون من باب الندب وتارة تكون من باب الوجوب» [١].

---

(١) انظر: الموافقات (١/٥١٦).

الاستصحاب:

المقصود بالاستصحاب: استدامة إثبات ما كان ثابتاً أو نفي ما كان منفيًا والمراد به: إبقاء الحُكم الذي كان على ما كان عليه، حتى يأتي دليل ينقله عمَّا هو عليه. **وهو أنواع:**

أ-استصحاب البراءة الأصلية.

ب-استصحاب الوصف المثبت للحُكم الشرعي حتى يثبت خِلافه.

ج-استصحاب حكم الإجماع في محلِّ النزاع.

والعمل به مشروع وأدلته كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٥].

ووجه الإستشهاد بالآية أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما استغفر لعمِّه أبي طالب واستغفر المسلمون لموتاهم من المشركين، وأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣]، ندموا على استغفارهم للمشركين، فبيَّنت الآية أن استغفارهم لهم قبل التحريم على البراءة الأصلية، لا إثم عليهم فيه ولا حرج، حتى يُبين لهم الله ما يتقونه.

ومثله أيضًا قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩].

فدلَّت الآيةُ أن الشرع يبيِّن ما حرَّم على المسلمين، أما ما سكتَ عنه فيبقى على البراءة الأصلية، وعلى أصل الإباحة.

والنوع الثالث من الاستصحاب محلُّ خلاف بين العلماء، ورجَّح ابن القيِّم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله تعالى، حجية هذا النوع من الاستصحاب.

المقاصد:

المقصود بالمقاصد: مراعاة أحكام الضروريات والحاجيات والتحسينيات في أمور الشريعة.

والعمل بها مشروع وأدلتها كثيرة منها، قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]. وقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا مرض العبدُ أو سافر كُتب له ما كان يعمل مقيماً صحيحًا**» أخرجه البخاري [١].



(١) انظر: الاحتياط وقواعده الأصولية للجميلي(٢٣- وما بعدها)، والمناهج الأصولية للدريني (٧٠- وما بعدها) والموافقات للشاطبي (١/٥- وما بعدها)، وإعلام الموقعين لابن القيم (١/٣٤١).

المبحث الثاني

تطبيقات مقاييس ابن الجوزي

المتأمل لكتاب صيد الخاطر يجد أن المؤلف لاحظ ثلاثة جوانب مهمة في مجتمعه، وكرَّر الأدلة والأمثلة في مناقشتها بأسلوب بديع.

أ. مسائل الشريعة.

ب. التجارب والذكريات.

ج. تهذيب الأخلاق.

هذه الأمور الثلاثة هي التي ناقشها المؤلف وفرَّع لها خواطره وتصوراته، واستخرج منها مباحثه، وقرَّب أحكامها، حتى نضج كتابه واكتمل بناؤه.

أما منهج تطبيق المقاييس: الاحتياط والاستصحاب والمقاصد، فقد استعملها بالأسلوب التالي:

١. تصوير الفكرة وتقوية معانيها بالشواهد الصحيحة والحسنة والموضوعة أحيانًا.

٢. مناقشة الأفكار ووضع الحلول لها تارة بالاحتياط وتارة بالاستصحاب وتارة بالمقاصد،وقد يستعمل لها الحكاية أو القصة أو الخبر.

٣. تصحيح مفهوم من المفاهيم السائدة في مجتمعه بالأثر الموقوف أو المرفوع، بغض النظر عن قوة صحته وقبوله حديثيًا.

٤. قرع المشاعر الإنسانية والدينية عند المسلم مع ربطه بآخرته.

٥. التأكيد على أهمية المحاسبة والمراقبة في كل لحظات المسلم.

وابن الجوزي له أسلوب خاص في تخريج الحديث والأثر، ومثلهما الحكايات والقصص .فهو ينتخب من كتب أصول الرواية مثل: مسند أحمد ومستدرك الحاكم وبعض مسانيد الأئمة ،كمسانيد الزوائد الثمانية المشهورة، ومعاجم الطبراني ومصَّنف ابن أبي شيبة .

وعنده ميل لمرويات الرقائق والزهد وكتب التفسير التي تسرد مرويات الغرائب والإسرائيليات .

وقد اتخذ هذا الأسلوب الطريف ،لأن علم الوعظ عنده هو فنه وهو فارسه، وله تأثير عجيب وملاحظ في السامعين ،فلهذا لم يستطع طرح رواية الضعيف إلا بقدر ضئيل جدًا ،كما سيأتي توضيحه في ثنايا الصفحات الآتية ،إن شاء الله تعالى.



المبحث الثالث
الصناعة الحديثية عند ابن الجوزي

نبَّه ابن الجوزي في صيد الخاطر على أهمية الإشتغال بعلم الحديث رواية ودراية، كما في الخاطرة رقم (١٣٩) عند قوله:« علم الحديث هو الشريعة، لأنه مبيِّنٌ للقرآن، وموضِّحٌ للحلال والحرام، وكاشفٌ عن سير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسِّير أصحابه، وقد مزجوه بالكذب وأدخلوا في المنقولات كل قبيح».

ونبَّه في الخاطرة رقم (١٣٧) على خطأ الإسراف في التوسُّع فيه حيث قال:

«فينبغي للإنسان أن يقتصر من القراءات إذا حفظ القرآن على العشر. ومن الحديث على الصِّحاح و السُّنن و المسانيد المصنفة، فإن علوم الحديث قد انبسطت زائدة في الحد وما في هذا الجزاء وإنما الطرق تختلف.

وعلم الحديث يتعلَّق بعضه ببعض، وهو مشتهى، والفقهاء يسمونه علم الكسالى، لأنهم يتشاغلون بكتابته وسماعه، ولا يكادون يعانون حفظه، ويفوتهم المهم و هو الفقه».

وقال أيضًا: «وقد كان المحدثون قديمًا هم الفقهاء، ثم صار الفقهاء لا يعرفون الحديث، والفقهاء لا يعرفون الحديث».

وهـذه الجزئيـة في البحـث هـي أهـم مباحـث الكتـاب، لأن كثـيراً مـن تصـحيحات ابـن الجـوزي في صـيد الخـاطر إنمـا قعَّـدها وأسَّسـها علـى النقـول والآثار وأدلة المسائل، المبثوثة في كتب السُّنة والأخلاق والسِّيرة.

ومن المجازفة أن نقول إن ابن الجوزي لا يعرف الصناعة الحديثية بإطلاق، حتى ولو نُقل ذلك عن بعض العلماء.

وقد ذكرنا في أول الكتاب أن هذا الحُكم نسبي يختلف من عالم إلى عالم.

ولو قلنا إن ابن الجوزي يُخرّج ولا يحقِّق لكان أقرب للصواب.ولو قلنا إنه ضليع في باب الدِّراية ،متوسط في باب الرواية لكان مطابقًا لحال مؤلفاته رحمه الله تعالى .

والتخريج بدون تحقيق، هو سبب نقمة بعض أهل العلم عليه.

ودليل تضعيف هذا الرأي: أن ابن الجوزي ليس بماهر في علم الحديث، **ثلاثة أمور**:

- **الأول**: اشتغاله بعلم الحديث رواية ودراية.
- **الثاني**: معرفته العامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم.
- **الثالث**: اشتغاله بعلم العِلل بقدر معين.

وهذه أمثلة تثبت تضلُّع ابن الجوزي من علم الحديث رواية ودراية:

١-معرفته بالكنى المتعلقة بالرواة وأصحابها، وهو فن معروف عند المحدِّثين قديمًا وحديثًا، والجاهل به مُنتقص كما أفاده ابن الصلاح رحمه الله تعالى [(١)].

وقد اتضح ذلك في ترجمته لكثير من الرواة ومنهم: أبو عائشة الهمذاني واسمه مسروق بن الأجدع، وهو مشهور بكنيته، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويكنى بأبي جعفر. وكما في ترجمته لمحمد بن إسحاق بن يسار المكنى بأبي بكر وبأبي عبد الله. وكما في ترجمته لأبي بكر بن مُحَمَّد بن عمرو الأنصاري، واسمه كنيته.

٢-معرفته لألقاب الرواة من الرجال والنساء، كما يتضح في ترجمته لكثير منهم مثل: منديل بن علي العنزي، فقد قال: إن اسمه عمرو ولقبه مندل، إلا أنه غلب عليه.

وكما في ترجمته لحمدون بن عباد أبي جعفر، كان اسمه أحمد ولقبه حمدون، وهو الغالب عليه.

---

(١) انظر: مقدِّمة ابن الصلاح: (ص/٤٣٥). قلت: مصطلح الصناعة الحديثية أشار إليه الإمام الحاكم كما في كتابه" معرفة علوم الحديث"(ص/١٤٦) .وانظر أيضًا : تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٩٣/٣)، فقد أشار إليه عند تفسير سورة الكهف: آية رقم ٩٧.

وكما في ترجمته لأسماء بنت أبي بكر الصديق، ولقبت بذات النطاقين. وكما في ترجمته لسكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، واسمها: آمنة، وقيل أميمة، وسكينة لقب عُرفت به.

٣-معرفته بالشيوخ والتلاميذ، كما يتضح من ترجمته لكثير من الرواة ومنهم:

واهب بن عبد الله المعافري الكعبي، فقد قال: يروي عن ابن عُمر وابن عَمرو وعقبة بن عامر. وكما في ترجمته لسهيل بن حيان بن منصور بن سعد الكلبي، فقد قال: روى عنه الليث وابن وهب.

٤-معرفته لمن رُمي ببدعة من البدع، كقوله عن عباد بن يعقوب الرواجني: كان غاليًا في التشيُّع، وقوله عن جعفر بن يزيد الجعفي: كان رافضيًا غاليًا.

وقوله عن حيان بن ظبيان السلمي: كان يرى رأي الخوارج. وقوله عن مُحَمَّد بن خازم التميمي: كان يرى رأي المرجئة.

٥-معرفته لعلل الراوي ومروياته، مثل الاختلاط والتدليس والارسال والنكارة والاضطراب والغفلة.

فقد قال عن سعيد بن ابي اياس الجريري، سمع منه الثوري وشعبة وكان ثقة لكنه اختلط في آخر عمره. وقال عن حجاج بن أرطأة النخعي الكوفي: كان من حُفاظ الحديث ومن الفقهاء، الا أنه كان مدلسًا يروي عن من لم يلقه.

وقال عن قتادة بن دعامة السدوسي: لم يسمع من سعيد بن جبير ولا من الشعبي ولا من النخعي ولا من مجاهد شيئًا، ولم يسمع من ابي قلابة شيئًا إنما أرسل عنهم. وقال عن اسحاق بن بشر بن مقاتل الكاهلي: يروي عن مالك وأبي معشر وكامل ابي العلاء وغيرهم أحاديث منكرة. وقال عن رشدين بن سعد بن مفلح، ابو الحجاج، روى عنه ابن المبارك وبقية، وكان رجلًا صالحًا أدركه نوع من التغفُّل.

٦-عنايته بالجرح والتعديل، والأمثلة على هذا كثيرة جدًا، منها ترجمته لكثير من الرواة الثقات ووصفهم بالصدق والضبط والحفظ والإتقان، مثل قوله عن المترجمين: كان صدوقًا، كان ثقة مأمونًا، حافظًا، مشهورًا، كان ثبتًا. عاقلا أديبًا حجةً.

وفي ترجمة علي بن فضال المجاشعي النحوي قال: سمع الحديث، و كان له علم غزير وتصانيف حِسان، إلا أنه مضعَّف في الرواية. وقال عن عبد السلام بن صالح الهروي: قد أنكروا عليه أحاديث وضعَّفوه.

وقال عن فرقد بن يعقوب السبخي: يُكنى أبا يعقوب، وكان يضعَّف في الحديث لأنه كان زاهدًا متعبدًا.

وقال عن صالح بن أبي صالح مولى التوأمة، يُكنى أبا عبد الله، حديثه قليل ضعيف.

وقال عن مُحمَّد بن الحسن: أبو الحسين صاحب النرسي، في حديثه لين.

وقال عن الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الطائي: لم يكن عند المحدثين بثقة. وقال عن أبي الحسن الصوفي: كان كذابًا.

وفي ترجمة مُحَمَّد بن إسحاق السلمي المروزي قال: غريب مجهول، روى حديثًا منكرًا، حدَّث عن ابن المبارك حديثًا منكرًا.

وقال عن مُحَمَّد بن جعفر أبي الفرج صاحب المصلى: حدَّث بأحاديث تدلُّ على سوء ضبطه وضعفِ حاله، وهو سيُء الحال عندهم [(١)].

وقال عن علي بن عبد الله بن جهضم الزاهد: ذكروا أنه كان كذابًا، ويقال إنه وضع صلاة الرغائب.



(١) انظر: كتاب المنتظم لابن الجوزي: (١/٢٥٠، /٢/٢٢٠، ٣/١١٠، ٤/٨٠، /١٠٠/٧٠-١٠٠).

وانظر: الإمام ابن الجوزي ومنهجه في الجرح والتعديل من خلال كتابه المنتظم/لعبد الله أبو عوكل (وهي رسالة في الحديث لم تنشر/الجامعة الإسلامية في غزة-١٤٣٩هـ). قلت: ومما يدلُّ على عنايته بالحديث في صيد الخاطر: تصحيحه وتضعيفه للأسانيد، وتتبعه للشواهد والمتابعات، ونقده لأحاديث الصحيحين، ونقده لمستدرك الحاكم، والتنبيه على مسائل في مصطلح الحديث، واجتهاده في الحُكم على علل الاحاديث.

المبحث الرابع
المرويات المعلولة في صيد الخاطر

أورد ابن الجوزي في صيد الخاطر مئات المرويات الصحيحة والحسنة، وأورد مجموعة من المرويات الضعيفة والواهية.

وباستقراء المرويات الضعيفة والواهية في صيد الخاطر تبيَّن أن سبب ردِّها وعدم الاحتجاج بها، هو جرح رواتها وجهالتهم وبعضهم من المتروكين والمدلِّسين والكذَّابين، أو لانقطاع السند أو لغفلة الراوي، وعدم ضبطه أو ارسال الرواية.

وهذا مسرد بأسماء الرواة الضعفاء والمتروكين، التي أورد ابن الجوزي رواياتهم واحتج بها، **وهي مرتبة بحسب ورودها في صيد الخاطر:**

١-صدقة بن موسى، كما في إسناده في رواية حديث: «لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل» [١].وصدقة ضعيف لا يُحتج به كما قال أهل الجرح والتعديل [٢].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/٣٥٩).

(٢) انظر الميزان للذهبي (٣/٤٠).

٢-معمر عن أيوب عن أبي قلابة، كما في إسناده في حديث: «البِرُّ لا يبلى»[١]، وهذا السند مرسل، فهو ضعيف، وقد روي بنفس الاسناد موقوفًا على أبي الدرداء، فلا يصلح للاحتجاج به مرفوعًا.

٣-حاتم بن عباد الجرشي، ويحي بن قيس الكندي، ويوسف بن عطية، وبقية بن الوليد، ضعفاء ومدلِّسون ومجروحون، كما في إسناد حديث: «نية المؤمن خيرٌ من عمله» [٢].

٤- أبو بكر بن أبي مريم، كما في إسناد في حديث: «أعجزُ الناس من أتبع نفسه هواها» [٣].

وأبو بكر واهٍ لا يُحتج به كما أفاده الذهبي في الميزان.

٥-إسحاق بن عبد الواحد القرشي، وعبد الرحمن الواسطي، وهشيم بن بشير، وعلي بن يزيد الألهاني، ضعيفان ومدلس ومتروك، لا يُحتج بهم لضعفهم وجرحهم، كما في إسناد حديث: «من غضَّ بصره عن محاسن امرأة» [٤].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/١٧٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/٢٥٥) وأخرجه أهل المسانيد وغيرهم.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٢٤).

(٤) أخرجه أصحاب المسانيد والفضائل، كما في الترغيب للمنذري (٢/٦٥١).

٦-الوليد بن مسلم، وروح بن جناح، ضعيفان، كما في إسناد رواية ابن عباس مرفوعًا: «فقيه واحدٌ أشدُّ على إبليس من ألف عابد» [١].

٧-يزيد الرقاشي، ضعيف، كما في إسناد رواية: «كان لداود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مِئة امرأة» [٢].

٨-إسحاق بن أبي فروة، وإسماعيل بن عياش، ضعيف ومنكر الحديث، كما في إسناد رواية: «الصُّبحة تمنع من الرزق» [٣].

٩-يحيى البكاء، ضعيف، كما في رواية: «أنه رأى ربه عَزَّوَجَلَّ في المنام».

والرواية بلا إسناد، وهي من منقولات الصوفية في زمن ابن الجوزي وقبله.

وقد رويت بصيغة التمريض، فلا يُعتدُّ بها ولا يستنبط منها حُكمًا [٤].

١٠- موسى بن جبير، وزهير بن مُحَمَّد، ضعيف، والآخر كثير الخطأ. كما في رواية خبر هاروت وماروت [٥].

---

(١) كما في كتب السُّنن، ومنها: جامع الترمذي (٢٦٨١).

(٢) أشار إليها ابن كثير في تفسيره (٤/٢٥) وانتقدها.

(٣) اخرَّجه في زوائد المسند (١/٧٣).

(٤) انظر: «تهذيب التهذيب» (١١/٢٧٨).

(٥) أخرج الرواية بعض أصحاب السُّنن والمسانيد، كما عند أحمد في مسنده (٢/١٣).

١١-أبو علي الصيقل، مجهول لا يُعرف. وسند روايته فيها انقطاع واضطراب: «ما لكم تدخلون علي قُلحًا» [١].

١٢-مُحَمَّد بن إسحاق، فيه تدليس، لم يسمع من الزهري، ومعاوية بن يحيى الصدفي ليس بالقوي، كما في رواية: «فُضلت الصلاة بالسِّواك على الصلاة بغير سواك».

كما في مسند أحمد (٢٧٢/٦). ولابن اسحاق تدليس آخر في رواية: «إنه على عرشه هكذا» [٢].

١٣-عبد الله بن الماجشون، ورد في إسناد قصة ابن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع زوجته حين اتهمته بجاريته. وفيها انقطاع، وهي قصة رويت من وجوه منكرة ومرسلة [٣].

١٤-وكيع بن حدس، لا يُعرف، ورد في رواية: «أو يضحك ربنا ؟» [٤].

١٥-كثير بن زيد، صدوق يُخطئ، وقد اضطرب في روايته، كما في رواية: «إن من السعادة أن يطول عُمر العبد» [٥].

---

(١) انظر: المسند (٢١٤/١).

(٢) كما في السُّنة لابن أبي عاصم (ص/٢٥٢).

(٣) أخرجها الذهبي في العلو (ص/١٠٦).

(٤) أخرجها أصحاب المسانيد والسُّنن، كما في مسند أحمد (١١/٤).

(٥) أخرجه أحمد (٣٣٢/٣).

١٦-إبراهيم بن يزيد القرشي، متروك، ضعَّفه ابن كثير وغيره. كما في روايته: «لو لم يقل يوسف كلمته التي قال، ما لبث في السجن طول ما لبث» (١).

١٧-أحمد بن طاهر، وعمر بن راشد المدني، الأول كذَّاب، والثاني منكر الحديث. وردا في اسناد رواية: «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن من حيث لا يحتسب» (٢).

١٨-مُحَمَّد بن أبي سويد، مجهول، له إسناد في رواية: «إن آخر وطئةٍ وطئها الله بوج» (٣).

١٩-سفيان بن عيينة، ثقة تغيَّر في آخره، وربما دلَّس، وله عنعنة في الرواية السابقة (رواية وطئة وج).

٢٠- سعيد بن أبي راشد، مجهول، ليَّنه ابن حجر في التقريب. له إسناد في (رواية وطئة وج).

٢١-عبد الله بن عثمان بن خثيم، صدوق، ليَّن أمره الذهبي. له إسناد في(رواية وطئة وج).

---

(١) أخرجها ابن جرير في تفسيره (٧/٢٢١) وتفسير ابن كثير (٤/٩٠). ووردت الرواية مرتين في الصيد.

(٢) أخرجها القضاعي في المسند (١/٣٤١).

(٣) كما في مسند أحمد (٦/٤٠٩).

٢٢-عطية العوفي، ضعيف، له إسناد في رواية: «من شغله ذِكري عن مسألتي»[١].

٢٣-مُحَمَّد بن الحسن بن أبي يزيد، متروك متهم، له إسناد في رواية: «من شغله ذِكري عن مسألتي»، وهذا مما أُنكر به عليه.

٣٤-عبد الله بن صالح كاتب الليث، صدوق كثير الغلط، له إسناد في رواية: «إن المنبت لا ظهرًا قطع ولا ظهرًا أبقى» [٢].

٢٥-يحيى بن المتوكل أبو عقيل، كذَّاب، له إسناد في رواية: « إن المنبت لا أرضًا..» [٣].

٢٦-إبراهيم بن ثابت، ساقط [٤]، له إسناد في حديث الطائر المشهور.

٢٧-عمرو بن خالد القرشي، كذاب متروك، له إسناد في رواية: «أيما أمرئٍ مسلم اشتهى شهوة فردَّ شهوته، وآثره على نفسه غُفر له» [٥].

---

(١) كما في مسند الدارمي (٢/٤٤١).

(٢) كما في سنن البيهقي (٣/١٩).

(٣) كما في سُنن البيهقي (٣/١٩).

(٤) انظر: مستدرك الحاكم (٣/١٣).وحديث الطائر: ما يُروى من جلوس النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يأكل طيرًا ومعه عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. والرواية لها قصة. والحديث استنكره المحدثون.

(٥) كما في الميزان للذهبي (٣/٢٥٦).

٢٨-نعيم بن المورع بن توبة العنبري، ضعيف يسرق الحديث، له إسناد في رواية: «أُدمان في قدح؟» [(١)].

٢٩-معمر بن بريك، كذَّاب وضَّاع، له رواية في قول: «يشيبُ ابن آدم وتشبُّ منه خصلتان: الحرص وطول الأمل» [(٢)].

٣٠-إسحاق بن بشر، صاحب كتاب المبتدأ، كذّاب، له إسناد في قول: «إن الله لا ينظر إليك في حالتك هذه» [(٣)].

٣١-إبراهيم بن الفضل، ويقال له إبراهيم بن إسحاق، متروك، له إسناد في رواية: مرَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حائطٍ فأسرع [(٤)].

٣٢-سليمان بن هرم القرشي، ضعيف، له إسناد في رواية العابد الذي تعبَّد خمسمئة سنة في جزيرة [(٥)].

٣٣-المختار بن نافع، منكر الحديث، له إسناد في رواية: «اللهم أدر معه الحق كيفما دار» [(٦)].

---

(١) كما في معجم الطبراني الأوسط (١٩٧/٨).

(٢) كما في الميزان (١٥٦/٤).

(٣) كما في الحِلية لأبي نعيم (٣٧/١).

(٤) كما في مسند أحمد (٣٥٦/٢).

(٥) كما في مستدرك الحاكم (٢٥٠/٤).

(٦) كما في جامع الترمذي (٣٣٦/٥).

٣٤-إبراهيم بن يحيى، لين الحديث، وأبوه ضعيف، له إسناد في رواية: «ما رأيتهُ من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا رآه مني»[1].

❁❁❁

(١) كما في جامع الترمذي (٥/٧٦).

قلت: من أراد سبر منهج ابن الجوزي في نقد الرجال، فليراجع كتاب: «تنقيح التحقيق» لابن عبد الهادي(ت: ٧٤٤هـ) رحمه الله تعالى، فهذا الكتاب مهم جدًا في تتبع العِلل في الأسانيد التي لم يستوف ابن الجوزي الكلام حولها في كتابه التحقيق في أحاديث الخلاف. وانظر: القول المسدَّد في الذب عن مسند أحمد لابن حجر(ص١٠/وما بعدها)، فهو مفيد في تتبع أوهام ابن الجوزي في الأسانيد والعِلل .وانظر: التعقبات على الموضوعات للسيوطي(ص/٢٠-وما بعدها)، فقد أجاد وأفاد في الإستدراك على ابن الجوزي في الأسانيد المرفوعة والموقوفة، وبيَّن أوهامه في التمييز بين الرواة وجرحهم وتعديلهم .

وانظر: ألفية عِلل الحديث المسماة: «شافية الغُلل بمهمات عِلم العل» لمحمد بن علي الإثيوبي الولولي. فهي مهمة في بابها لمن أراد معرفة العلل بالمنظوم، لسهولة الحفظ ولتلخيص المعاني. وفيها قواعد تكشف أوهام بعض الرواة في أحاديثهم.

المبحث الخامس
أسباب ورود الضعيف في صيد الخاطر

أورد ابن الجوزي عشرات الأحاديث والآثار الضعيفة والغريبة في كتاب صيد الخاطر، وقد مرَّ معنا أربعة وثلاثين إسنادًا معلولًا.

أما أسباب إيراد ذلك فهي ثلاثة:

١-التحرير من غير مراجعة، وسرعة التأليف، وهما من عاداته في مؤلفاته عامة.

وقد قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) رحمه الله تعالى: «هكذا هو، له ألوان من ترك المراجعة وأخذ العلم من صُحف، وصنَّف شيئًا لو عاش عمرًا ثانيًا لما لحق أن يُحرِّره ويُتقنه» [(١)].

٢-التسامح في إيراد الضعيف والواهي، لأنها سِيقت في باب الوعظ والترغيب والترهيب والقَصص، وبعضها أوردها كما تقدَّم بيانه: للتنبيه على مشروعية الإحتياط والاستصحاب والمقاصد.

٣-إعتقاد تقوية تلك الشواهد بأسانيد أخرى ومرويات أعلى رتبة وإسنادًا.

---

(١) انظر: السِّير (٢١/٣٧٨).

والواضح من خلال سبر مرويات ابن الجوزي من خلال صيد الخاطر ومؤلفاته الأخرى، أنه يذهبُ إلى ما ذهب إليه بعض العلماء، من أن الاحاديث الحسنة لذاتها تعضد بمثلها وبما هو أعلى منها، وأن الأحاديث الضعيفة تتقوّى إن كان في أحد رواتها سيء الحفظ أو جهالة.

وكذلك يتقوّى المرسل والمنقطع والمعضل والسقط الخفي.

وأيضًا تتقوّى جهالة عَدالة الرواة، سواء كان مجهول العين أو مجهول الحال، ومثلها المبهم. ويُفهم من استقراء مروياته أنه يقوي الضعيف باعتضاده بالانتشار وفتوى العلماء به وتلقِّي الأمة له بالقبول وباستدلال المجتهدين به، كما هو مذهب بعض أهل العلم. وسيتبيَّن لنا أن ابن الجوزي يقرِّر قاعدة الإمام علي بن المديني (ت: ٢٣٤هـ)رحمه الله تعالى، وهي: فلان لا يُحتج بحديثه ولا يسقط. وهي التي يُعمل بها في المتابعات والشواهد [(١)].

وقد رخَّص أهلُ العلم روايةَ الضعيف بثلاثة شروط:

أ. أن لا يكون الضعف شديدًا.

---

(١)انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم(١٣٣/١)ولسان الميزان لابن حجر(٩٣/١) وسير أعلام النبلاء(٣٦٠/٦).قلت: وعند العلماء قديمًا انتشرت عبارة (رجاله رجال الصحيح)،فاغترَّ بها بعضُ أهل العلم وحكموا على مروياتها بالصحة والقبول، وهذه ملاحظة مهمة جدًا تحتاج إلى دراسة مستقلة حولها، لأنها كانت مفتاحًا لقبول الصحيح والموضوع والضعيف. انظر مقدمة صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٧٠/١- وما بعدها) .

ب. أن يكون له أصلٌ ثابت.

ج. أن لا يعتقد أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاله [(١)].

وهذه أمثلة من كتاب صيد الخاطر، تؤكد توسُّط ابن الجوزي في التزامه بهذه الشروط:

. **المثال الأول**: قوله: "رأيتُ النفس بعد علو السِّن يقوى أملها، ويزداد حرصها، لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يشيبُ ابن آدم وتشبُّ منه خصلتان: الحرص والأمل»".

قلت: الحديث بهذا النحو ورد مكذوبًا وورد ثابتًا. وقد نبَّه على هذا الذهبي رحمه الله تعالى في ميزان الإعتدال (١٥٦/٤): رأيتُ ورقة فيها أحاديث سُئلت عن صحتها، فأجبتُ ببطلانها وأنها كذب واضح، ومنها حديث «يشيبُ ابن آدم».

والحديث ثابت في مسند أحمد: (١٢٤٢و١٢٢٠٢و١٣٩١٧) والبيهقي في الشُّعب (٩٧٧٩) عن أنس مرفوعًا: «يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنتان: الحرص والأمل» وفي صحيح مسلم بنحو مقارب (١٠٤٧) من حديث أنس أيضًا.

---

(١) انظر: تدريب الراوي (٩٨/١) وفتح المغيث (٢١٧/١- وما بعدها). قلت: كثير من العلماء قديمًا وحديثًا، يمنعون العمل بالحديث الضعيف مطلقًا في فضائل الأعمال ،والراجح عندهم الاكتفاء بالعمل بالصحيح والحسن. انظر: تمام المنة في التعليق على فقه السُّنة (٣٤- وما بعدها) وصحيح الترغيب والترهيب للألباني (١٦/١-٣٦) .

المثال الثاني: قول ابن الجوزي: «فواعجبًا من مُضيّع لحظةً فيها، فتسبيحة تغرسُ له في الجنة نخلة، أُكلها دائم وظلها».

هذا معنى لحديث مختلف في تصحيحه وهو: «مرَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو يغرس غرسًا، فقال: ألا أدلك على غِراس خير لك من ذلك، قل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، يُغرس لك بكل واحدة لك شجرة في الجنة».

وهذا اللفظ مِن أهل العلم من ضعَّفه مثل: الهيثمي في «المجمع» (١٠/٩٤) والمنذري في «الترغيب» (٢/٤٠٧). لكن له شواهد وطرق تُقوِّيه وتُصحِّحه، كما في سنن ابن ماجة (٢/١٢٥١) والترمذي في جامعه (٥/٥١٠) والحاكم (١/٥١٢).

المثال الثالث: قول ابن الجوزي: وليجتهد في التوبة، فقد روي في الحديث: «ما من شيء أسرع لحاقًا بشي، من حسنة حديثة لذنب قديم». أهـ.

هذه الرواية وهِم ابن الجوزي في تصحيحها، والراجح أنها لا تثبت مرفوعة إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل يُروى عن ابن عباس والحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، كما في الدُّر المنثور (٣/٦٤٠).

لكن هنا ملاحظة مهمة يجب التنبيه عليها في منهج ابن الجوزي رحمه الله تعالى في استعمال الضعيف، الذي قصد إيراده، ووقوف القارئ على فائدته.

فقد كان يعتبر لحُكمه على الحديث بمتابعاته وشواهده، وأغلب ما انتقد عليه كان بسبب أنه حكم على أحاديث بالوضع بالنظر إلى إسناد واحد، دون اعتبار طرقه الأخرى.

قال العلائي: «ويعتمد على غيره من الأئمة في الحُكم على بعض الأحاديث بتفرد بعض الرواة الساقطين بها، ويكون كلامهم محمولًا على قيد أن تفرده إنما هو من ذلك الوجه، ويكون المتن قد روي من وجه آخر، لم يطلع هو عليه أو لم يستحضره حالة التصنيف، فدخل عليه الدخيل من هذه الجهة وغيرها» [1].

وقد يكون اعتباره للمتابعات والشواهد متعلقًا بموضوع الحديث ودرجة راويه، وليس كل ضعيف يصلح لتقوية حديثه بالمتابعات والشواهد، لا سيما وأنه قد صنَّف أنواع الأحاديث وجعل الضعيف منها درجات، كما في كتابه «الموضوعات»، و «العِلل المتناهية»، و«التحقيق في أحاديث الخلاف».

وإذا تدبَّرنا كتابه الموضوعات نجد أنه قسَّم الأحاديث إلى ستة أقسام:

ما أُتفق على صحته، ما انفرد به البخاري أو مسلم، ما صح سنده على رأي أحد الشيخين، ما فيه ضعف قريب محتمل، وهو الحديث الحسن، الشديد

(١) انظر: النُّكت على ابن الصلاح (١/١٢٦).

الضعف، وهذا هو الذي يقع فيه الخلاف بين العلماء. الموضوعات المقطوع بأنها محال وكذب.

فهذه ستة أقسام لا يخرج نوع الحديث عنها.

وابن الجوزي منهجه في الحديث الضعيف منهج الحنابلة: إذا لم يكن في الباب غيره فإنه يحتج به، وهو يسمِّيه حسنًا، ولم يعترض على من يرى قبول ما اعتبره هو شديد الضعف.

ومن منهجه أنهُ يقوِّي الحديث الضعيف إن وجد له ما يعضده من طرق أخرى، وإن كان الحديث مفردًا لا متابع له، فهو قرينة على الضعف، وقد أشار إلى هذا في كتابه العِلل [(١)].

وأما الموضوع فيصفه بأنه يُعرف ببرودة لفظه وعدم خفاء حقيقته، وأن حاله يُعبِّر عن معناه، وأنه شديد التزلزل كثير العِلل [(٢)].

ومن منهجه تقوية الحديث المختلف فيه بالضعيف، كترجيحه لوصل الحديث الذي رواه الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: «جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إني رأيتُ الهلال، فقال: أتشهد أن لا إله إلا الله، وتشهد أن مُحَمَّداً رسول الله؟ قال نعم، قال: يا بلال، أذِّن في الناس أن صوموا غدًا».

---

(١) انظر: العلل المتناهية (١/١٤١).

(٢) انظر: الموضوعات: (١/١٧).

قال ابن الجوزي: «فإن قيل: هذا الحديث أرسله إسرائيل وحماد بن سلمة عن عكرمة عن رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، قلنا: قد اتفق الوليد بن أبي ثور وحازم بن إبراهيم وزائدة على رفع هذا» [(١)].

وقد ذكر الترمذي الاختلاف في وصل وإرسال الحديث بعد أن أخرجه من طريق الوليد، ومن طريق زائدة عن سماك بنحوه، قال: «حديث ابن عباس فيه اختلاف، وروى سفيان الثوري وغيره عن سماك عن عكرمة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلًا، وأكثر أصحاب سماك رووا عن سماك عن عكرمة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلًا» [(٢)].

ومع ذلك فقد رجَّح ابن الجوزي صحة رواية الوصل عن سماك، لاتفاق ثلاثة رواة عنه، فأما زائدة فهو ثقة، وأما حازم بن إبراهيم فقد ذكره البخاري في التاريخ الكبير، ولم يقل فيه شيئًا.

قال: «حازم بن ابراهيم البجلي، سمع سماكًا، سمع منه سلم بن قتيبة، ومسلم، وبكر بن بكار، وقال نصر بن علي: هو كوفي، روى عنه أبي».

وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن عدي: «أرجو أنه لا بأس به» [(٣)].

---

(١) انظر: التحقيق في أحاديث الخِلاف (٢/٧٧).

(٢) انظر: جامع الترمذي (رقم: ٦٩١).

(٣) انظر: التاريخ الكبير: البخاري (٣/١٠٩) والجرح والتعديل: ابن أبي حاتم (٣/٩).

وابن الجوزي يعتبر بحديث الضعيف لتقوية رواية الثقة، فقد أثبت صحة حديث رواه معلى بن منصور قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري أخبره حميد بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول: «أتى رجلٌ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال هلكتُ وأهلكتُ، قال: ما أهلكك؟ قال: وقعت على أهلي...».

قال ابن الجوزي: «فإن قالوا: قد قال ابو سليمان الخطابي: المعلى بن منصور ليس بذلك، قلنا: ما عرفنا أحدًا طعن في المعلى، ثم قد روي لنا من طريق آخر. أنبأنا مُحَمَّد بن ناصر قال: أنبأنا أبو غالب مُحَمَّد بن حسن الباقلاوي قال: أنبأنا أبو بكر البرقاني قال: حدثنا الدارقطني قال: حدثنا النيسابوري حدثنا مُحَمَّد بن عزيز قال: حدثني سلامة بن روح عن عُقيل عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: «بينا أنا جالس عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءه رجل فقال: هلكتُ وأهلكتُ..، فذكر الحديث، إلا أن سلامة فيه ضعف»» [1].

فحديث معلى صحيح عنده، لكن استظهر بمتابعة سلامة له متابعة قاصرة لبيان عدم تفرده بالحديث، ولرد كلام الخطابي في تضعيفه، رغم أنه ضعيف كما أشار إلى ذلك، قال فيه أبو حاتم: «ليس بالقوي، محلُّه عندي محل الغفلة».

---

(١) انظر: التحقيق في أحاديث الخِلاف (٢/٨٥).

وسأل ابن أبي حاتم عنه أبا زرعة فقال: «ضعيف منكر الحديث، قال: قلت: يُكتب حديثه؟ قال: نعم، يُكتب على الاعتبار».

وفي الحديث علة أخرى، وهي عدم ثبوت سماعه من عقيل، ويحدث عنه من كتاب، حيث أخرج ابن أبي حاتم عن أحمد بن صالح قال: «سألتُ بأيلة عن سلامة ابن أخي عقيل غير واحد فأخبرني رجلٌ من ثقاتهم أن سلامة لم يسمع من عُقيل، وحديثه عن كتب عقيل، قال: وقال لي عنبسة مثل ذلك في سلامة».

وقال مُحَمَّد بن مسلم قال: «قال لي إسحاق بن إسماعيل: ما سمعتُ سلامة قط يقول: حدثنا عُقيل، إنما كان يقول: قال عقيل، فقلت: ما حال سلامة؟، فقال: الكتب التي يروي عن عقيل صِّحاح» [1].

فهذان المثلان يُبيِّنان احتجاج ابن الجوزي بحديث الضعيف إذا تابعه ثقة.

وابن الجوزي يردُّ الحديث إذا تعدَّدت طرقه وكان ضعفه شديدًا.

ودليل ذلك حُكمه على طرق حديث: «طلبُ العلم فريضة على كل مسلم »، فقد حَكم عليه بالضعف رغم تعدد طُرقه!.

فقد قال عن حديث علي، ففي طريقه الأول السمرقندي، يحدث بالمناكير، ومُحَمَّد ابن أيوب وجعفر بن مُحَمَّد هما في غاية الضعف، وفي الطريق

---

(١) انظر: الجرح والتعديل (٤/ ٣٠١).

الثاني الخوارزمي، قال الدارقطني: متروك، وفي الطريق الثالث عباد بن يعقوب، قال ابن حبان: يروي المناكير عن المشاهير، فاستحق الترك، وعيسى بن عبد الله ضعيف.

أما حديث ابن مسعود، ففيه عثمان بن عبد الرحمن، ولا يُحتج به، وهزيل غير معروف، ما يرويه غيره.

أما حديث ابن عمر، ففيه طريقه الأول مُحَمَّد بن عبد الملك، قال أحمد: قد رأيته، وكان يضع الحديث ويكذب، وقال ابن حبان: لا يحلُّ ذكره في الكتب إلا على جهة القدح فيه.

وفي الطريق الثاني: أحمد بن إبراهيم بن موسى، قال ابن حبان: يروي عن مالك ما لم يحدِّث به قط، وقال: وهذا الحديث لا أصل له من حديث ابن عمر، ولا من حديث نافع، ولا من حديث مالك.

وفي الطريق الثالث: مُحَمَّد بن أبي حميد، قال يحيى: ليس بشيء، وقال ابن حبان: لا يُحتج به.

وفي الطريق الرابع: ليث بن أبي سليم، قال أبو زرعة: لا أشتغل به، وقال ابن حبان: في آخر عمره قد اختلط، وكان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل، تركه ابن مهدي، ويحيى وأحمد.

وأما أحاديث ابن عباس، فعائذ بن أيوب مجهول، وعبد الله بن عبد العزيز، قال الجنيد: لا يساوي فلسًا.

وأما حديث جابر، ففيه مُحَمَّد بن عبد الملك، وعباس بن الوليد مطعون فيه.

وأما حديث أنس، ففي الطريق الأول المثنى بن دينار، قال العقيلي: في حديثه نظر.

ثم أورد ابن الجوزي طرق حديث أنس المتعدِّدة، وفيها متروك الحديث والمجهول والكذَّاب والضعيف [١].

ويميل ابن الجوزي أحيانًا إلى التشديد في التضعيف، فلا يُثبت حديثًا رواه ضعيف، ولو ورد من طرق صحيحة، إذا كان ضعفه غير محتمل، ومن ذلك رده لحديث رواه عبد الله بن المغيرة عن سفيان الثوري عن مُحَمَّد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النومُ أخو الموت، ولا ينامُ أهل الجنة».

فقد قال: «وقد روي بإسناد أصلح من هذا...أخرجه الحسين بن الوليد عن سفيان الثوري عن مُحَمَّد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله بنحوه. قال العقيلي: وابن المغيرة يُحدِّث بما لا أصل له» [٢].

---

(١) انظر: العلل المتناهية (١/٦٤–وما بعدها).

(٢) انظر: العلل المتناهية (٢/٩٣١).

والملاحظ على منهج ابن الجوزي الحديثي أنه يخالف كثيرًا أحكام المجرِّحين والمعدِّلين للرواة، فقد يضعِّف راويًا بجرح شديد، ويراه غيره غير ذلك، أو أنه يرى متن الحديث معارضًا لما هو أصح منه، بينما يرى غيره غير ذلك، أو أنه يرى متن الحديث معارضًا لما هو أصح منه، بينما يرى غيره إمكان الجمع بينهما.

وزبدة الكلام هنا أن الحديث الضعيف عند ابن الجوزي نوعان: نوع محتمل الضعف صالح للاعتبار والتقوية، والآخر شديد الضعف لا يُحتج به بحال، ولا يجوز الاعتبار به، وهو يضمُّ الحديث الموضوع والحديث المتفق على تركه، وهما القسمان: الخامس والسادس حسب تصنيفه.

وبهذا يتضح أن غرض تقوية الحديث الضعيف عند ابن الجوزي: الترجيح به عند اختلاف الثقات، كما عند الإمام أحمد والشيخين، أو الإحتجاج به فيما إذا لم يرد في الباب ما هو أثبتُ منه.

وقد دلَّ تصنيف ابن الجوزي للأحاديث أنه يدخل هذا النوع من الضعيف في قسم الحسن، الذي يحتج به. وأن الحديث الضعيف يتقوَّى بمثله، سواء بمتابعات أو شواهد، إذا كان ضعفه محتملًا، ويمنع ذلك إذا كان الضعف شديدًا [(١)].

***

---

(١) انظر: منهج تقوية الحديث بين المحدِّثين والفقهاء(١/٤٠٤).

المبحث السادس

أسباب رواية الموضوع في صيد الخاطر

ابن الجوزي حذَّر في كتابه الصيد من الحديث الموضوع، كما في الخاطرة رقم: (٣٦٢) عند قوله: «أما الصحيح والقصد منهم، فعلى غير الجادة في أكثر عملهم، قد وضعت لهم جماعة من المتقدمين كتبًا فيها دفائن قبيحة، وأحاديث غير صحيحة، ويأمرون بأشياء تُخالف الشريعة».

لكنه في ثنايا الكتاب اضطرب ونسي، أو وهم في رواية بعض الموضوعات.

النقد الذي يُلام بسببه ابن الجوزي، هو حشو كتابه صيد الخاطر، بسبع عشرة رواية لا يجوز الإستدلال بها في الكتب الشرعية إلا على وجه التنبيه والنصح.

فيُؤخذ على ابن الجوزي ورود ثمان روايات لا أصل لها، وروايتين موضوعتين، وسبع روايات إسرائيلية، ثبت بالنقد الحديثي أنها لا تصلح للرواية ولا الإستدلال.

أما المرويات التي لا أصل لها، فالمقصود بها: ما لا إسناد له، فلا يكون له معنى في شرع الله ودينه [(١)].

---

(١) انظر: تدريب الراوي (١/١٩٥).

أما الموضوع فيقصد به: ما لم يصدر من النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قولًا أو فعلًا أو تقريرًا، وأضيف إليه خطأً أو عمدًا أو جهلًا أو كيدًا [١].

وأما المرويات الإسرائيلية: فهي ما يُروى عن أهل الكتاب مما لم يثبت في ديننا بسند صحيح.

وباستقراء منهج ابن الجوزي في صيد الخاطر، تبيَّن لي أن سبب ورود المرويات المذكورة **يعود إلى أمرين**:

- **الأول**: نقله تلك المرويات عن مصادرها بدون تثبُّت.
- **الثاني**: تساهله برواية الضعيف جدًا ،وما لا أصل له في باب الوعظ.

ومدار هذين السببين يعود إلى: عدم تمحيص الرواية وتمييز حال رواتها، وعدم الحذر من الدِّس في المرويات، وهذا مما يُؤخذ على ابن الجوزي في كثير من مصنَّفاته.

ولهذا قال الذهبي رحمه الله تعالى: «هكذا هو له أوهام وألوان من ترك المراجعة، وأخذ العلم من صحف، وصنَّف شيئًا لو عاش عُمرًا ثانيًا، لما لحق أن يُحرِّره ويتقنه» [٢].

فالعتاب عليه هو كثرة الوهم مع كثرة الكتابة.

---

(١) انظر: فتح المغيث (١/٢٣٤) وتدريب الراوي (١/٢٣٤).

(٢) السِّير: (٢١/٣٧٨).

وقال ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) رحمه الله تعالى بعد أن ذكر حكاية عن ابن الجوزي: «دلَّت هذه القصة على أن ابن الجوزي حاطبُ ليل لا ينقدُ ما يُحدِّث به» ! [(١)].

والدليل على عدم عناية ابن الجوزي بضبط الإسناد ومراجعة الرواية، تأليفه لكتابين في الإسناد والرواية وهما: العِلل المتناهية والموضوعات، وقد وقع فيهما غلط كثير بسبب عدم المراجعة، وعدم التمييز لمسائل هذا العِلم.

ولهذا قال الكتاني (ت: ١٣٤٥هـ) رحمه الله تعالى: «من العجب أن ابن الجوزي أورد في كتابه العلل المتناهية كثيراً مما أورده في الموضوعات، كما أنه أورد في الموضوعات كثيراً من الأحاديث الواهية، مع أن موضوعهما مختلف، وذلك تناقض» [(٢)].

---

(١) انظر: لسان الميزان (٣/٨٤). وانظر: التنكيل للمعلمي (١/٢٢٩-وما بعدها) فقد أورد أمثلة عديدة على أوهامه في الحُكم على الرجال. قلت: حاطب ليل معناها عند المحدثين: من يجمع بين المرويات والآثار ولا يختبر صحتها وضعفها، لأنه لا مَلكة عنده للنقد والتمييز والسبر. والحكاية التي قصدها ابن حجر هي ما أورده ابن الجوزي أن ثمامة بن أشرس المعتزلي قُتل بين الصفا والمروة سنة ٢١٣هـ، مع أن الروايات تؤكد أنه كان شاهداً على قتل الواثق لأحمد بن نصر الخزاعي سنة ٢٣١هـ، فيكون الشاهدُ قُتل قبل مقتل المشهود عليه !.ولعل سبب وهم ابن الجوزي في هذه الحكاية هو اختلاف المؤرخين في سنة مقتل ثمامة. والله أعلم.

(٢) انظر: الرسالة المستطرفة (ص/١٥).

وقد نقد الذهبي طريقة ابن الجوزي في النظر إلى الأسانيد والمرويات في كتابه العِلل حين قال: «كتاب العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، ألَّفه ابن الجوزي بعد كتاب الموضوعات، فأتى فيه بموضوعات، وقليل حسان، كما أنه أتى في كتاب الموضوعات بيسير حسان»!.

وهناك أمثلة كثيرة جدًا تدلُّ على عدم تجويد ابن الجوزي ومراجعته لعلم الرواية، يمكن الرجوع إليها في تلخيص الذهبي للعِلل المتناهية، وكذلك في تلخيصه للموضوعات.

وهذه ثلاثة أمثلة مختارة تدلُّ على المقصود:

١-حديث سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبي عميرة: «اجعله هاديًا مهديًا». قال ابن الجوزي: مداره على مُحَمَّد بن إسحاق اللؤلؤي، ولم يكن ثقة. قال الذهبي: وهذا جهل منه، فإنما مُحَمَّد بن إسحاق هنا أبو بكر الصاغاني، ثقة. ثم إن الحديث رواه ابو مسهر، ومروان بن مُحَمَّد، والوليد، عن سعيد، هكذا.

ورواه عمر بن عبد الواحد، والوليد بن مسلم، عن سعيد، عن ربيعة، فقال: عن أبي إدريس، أنه سمع عبد الرحمن بن أبي عميرة، وهذا سند قوي.

وأخرج الترمذي بدون أبي إدريس، ثم أورده ابن الجوزي من طريق إسماعيل بن مُحَمَّد، حدثنا عباس بن مُحَمَّد، حدثنا أبو مسهر، وقال عقيبه: قال الدارقطني: إسماعيل بن مُحَمَّد كذاب.

قال الذهبي: وهذه بلية أخرى، فإن إسماعيل هنا هو الصفار، ثقة، والذي كذَّبه الدارقطني هو المزني، يروي عن أبي نعيم.

٢- قال ابن الجوزي: حدثنا ابن مهدي، حدثنا ابن مخلد، حدثنا أحمد بن الحجاج بن الصلت، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا خلف بن خليفة، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عمار، قال: «بينما النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راكب، إذ حانت منه التفاتة، فإذا هو بالعباس، فقال: إن الله فتح بي الأمر، وسيختمه بغلام من ولدك، يملؤها عدلًا كما مُلئت جورًا، وهو الذي يصلي بعيسى».

قال ابن الجوزي: لا بأس بإسناده.

قال الذهبي: بل هو باطل.

٣-روى عبد الله بن يحيى البرلسي، ثقة وغيره، حدثنا حيوة بن شريح، عن شرحبيل بن شريك، وربيعة بن سيف المعافري، عن الحبلي، عن عبد الله أنه رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابنته وهو في جنازة، فقال لها: «هل بلغتِ معهم الكدى؟، قالت لا، وكيف أبلغها وقد سمعتُ منك ما سمعت؟!، قال: والذي نفسي بيده، لو بلغتها معهم لما رأيتِ الجنة حتى يراها جدُّ أبيك».

ورواه أبو عبد الرحمن المدني، عن سعيد بن أبي أيوب، عن ربيعة، وهذا إسناد قوي، ومتن غريب.

قال ابن الجوزي: في طريقه الثاني مجاهيل، وهذا حديث لا يثبت.

قال الذهبي: بل هم ثقات.

والخلاصة مما تقدَّم حول مناقشات ابن الجوزي للمتون والمرويات والأسانيد، أنه يلتبس عليه الحُكم على الأحاديث بسبب عشرة أمور:

١-أن يكون السند ظاهر الصحة وفيه من لا يُعرف بالسماع ممن روى عنه.

٢-أن يكون الحديث مرسلًا من وجه رواه الثقات، ويسند من وجه ظاهره الصحة.

٣-أن يكون الحديث محفوظا عن صحابي ويروى من غيره لاختلاف بلاد رواته، كرواية المدنيين عن الكوفيين.

٤-أن يكون محفوظًا عن صحابي، فيروى عن تابعي يقع الوهم بالتصريح بما يقتضي صحته، بل ولا يكون معروفًا من جهته.

٥-أن يكون روي بالعنعنة، وسقط منه رجل دلَّ عليه طريق أخرى محفوظة.

٦-أن يختلف على رجل بالإسناد وغيره، ويكون المحفوظ عنه ما قابل الإسناد.

٧-الاختلاف على رجل في تسمية شيخه أو تجهيله.

٨-أن يكون الراوي عن شخص أدركه وسمع منه، ولكنه لم يسمع منه أحاديث معينة، فإذا رواها عنه بلا واسطة، فعلّتها أنه لم يسمعها منه.

٩-أن تكون طريقه معروفة يروي أحد رجالها حديثًا من غير تلك الطريق، فيقع من رواه من تلك الطريق بناءً على الجادة في الوهم.

١٠-أن يروي الحديث مرفوعاً من وجه، وموقوفاً من وجه آخر [1].

***

---

(١) انظر: تلخيص العِلل المتناهية للذهبي (١/٦٠، ٤٠، ١٥٠، ٣٠٠)، وتدريب الراوي (١/١٦١)، وآفة أصحاب الحديث في الرد على عبد المغيث(٤٠-وما بعدها)فقد درس فيه كثيراً من أحوال الرجال واحوال الأسانيد.

المبحث السابع
منهج ابن الجوزي في الإستدلال

استدل ابن الجوزي في صيد الخاطر بخمسة وسبعين ومائة آية كريمة، وبسبعة وثمانين ومائة حديث وأثر، وبأربعة عشر ومئة قول مأثور، وبمئتي حكاية وخبر، وبثلاثة ومائة بيت أو شطر بيت من الشعر.

والذي يهمنا هنا هو استدلاله بالحديث النبوي، وما يتصل بذلك من أخبار.

وهذه جداول ميسرة، تتيح تصور منهجه في طرق التحمُّل وعزو الأحاديث وأنواعها ومراتبها، ومواضع النقد التي ناقشها، وأنواع العِلل القادحة في الأحاديث:

جدول (١): طُرق التحمُّل في كتاب صيد الخاطر

الطريقة	أخبرنا	حدثنا	أنبأنا	سمعتُ	قرأتُ
الإحصائية	٢٧	٣٠	٢	٢٨	٥
النسبة	%٧,٢	%٨	%٠,٥٣	%٧,٤	%١,٣

جدول (٢): منهج ابن الجوزي في عزو الأحاديث في كتاب صيد الخاطر:

المنهج	رواية الحديث باللفظ	رواية الحديث بالمعنى	الرواية بصيغة التمريض
الإحصائية	١٠٠	١١٥	٢
النسبة	%٢٦,٧	%٧,٣	%٠,٥

جدول (٣): درجة الحديث ونوعه وعدد كل منهما في كتاب صيد الخاطر:

الحديث ونوعه	الصحيح	الحسن	الضعيف	الضعيف جدا	لا أصل له	الموضوع	الموقوف	الأخبار	الإسرائيليات
الإحصائية	١٣٥	١٥	٢٠	١٠	٨	٢	١٠	٢٠٠	٧
النسبة	٣٦٫٠%	٤٫٠%	٥٫٣%	٢٫٦%	٢٫١%	٠٫٥%	٢٫٦%	٥٣٫٤%	١٫٨%

جدول (٤): الكتب الحديثية التي نَقدها ابن الجوزي، أو نقد المشتغلين بها:

المنقود	مُسند أحمد	مستدرك الحاكم	جزء ابن عَرفة	الصحيحان	العِلل للخلال
الإحصائية	١	١	١	١	١

جدول (٥): أنواع العِلل القادحة في الأحاديث في صيد الخاطر وعددها:

الرقم	نوع العِلة القادحة
١-	وجود راوي في السند لا يُعرف بالسماع ممن رواه عنهم.
٢-	الاختلاف بين الرواة في الوصل والإرسال.
٣-	الاختلاف بين رواية الرفع والوقف.
٤-	ما روي من طريق مكذوب أو واهٍ.
٥-	ما روي من طريق فيه مجاهيل أو عن طريق العنعنة.

جدول (٦): الشيوخ والمشاهير الذين أسند إليهم ابن الجوزي في صيد الخاطر:

الرقم	اسم المسند إليه
١-	إبراهيم بن دينار أبو حكيم.
٢-	أحمد بن الحسن ابن البنا.
٣-	أبو الحسن البراندسي.
٤-	عبد الخالق بن أحمد بن عبد الصمد.
٥-	عبد الرحمن بن عيسى الفقيه.
٦-	عبد الرحمن بن مُحَمَّد القزاز.
٧-	عبد الوهاب ابن المبارك الأنماطي.
٨-	ابن عقيل الحنبلي.
٩-	مُحَمَّد بن عبد الباقي البطي.
١٠-	مُحَمَّد بن ناصر السلامي.
١١-	هبة الله بن مُحَمَّد ابن الحصين.
١٢-	موهوب بن أحمد الجواليقي.
١٣-	ابن هبيرة الوزير.

وبناءً على ما تقدَّم، وبتأمل الجداول الستة السابقة يتضح التالي:

١- اعتنى ابن الجوزي رحمه الله تعالى بمتون الأحاديث وكتابتها وتحرير معانيها في جميع مصنفاته، ومنها كتابه صيد الخاطر، وقد بلغت أحاديثه: (١٨٧)

حديثا وأثرًا. وقد فرّق هذه الأحاديث والآثار على جميع فصوله، وعددها (٣٧٤) فصلًا أو خاطرة.

وقد استعمل ابن الجوزي لسطور كتابه وصفين: الخواطر والفصول. فقد قال في خاطرة رقم:(٦٦): «لما أنهيتُ كتابة الفصل المتقدِّم هتف بي هاتف»[١].

ووصفه بالخواطر أو صيد الخاطر في قوله في الخاتمة: «بحمد الله تعالى قد نجز ما توخّاه الفِكر الفاتر، من تقيِّيد ما جَمعه القلم من صيد الخاطر» [٢].

ولم يعتن ابن الجوزي بالإسناد، لأن الكتاب ليس خاصًا بالمسانيد، بل كتاب وعظ وخواطر.

٢-ابن الجوزي روى المتواتر والآحاد، ويظهر من استقراء جميع خواطر كتابه أنه لا يفرِّق في العمل بين المتواتر والآحاد، وقد شنَّع على المعتزلة في قياسهم أفعال الله تعالى على أفعال البشر، ووبخهم وسفَّه آرائهم [٣].

٣-أكثر ابن الجوزي في صيد الخاطر من رواية الحديث الصحيح، وقد التزم فيه بشروط الصحيح: عدالة الرواة واتصال السند وضبط الراوي، وخلوه من العلة القادحة والشُّذوذ.

---

(١) انظر الخاطرة رقم (٦٦).

(٢) انظر: خاتمة كتاب صيد الخاطر.

(٣) انظر: صيد الخاطر (ص/٣٦).

وقد طبَّق ابن الجوزي القاعدة الحديثية وهي: لا يلزم من كون رجال السند من رجال الصحيح، أن يكون الحديث الوارد به صحيحًا، لاحتمال أن يكون فيه شذوذ أو علة.

ومثاله: إذا قيل هذا إسناد ضعيف فإنه لا يقتضي الحُكم للمتن بالضعف، لاحتمال مجيئه بإسناد آخر صحيح.

لكن ابن الجوزي أورد بعض الأحاديث القليلة التي لم يتصل سندها وخفَّت عدالة رواتها وضبطهم، ووقع في روايتهم شذوذ وعلة.

ففي بعض أحاديث صيد الخاطر، مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه، أو لجماعة من الثقات.

لكن ابن الجوزي تساهل في هذا الباب كما تساهل غيره في رواية الضعيف، وقد اجتهد في هذا لأن كتابه كتاب وعظ ورقائق.

ولسان حاله أنه يجوز رواية الضعيف مع وجوب الإعتقاد بعدم ثبوته عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن لهذا الحديث أصلًا في الأحاديث الصحيحة.

وهنا فائدة مهمة في تضعيف أحاديث صيد الخاطر وهي: أنه ينبغي عند الحُكم على الحديث الضعيف أن نقول: ضعيف بهذا الإسناد، ولا نقول متنه ضعيف بإطلاق، لأنه قد ترد أسانيد صحاح تؤكد متن الحديث الضعيف.

وقد أكثر ابن الجوزي من الأحاديث الحسنة، والأحاديث حسنة الإسناد.

فحَسنة الإسناد ما يحسُن إسناده لثقة رجاله دون المتن، لشذوذ أو علة، لكن لو اقتصر على ذلك حافظ معتمد ولم يذكر علة ولا قادحًا، فالأظهر حُسنه.

والحديث الحسن عند ابن الجوزي، ما رواه عدل خفيف الضبط بسند متصل، وخلا من الشذوذ والعلة القادحة.

ولعل ابن الجوزي اضطرب رأيه في بعض أسانيد رواة الاحاديث الضعيفة، بسبب أن الحديث الحسن والحسن لغيره والحسن لذاته، تتشابه مع الحديث الضعيف، ولأن مدار رواتها مختلف فيهم، ما بين موثق ومضعف، فبعض أهل العلم يجتهد وبعضهم ينقل حكم غيره من أهل الصنعة، وبعضهم يرجح. فلا يُجزم بحال الحديث فيها إلا من كان ضليعًا في باب العلل [(١)].

ولهذا فإن ابن الجوزي إذا دار الحديث عنده بين الصحة والحسن والضعف، فإنه يحكم عليه بالحسن. وكذلك إذا وثق البعض راويًا وضعفَّه آخرون، فالحديث عنده حسن.

والأمثلة على هذا كثيرة ومنها:

استشهاده بحديث: «استعينوا على قضاء حوائِجكم بالكتمان».

---

(١) انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي(١/٣٨)، ومحاسن الاصطلاح للبلقيني (ص/١٠٥)، وإرواء الغليل للألباني (٣/٣٦٣).

وقد أُخرج من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره، وإسناده تالف وباطل، تفرَّد به حلبس الكلابي من بعض طرقه، وهو في عداد المتروكين، قال عنه ابن عدي: منكر الحديث.

لذا استنكره الأئمة النقاد، فقد قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين: هذا موضوع. وكذلك قال الذهبيُّ في ميزان الاعتدال.

وقد تقرَّر عند بعض كبار المحدِّثين تضعيف هذا الحديث.

فقد ضعَّفه الحافظ ابن حجر والزرقاني والعجلوني وغيرهم.

ومعنى الحديث صحيح، وإن لم يصح سندًا. وإخفاء بعض الأمور الشخصية التي يُظن أن يلحق صاحبها إن أفصح عنها كيد أو ضرر: مطلب شرعي؛ لقول الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [سورة يوسف: ٥].

ولهذا أورد ابن الجوزي بعد الحديث السابق، حديثاً آخر بنفس المعنى، وهو: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد سفرًا ورَّى بغيره. وهذا الأثر في الصحيحين [1].

---

(١) أخرجه ابن عدي (٨٢٨) والعقيلي (٥٠٨)، والروياني في مسنده (١٤٤٩)، والطبراني في الصغير (١١٨٦) والأوسط (٢٤٥٥)، والكبير (٩٤/٢٠) في مسند الشاميين (٤٠٨) وابن جميع في معجمه (ص/٣٣) والقضاعي (٧٠٧) وأبو نعيم في الحلية (٢١٥) والبيهقي في الشُّعب (٦٦٥٥) والخرائطي في اعتلال القلوب (٦٦٥)، وروضة العقلاء (١٨٧)، كلهم من حديث معاذ بن جبل.
=

ومِثلُ حاله حديث: «الصُّبحة تمنع الرزق»، ففي رواته جرح وكلام، لكن حسَّنه المحدثون للمتابعات والشواهد، كحديث: «لا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته».

وقال البوصيري: سألتُ شيخنا أبا الفضل العراقي عن هذا الحديث، فقال إنه حسن. والحديث له شواهد من الكتاب والسُّنة.

٤- عند بعض العلماء وليس كلهم، أن الحديث الضعيف إذا تلقته الأمة بالقبول فإنه يُعمل به، حتى إنه ينزل منزلة المتواتر في أنه ينسخ المقطوع به، وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى في حديث: «لا وصية لوارث»[1]، إنه لا يُثبته أهل الحديث، ولكن العامة تلقته بالقبول وعملوا به حتى جعلوه ناسخًا لآية الوصية.

=

والحديث إسناده منقطع؛ خالد بن معدان لم يسمع من معاذ بن جبل، وسعيد بن سلام العطار، كذَّبه أحمد و غيره.

وانظر: الكامل في ضعفاء الرجال(٤٥٧/٦). وميزان الاعتدال (٢ / ١٤١)، وفتح المغيث (٩٧/١) وقواعد في علوم الحديث (ص/١٠٨).

وانظر: (المنتخب من علل الخلال – ٢٥) و(٢٢/٢). ولسان الميزان (٥٥/٤) والزرقاني في مختصر المقاصد (ص/٩٥)، والعجلوني في كشف الخفاء: (١٣٥/١) ومقدمة ابن الصلاح (ص/١٩)، وتدريب الراوي (١٥٩/١) وقد حسَّن إسناده الألباني في الصحيحة (٤٣٩/٣) من رواية سهل بن عبد الرحمن الجرجاني عن محمد بن مطرف عن محمد بن المنكدر عن عروة بن الزبير عن أبي هريرة مرفوعًا. وانظر: صيد الخاطر: خاطرة رقم: (١٨٦).

(١)أخرجه الترمذي بإسناد حسن.

والحديث الضعيف الموصوف رواته بسوء الحفظ ونحوه، إذا تعدَّدت طُرقه، ولو طريقًا واحدة، ارتقى بمجموع ذلك إلى درجة الحسن لغيره، وكان محتجًا به، وكذا إذا كان ضعفه لإرساله، زال ضعفه بمجيئه من وجه آخر.

أما الحديث الضعيف بسبب فسق الراوي أو كذبه، فلا يؤثر فيه موافقة غيره له، إذا كان الآخر مثله، لقوة الضعف وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته.

وهنا فائدة مهمة في بعض الأحاديث الضعيفة عند ابن الجوزي في صيد الخاطر: وهي أن الحديث المضعَّف يختلف عن الضعيف. فالمضعَّف هو الحديث الذي لم يُجمع على ضعفه، ففيه تضعيف لبعض العلماء في سنده أو متنه، وفيه تقوية من آخرين، ولكن التضعيف راجح لا مرجوح، أو أنه لم يكن ترجيح أحد القولين على الآخر، والمضعَّف من أعلى مراتب الضعيف.

فهذا من المخارج التي يمكن أن يقال إن ابن الجوزي تعذَّر بها لجواز رواية الضعيف في كتابه في مواضع معدودة.

٥- استدل ابن الجوزي بالمرسل في أربعة مواضع في كتابه، بعضها صرَّح بإرساله والبعض رفعه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إما وهمًا أو نسيانًا منه، أو اجتهادًا منه في الحُكم عليه.

مثل رواية: «البِرُّ لا يبلى والذنب لا يُنسى والديَّان لا ينام»[1].

---

(١) انظر: الخاطرة رقم (١٢) ومصَّنف عبد الرزاق (٢٠٢٦٢) وأحمد في الزهد (١٧٦) وابن أبي شيبة (٣٤٥٦٩).

ولا يخفى أن المرَسل على وجه العموم، ضعيف لأنه فقد الاتصال بالسند، فالمرسل هو الذي سقط من آخر إسناده زاوٍ من بعد التابعي، واحد أو أكثر.

وسُمِّي بذلك لأن المرسل أطلق الإسناد ولم يُقيِّده بجميع رواته الذين روى عنهم، فقد يكونوا أكثر من تابعي.

والمشهور عند العلماء أن مرسل الصحابي صحيح محتج به، أما مرسل التابعي فجمهور المحدِّثين والفقهاء والأصوليين حكموا بضعف حديثه، وأنه ليس بحجة.

٦-استدل ابن الجوزي في صيده بالمنقطع، وهو ما سقط من سنده راوٍ واحد فأكثر، لا على التوالي من أي موضع كان السقط.

والمنقطع لا يحتج به للجهالة بحال الراوي المحذوف من السند. وسبب ضعف المنقطع فقده الاتصال في السند.

ومن أمثلته في صيد الخاطر رواية: «لا خير في دينٍ ليس فيه ركوع ولا سجود» (١).

---

(١) انظر: الخاطرة رقم (٢٢٨) وسُنن أبي داود (٣٠٢٦) وفي سنده حماد بن سلمة عن حميد، عن الحسن البصري عن عثمان بن أبي العاص. وهذا سند ضعيف لأن الحسن لم يسمع من عثمان. انظر: التقريب (٥/٢٠).

٧-ورد في بعض أسانيد روايات ابن الجوزي تدليس من الرواة، ويقصد به اخفاء عيب إسناد الحديث، مما يجعل ظاهره حسنًا. وقد وقع التدليس في الإسناد، وهو أن يروي الراوي الحديث عمن عاصره ولم يلقه، أو عمن لقيه ولم يسمع منه بلفظ يوهم أنه سمع منه.

مثال ذلك في صيد الخاطر رواية: «إنه على عرشه هكذا» وهي جزء من خبر طويل أورده أبو داود في سُننه (٤٧٢٦) [١].

وسنده: مُحَمَّد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة وجبير بن مُحَمَّد عن أبيه عن جده.

وهذا إسناد ضعيف، وعِلته تدليس مُحَمَّد بن إسحاق، لأنه لم يصرّح بالتحديث، كما أفاده المنذري في تهذيب السُّنن (٧/٩٧).

٨-استدل ابن الجوزي ببعض الروايات المعضلة، وهي التي سقط من إسنادها راويان أو أكثر، كاستدلاله برواية: «كان لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ألف امرأة» [٢].

والروايات المعضلة ومثلها الإسرائيليات التي لم يثبت إسنادها، أو جاء إسنادها منقطعًا، فإنها في الغالب تَردُ في المصنفات للتسلية عند بعض الإخباريين، أو للعبرة أو للقصص الذي كان سائدًا في عصر الرواية أو بعده.

---

(١) انظر الخاطرة رقم (٦١).

(٢) انظر الخاطرة رقم: (٢٨).

ويكثر هذا عند صالح المري (ت: ١٩٧هـ) وابن أبي الدنيا (ت:٢٨١هـ) وابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، رحمهم الله تعالى.

٩-بعض المرويات المبهمة في صيد الخاطر، التي لم يُصحِّحها ولم يضعِّفها ابن الجوزي، يوردها بالمعنى من غير رفع، وهذا كثير جدًا في الكتاب، كقولٍ أو نقلٍ مأثور مثل: صدقة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بريرة، وضيق البلد بمواشي إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وضرب المثل بأهل بدر [١].

وهذا التساهل منه إما بسبب قصد مراجعتها لاحقًا أو ترخصًا منه برواية الحديث بالمعنى.

١٠-هناك روايات متعددة في صيد الخاطر أوردها ابن الجوزي وفي أسانيدها من هو متهم بالكذب، أو بالجهالة أو بالغفلة.

وقد أوردها بصيغة الإحتجاج بها أو السُّكوت عن حالها مما يدل على قبولها عِنده، وهذا خطأ شنيع، ولعله أراد مراجعتها لكن لم يساعده الحال على ذلك.

ويبدو أن ابن الجوزي خامسُ أربعة عُرفوا بالتساهل في التصحيح والتحسين، بدون سبر غور للمتون والأسانيد، وهم: الترمذي (ت:٢٧٩هـ) وابن حِبان (ت: ٣٥٤هـ) والحاكم (ت: ٤٠٥هـ) والسُّيوطي (ت:٩١١هـ)، رحمهم الله تعالى، وقد سبق إيراد الأمثلة والتعليل على ذلك.

---

(١) انظر: خواطر رقم (١٨٢، ١٨٣، ٢٩٠).

١١-نقد ابن الجوزي بعض الكتب الحديثية، أو بعض الكتب الشرعية المتصلة بعلم الحديث، وتعقَّب بعض أحكام الشيخين في البخاري ومسلم.

١٢-ابن الجوزي له نقود علمية في عِلم الحديث كما تقدَّم، وقد قال في الخاطرة رقم (١٤٠): «جرى بيني وبين أحد أصحاب الحديث كلامٌ في قول الإمام أحمد....».

ثم سرد بعض آراء اهل زمانه حول طُرق الاحاديث، وقال رأيه في المسألة.

وأهم هذه المسائل المثارة في كتابه الصيد:

أ- طرق الأحاديث وعددها:

أفاد ابن الجوزي في الخاطرة رقم (١٧٥) في تعقيبه على بعض أهل الحديث عند قولهم: «صح من الحديث عن رسول الله ﷺ سبع مئة ألف حديث»: أن المقصود الطرق وليس المتون.

وقد تعجَّب من غفلة الحاكم صاحب المستدرك عن هذا الأمر، كما هو مروي في كتابه: (المدخل إلى كتاب الإكليل).

والحاكم استدل على صحة قوله بأن أحاديث السُّنة أكثر من عشرة آلاف حديث، بأن الصحابة أربعة آلاف رجل صحبوه نيفاً وعشرين سنة، وقد حفظوا أقواله وأفعاله ونومه ويقظته وحركاته، سوى أحكام الشريعة، وأن جهابذة الحديث كانوا يملون سبعين ألف حديث من حفظهم.

وقد عقَّب ابن الجوزي على استدلال الحاكم بأن متون الأحاديث عند التحقيق والاختبار، لا تتجاوز أربعين ألف حديث في الغالب.

واستدل بدليل الاستقراء وهو أن الإمام أحمد رحمه الله تعالى طاف الدنيا مرتين حتى جمع مسنده، وأن منها عشرة آلاف حديث مكررة.

قلت: كلام ابن الجوزي صحيح في الجملة، لكن لا يمكن الجزم بعدد معين، وتحديد عدد محصور غير سديد، ولم يستوعب أحدٌ من العلماء الصحيح، ولكل عالم أو محدث شروطٌ في الاحاديث التي يخرجها أو التي يصنفها على الأبواب.

وفات ابن الجوزي في استدراكه على الحاكم القول بأن أحاديث الصحيحين بدون تكرار تناهز ثلاثة آلاف حديث، وهما أصح الكتب الحديثية.

والطرق والمتابعات والشواهد واختلاف الألفاظ والتقديم والتأخير في المرويات يصعب حصرها، وتجعل للحديث الواحد أسانيد ونظائر بالعشرات، أما عدد الأحاديث فيكون على التقريب وليس على الحصر، لأن الحصر متعذر.

والأكمل لطالب العلم والباحث عن الهدى، أن لا ينشغل بمثل هذه المسائل ، وأن لا يستغرق ذهنه في الخوض فيها [١].

ب- الإلزامات على البخاري:

أشار ابن الجوزي إلى هذه المسألة في الخاطرة رقم (١٧٥) ولم يُناقشها.

والإلزامات نوع من التصنيف يُقصد به إلزام مصنِّف بأحاديث تركها وهي على شرطه.

ومن أشهر الإلزامات: الزامات الدارقطني للشيخين بأحاديث على شرطهما ولم يخرجاها.

وقد تكون الإلزامات في الألفاظ أو في الأسانيد أو في ضبط الرواة.

والرواة الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أكثر من (٤٣٠) رجلًا، نقد الحفاظ منهم (٨٠) رجلًا عُدوا من الضعفاء، والذين انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري (٦٢٠) رجلًا، وقد نقد الحفاظ منهم (١٦٠) رجلًا وصفوهم بالضعف.

---

(١) انظر: النُّكت على ابن الصلاح (ص/٩٩٢)، وجامع العلوم والحِكم (ص/٩) ومناقب الشافعي للبيهقي (٩١٥/١) والتمهيد لابن عبد البر (٢٧٨/١) ومعرفة علوم الحديث للحاكم (ص/٦٠) ومقدِّمة ابن الصلاح (ص/١٢٠).

وقد بلغت الأحاديث المنتقدة على الصحيحين(٢١٠) حديثًا، اختص البخاري منها بأقل من (٨٠) حديثًا منفردًا، والباقي تخص مسلمًا.

أما ما شارك فيه البخاري مسلمًا من المنتقد فهو (١١٠) حديثًا [١].

ج- زيادة الثقة:

انتقد ابن الجوزي ترك البخاري ومسلم الرواية عن بعض الثقات بسبب مخالفتهم للرواية، وعدم المشاركة للثقة الآخر في رواية الحديث.

والصحيح أن تفرد الثقة لا يؤثر في صحة الحديث، لكن التزام الشيخين بشروط معينة جعلهم لا يروون عن كل ثقة.

والمقصود بهذا المصطلح: ما ينفرد به الثقة في رواية الحديث، من لفظة أو جُملة في السند أو المتن.

ففي المتن تكون بزيادة كلمة أو جُملة، وفي الإسناد برفع موقوف أو وصل مرسل.

ولكن المحدثين أفردوه بموضوع خاص اسمه المزيد «في متصل الأسانيد».

والزيادة في المتن مِن أهل الحديث الجهابذة مَن قبلها، ومنهم من ردَّها.

وجمهور المحدثين ذهبوا إلى قبول الزيادة في المتن مطلقًا.

---

(١) انظر: شروط الأئمة الخمسة للحازمي(ص/٩)، والإلزامات والتتبع للدارقطني (ص/٢٠- وما بعدها)، ومقدمة فتح الباري (١/٢٥-٤٠)، وسير أعلام النبلاء (٥٧٣/١٢)، وتوضيح الأفكار (٤٢/١).

وقد قسَّم ابن الصلاح الزيادة إلى ثلاثة أقسام: زيادة ليس فيها منافاة لما رواه الثقات، فهذه محلها القبول، لأنها كحديث تفرَّد برواية جُملته ثقة من الثقات، وزيادة منافية لما رواه الثقات فهذه حُكمها الترك كحُكم الحديث الشاذ.

وزيادة فيها نوع منافاة لما رواه الثقات أو الأوثق ولم يذكروها، وهذه مرتبة مترددة بين المرتبتين السابقتين.

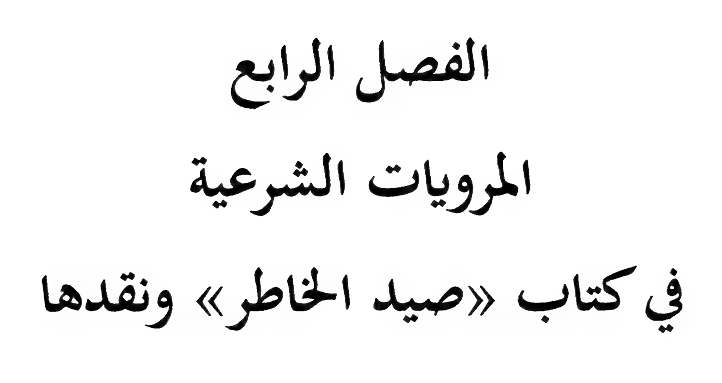
ويجب على المجتهد في حال الراوية التثبت من قبولها أو ردِّها بحسب القرائن التي يقف عليها.

أما الزيادة في الإسناد فهي إما تعارض الوصل مع الإرسال، أو تعارض الرفع مع الوقف.

ويجب على المجتهد التثبُّت من الوصل أو الرفع او الإرسال أو الوقف بحسب حال الراوي وضبطه، وبحسب النظر في سِلسلة الإسناد [1].

***

(١) انظر: مقدِّمة ابن الصلاح (ص/٢٥٠)، ومعرفة علوم الحديث للنيسابوري (ص/١٦٢)، والكفاية للبغدادي، (ص/٤٢٣)، وفتح المغيث للسخاوي (١/١٩٩).



الفصل الرابع
المرويات الشرعية
في كتاب «صيد الخاطر» ونقدها

الفصل الرابع

المرويات الشرعية في كتاب «صيد الخاطر» ونقدها

ويشتمل على المباحث التالية:

- **المبحث الأول**: موضوعات المرويات الشرعية الواردة في كتاب «صيد الخاطر».
- **المبحث الثاني**: استدراكات ابن الجوزي وتعقباته في «صيد الخاطر».
- **المبحث الثالث**: نقد المرويات الواردة في كتاب «صيد الخاطر».



توطئة:

في هذا الفصل سنتعرف على أهم المسائل المتعلقة بالمرويات الشرعية التي نشرها ابن الجوزي في كتابه «صيد الخاطر»، وهذه المسائل المهمة هي: موضوعات المرويات، وأساليب الإفادة من المرويات، ونقد المرويات. فالمرويات في هذا الفصل هي: موضوع المناقشة وقاعدة النقد والتصنيف. وقد ذكرتُ في الفصول المتقدمة أن ابن الجوزي أفاد من مروياته التي حفظها في صغره أو تلقاها عن مشايخه أو نقلها من مصادره، وقد ظهرت هذه الإفادة في ثلاثة أرباع الكتاب تقريبًا من خلال نقوله واقتباساته وتدويناته[1]، وقد يرد سؤال مهم هنا، وهو هل أسرف ابن الجوزي في نقل المرويات والإفادة منها؟.

والإجابة عن هذا السؤال سوف تتجلى واضحة من خلال المباحث التالية:

---

(١) لابن الجوزي اعتناء بالمرويات سندًا ومتنًا، وقد لاحظتُ ذلك من خلال دراسة كتاب «صيد الخاطر» ،ومن خلال الاطلاع على بعض مصنفاته، لكن ابن الجوزي لم يكن له منهج أغلبي في سبر المرويات ونقدها، فهو يميل تارة إلى التوثيق، وتارة إلى سرد المرويات بغض النظر عن صحة إسنادها، وتارة يورد أخبارًا بصيغة التمريض، وتارة يعتني بالتخريج، وتارة ينقد المرويات ويمحصها، وتارة يذكر تقعيدًا للأحاديث، وتارة ينبه على فقه المرويات، وتارة يذكر علل المرويات.وتارة يهمل ذلك كله. انظر الخواطر: (١٨، ٢٠، ٦٦، ١١٢، ٢١٩، ١٢٩، ٢٣٠، ٢١٥، ٣٣٧).

المبحث الأول
موضوعات المرويات الشرعية الواردة في كتاب «صيد الخاطر»

من خلال قراءاتي المتكررة للكتاب تبيَّن لي أن ابن الجوزي قد استوعب في كتابه أربعة موضوعات مهمة بنى عليها كتابه كله، **وهي**:

أولًا: وجوب الإيمان بالله تعالى ومعرفة الأسباب الجالبة له.

ثانيًا: ضرورة مجاهدة النفس وإصلاح عيوبها ونقائصها.

ثالثًا: بيان أنواع القلوب وحال كل قلب منها.

رابعًا: وجوب الاعتبار بالأمم والأعلام.

وقد حشد أبو الفرج مروياته المتعددة لتوضيح مسائلها وبيان أدلتها ومعانيها وآثارها، ويلاحظ أن ابن الجوزي في خواطره يستطرد في تناول موضوعاته، ويعود سبب ذلك إلى تقارب المعاني التي يوردها في الموضوع الواحد. ولاشك أن موضوع الكتاب الرئيس الذي عقد المصنف خواطره وسوانحه من أجله، حتَّم هذا المنهج في التناول والأسلوب. ففي كثير من الخواطر تجد أن ابن الجوزي يعقد فصلًا عن علو الهمة -وهي إحدى موضوعات مجاهدة النفس-، ثم يعقب ذلك عن الحديث عن الزواج وأخبار النساء وذكر الأماني والآمال وعادة خضب الشيب، ووجوب التلطف مع النفس أحيانًا. ولهذا قال في بعض سوانحه وتأملاته: «لابد من مغالطة تجري

ليتم العيش، ولو عمل العامل بمقتضي قصر الأمل، ما كُتب العلم ولا صنِّف. فافهم هذا الفصل مع الذي تقدمه، فإن الأول في مقام العزيمة، وهذا في مكان الرخصة ولابد للتعب من راحة وإعانة»[١].

وقد رأيتُ بعض المعتنين بتهذيب وتحقيق كتاب «صيد الخاطر»، يصنِّفون موضوعات الكتاب على الأبواب التالية:

١- المواعظ والإرشادات. ٢- أحوال الإنسان وأعماله.

٣- أحوال المتصوفة والزهاد. ٤- النفس الإنسانية.

٥- فوائد النكاح. ٦- الشهوات والهوى.

٧- سنن الله تعالى. ٨- العلم وفتنة المعرفة.

٩- صحة البدن. ١٠- شبهات ومنكرات.

١١- حقائق الدين. ١٢- ذم البخل[٢].

وبعضهم جعلها على الأبواب التالية:

١- التوحيد. ٢- الإيمان بالله تعالى.

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٧١).

(٢) المرجع نفسه (طبعة يوسف على بديوي / دار اليمامة). وانظر كتاب: الترتيب الزاهر لكتاب صيد الخاطر، لحسين الصادق، فقد رتب الكتاب بجمع نظائره كل قسم على حِده. وتحقيقه جيد ومفيد.

٣- النفس وأحوالها. ٤- أحوال المجتمعات.

٥- أهمية الوقت. ٦- بدع الصوفية[١]

ونحو ذلك من الموضوعات العامة التي تعرَّض لها ابن الجوزي في كتابه. وفي رأيي الشخصي أن هذا التقسيم محل اجتهاد ونظر ،ولم يُرده المؤلف في تصنيفه، ولم يُشر إليه. وجميع التبويبات التي تُدرج في آخر طبعات «صيد الخاطر» ليست من وضع ابن الجوزي ولا من صنيعه، وقد أشرتُ إلى ذلك عند الحديث عن طبعات «صيد الخاطر». فالمؤلف ابن الجوزي لم يرتِّب كتابه، ولم يُبوبه، ولا عنون الفصول فيه.

بل عقد (٣٧٢) فصلًا نثر فيها خواطره وسوانحه وتأملاته مراعيًا المواضيع الأربعة الرئيسة التي أشرتُ إليهًا آنفًا وهي:

١- وجوب الإيمان بالله تعالى، ومعرفة الأسباب الجالبة لذلك.

٢- ضرورة مجاهدة النفس وإصلاح عيوبها ونقائصها.

٣- بيان أنواع القلوب وحال كل قلب منها.

٤- وجوب الاعتبار بالأمم والأعلام.

---

(١) ينظر مقدمة طبعة الشيخ (علي الطنطاوي - طبعة دار القلم).

وقد وقفتُ على كتاب بعنوان «المقتنى العاطر من صيد الخاطر» لمحمود مُحَمَّد الحداد المصري، نشرته مكتبة آل ياسر في الجيزة- طُبعت الطبعة الأولى سنة ١٤١٣هـ .ويقع الكتاب في (٢٢٦) صفحة من القطع المتوسط. وهذا الكتاب تهذيب وتقريب واختصار لـ«صيد الخاطر»، فقد قام مصِّنفه بحذف كثير من آراء وخواطر وسوانح ابن الجوزي التي رآها تخالف منهجه ومذهبه، واحتج بأن ابن الجوزي مبتدع، فيه تجهم، وأنه صوفي وقبوري، وأنه يطعن في بعض عباراته في المحدثين!.

وهذه المزاعم -وإن كان في بعضها جزء من الحقيقة- ليست حجة للمهذِّب، لحذف نصف صفحات كتاب «صيد الخاطر». ومآخذ المهذِّب يمكن الرد عليها في حواشي الكتاب، حفظًا للأمانة العلمية وتوثيقًا لكلام المصنِّف.

وقد قِّسم المهذِّب كتاب «صيد الخاطر» -بعد اختصاره- على الموضوعات التالية:

١- كتاب الأدب.
٢- كتاب الزهد والرقائق.
٣- كتاب أصول الفقه.
٤- كتاب السُّنة.
٥- كتاب الإمارة.
٦- كتاب الطب.
٧- كتاب الأموال.
٨- كتاب العلم.

٩- كتاب التفسير. ١٠- كتاب العيد.

١١- كتاب الجنائز. ١٢- كتاب القضاء.

١٣- كتاب الجهاد. ١٤- كتاب اللغة.

١٥- كتاب الحديث. ١٦- كتاب النكاح.

١٧- كتاب الدعوات والأذكار.

وهذا التقسيم الذي وضعه المهذِّب فيه فوائد، لكنه مخلٌّ وفيه تجنٍّ على ابن الجوزي، والذي تحدِّث في الكتاب عن توحيد الله تعالى، ووجوب الإيمان بالله تعالي، وعن سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن قصص الصحابة والتابعين، وعن سيرة الأنبياء والمرسلين–عليهم الصلاة والسلام–، وعن شيوخ ابن الجوزي وأخبارهم وعلومهم، فلماذا لم يُشر المهذب لهذه الموضوعات في كتابه؟، ولماذا تعمَّد حذفها؟ .

وفيما يتعلق بفوائد كتاب «صيد الخاطر» التفصيلية التي يُوردها أبو الفرج في ثنايا خواطره، فتعدُّ من الفرائد التي ينبغي على كل موفق أن يغتنم ما فيها من علوم وتقييدات، قد لا يظفر بها في كتابٍ آخر.

وقد تبيَّن لي بالاستقراء أن ابن الجوزي أورد (٩٦) خاطرة في خواطر كتابه ،بلا استدلال من نصوص الوحيين وأقوال الصحابة والتابعين والأخبار وأمثلة العرب والشواهد الشعرية، وهذه أرقامها للفائدة:

«٢، ٣، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١٦، ١٧، ٢٢، ٢٧، ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥٧، ٥٦، ٦٤، ٧٣، ٧٦، ٨٢، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ١٠١، ١٠٤، ١٠٥، ١١١، ١١٤، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٢، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٣، ١٧٤، ١٧٧، ١٨١، ١٨٨، ١٩٩، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٠٨، ١٠٩، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣١٠، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٧، ٣٤٨».

وهذا يعنى أن ربع خواطر المصنِّف في صيد الخاطر خالية من الاستدلال. وقد أمعنتُ النظر في هذه الخواطر، فوجدتُ ابن الجوزي يوردها مع استعمال القياس والتشبيه والمقارنة بين الأضداد. ويمكن مراجعة الخواطر المبينة أرقامها أعلاه للوقوف على هذه الفائدة.

وقد يُستنبط مما ذكر أن ابن الجوزي كانت له ثقافة أصولية جدلية، ومما يُقوِّي هذا الرأي وجود مصنفات لابن الجوزي في الأصول والجدل، وهي «المعتمد في الأصول» و«لهنة العجل في الجدل» و«معتصر المختصر في مسائل النظر». وعند مراجعة بعض آراء ابن الجوزي في باب المعتقد والسلوك يتضح تأثره بالثقافة الأصولية والجدلية[1].

---

(١) عقد ابن الجوزي في الخاطرة رقم (١٢٣) مقالة مهمة عن خطر الجدل في علم الكلام على العامة وذكر فيه فوائد نفيسة تدل على براعته في أصول هذا العلم.

وقد وضحتُ هذه القضية في مبحث المخالفات الشرعية التي نُوقش فيها ابن الجوزي في الفصل الخامس من هذه الكتاب.

وابن الجوزي دقيق في حجم خواطره، فهي وسط بين الإخلال والإملال، لكنه في الغالب يُراعي في كتابه ما يريد حسب طول وقِصر الورق الذي بين يديه، وهذا يتضح في تكرار كثير من مواضيعه. وتعد الخاطرة رقم (٧) أقصر خاطرة كتبها ابن الجوزي، إذ لم تتجاوز السطرين وموضوعها «علو الهمة» وقد كررَّها لاحقًا في مواطن متعددة.

وتعدُّ الخاطرتين رقم (١٩) و(٧١) أطول ما دوَّنه ابن الجوزي في كتابه، فقد كان موضوع الأولى «الرد علي الصوفية». وقد جاءت في المطبوعة في إحدى عشرة صفحة. وكان موضوع الثانية «توحيد الأسماء والصفات»، وقد جاءت في المطبوعة في ثمان صفحات تقريبًا.

وإذا كان كتاب «صيد الخاطر» لابن الجوزي من كتب الوعظ والرقائق المعتمدة عند العلماء، وأن ابن الجوزي لم يلزم نفسه فيه بالكتابة عن موضوع واحد بعينه، فلا ريب أن المصنِّف كان يشتغل بالكتابة فيه في أوقات راحته التي يتصيد فيها دقائق الخواطر والسوانح، وجواهر الفرائد والشوارد، ولهذا السبب يلحظ القارئ اعتداد ابن الجوزي بنفسه وعلمه وشيوخه وقراءاته. وليس ببعيد أن يكون ابن الجوزي قد جعل كتابه خواطر ينطلق منها في وعظه على المنبر ، عند طلابه ومحبيه وأقرانه وشيوخه.

❖❖❖

المبحث الثاني

استدراكات ابن الجوزي وتعقباته في «صيد الخاطر»

لابن الجوزي استدراكات وتعقبات مهمة، ونستطيع من خلالها الوقوف على شخصية المؤلف في كتابه «صيد الخاطر». **وتُعدُّ تلك الاستدراكات والتعقبات مهمة لسببين:**

الأول: لمعرفة كيفية نظر ابن الجوزي وفهمه للمرويات الشرعية.

الثاني: لمعرفة مقاييس ابن الجوزي للمرويات الشرعية.

وقد جاءت استدراكات ابن الجوزي في «صيد الخاطر» في ستة مطالب.

المطلب الأول: استدراكاته في التفسير.

المطلب الثاني: استدراكاته في السُّنة وعلومها.

المطلب الثالث: استدراكاته العقدية على أهل المذاهب والطوائف والأديان.

المطلب الرابع: استدراكاته على الوعاظ.

المطلب الخامس: استدراكاته على تراجم الأعلام.

المطلب السادس: استدراكاته على مصنفات العلماء.

❖❖❖

المطلب الأول
استدراكاته في التفسير

الآيات التي أوردها ابن الجوزي في كتاب «صيد الخاطر»، هي (١٨٩) آية. الغالب في سياقها الاستدلال بها على المعاني والأمثلة المضروبة. وابن الجوزي ماهر في استلال الآيات المناسبة لمعانيه. مع حسن العرض والبيان، ولا غرو في ذلك فالرجل مفسِّر ضليع. ويعدُّ كتابه «زاد المسير» من أجود التفاسير المطبوعة. وقد وقفتُ على مواضع في كتاب «صيد الخاطر» تعقَّب فيها ابن الجوزي، بعض الآراء المخالفة لمنهجه في التفسير.

وإليك بيانها مع الأمثلة:

الموضع الأول: قول الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾[1] في الخاطرة رقم (٢٦) وتعقَّب فيها من قال: إن معنى ﴿وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ يطيعونه وبين أن محبة الحِس لا تتعدَّى الصور الذاتية، وأن محبة العلم والعمل ترى الصور المعنوية فتحبها.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٤).قلت: الحب والمحبة صفة فعلية ثابتة لله تعالى، لا يجوز تأويلها أو تحريف معناها. انظر: فتاوى ابن تيمية (٣٥٤/٢).

الموضع الثاني: قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾[1] في الخاطرة رقم (٦٩) وتعقَّب فيها شيخ القراء ابن مقسَم (ت: ٣٥٤هـ) حين أجاز القرآءة بلفظ (نجباء). وقال معقبًا على هذه القرآءة:«وهذا سوءُ فهم للقصة».

الموضع الثالث: قول الله تعالى: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ في الخاطرة رقم (٧١). تعقَّب فيها أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا لله تعالى صفة «القيومية» ،فقال سامحه الله: اختلف قولهم: هل يطلق على الله عَزَّوَجَلَّ أنه جالس أو قائم؛ كقوله تعالى: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[2] ،وهؤلاء أخسُّ فهما ًمن جحا؛ لأن الآية لا يراد بها القيام، وإنما هو كما يقال: «الأمير قائم بالعدل» وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة-إن شاء الله تعالى- في المطلب الثالث: المخالفات الشرعية في كتاب «صيد الخاطر» من الفصل الخامس من هذه الكتاب.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٨٠).وردت اللفظة في النسخ المطبوعة (نُجيًّا)، ووردت في بعض نسخ المخطوطة ((نجباء) و(نجيًا). ووردت اللفظة (نجباء)في معجم الادباء(٦/٢٥٠٣) .

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٨).قلت: القيوم والقائم صفة ذاتية لله تعالى، لا يجوز تأويلها أو تحريفها عن معناها. انظر شرح النووي على مسلم (٣/٢٠٠)، وشرح النونية لابن القيم (٣/٧٣٠). ويبدو أن ابن الجوزي يريد تأكيد المعنى اللغوي للقيام، لكنه بالغ فلم يثُبت المعنى الشرعي الوارد في تفاسير أهل السُّنة. وهذه زلة منه فتحت أبوابًا من الشر لا زالت مشرعة!.

الموضع الرابع: قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ﴾[١]، في الخاطرة رقم (٧١) ،تعقَّب فيها أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا لله تعالى صفة «الإتيان» لله حقيقة ،على ظاهرها اللائق به سبحانه.

الموضع الخامس: قول الله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[٢] في الخاطرة رقم (٣٥٣) تعقَّب فيها بعض المفسرين الذين حملوا معنى الآية على من مات مصرًا ولم يتب. واختار هو أن الآية على إطلاقها والعلم عند الله تعالى.

❁❁❁

(١) سورة البقرة: (الآية ٢١٠).

(٢) سورة النساء: (الآية ١٢٣).

المطلب الثاني
استدراكاته في السُّنة وعلومها

الأحاديث المرفوعة التي أوردها ابن الجوزي في كتاب «صيد الخاطر» هي (١٧١) حديثًا، أما أقوال الصحابة فهي (٢٠) قولًا، وأقوال التابعين (١٥) قولًا، وقد بلغت الأخبار (٣٠) خبرًا ،والحكايات (٥٠) حكاية.

ويُلاحظ أن ابن الجوزي لا يدقِّق ولا يحقِّق في المرويات المرفوعة والموقوفة، لكنه يعتني بالمعاني الدقيقة المستنبطة منها. وقد وقفتُ على مواضع استدرك فيها على العلماء وتعقَّبهم في مسائِل في الأحاديث وفِقهها.

الموضع الأول: حديث كعب بن مالك مرفوعًا: «أن أرواح الشُّهداء في حواصلِ طيرٍ خُضر، تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة»[1] في الخاطرة رقم (٢٠).

قال: «وقد أخذ بعضُ الجهلة بظواهر أحاديث النعيم، فقال: إن الموتى يأكلون في القبور ويتناكحون، والصواب من ذلك أن النفس تخرج بعد الموت إلى نعيم أو عذاب، وأنها تجد ذلك إلى يوم القيامة. فإذا كانت القيامة، أعيدت إلى الجسد ليتكامل لها التنعم بالوسائط».

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه»: (كتاب فضائل الجهاد - باب ما جاء في ثواب الشهداء - حديث رقم ١٦٤١، من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده صحيح.

الموضع الثاني: قال في الخاطرة رقم (١٩) في التعليق على أحاديث التقلل من الطعام والشراب «ولا يهولنك ما تسمعه من الأحاديث التي تحث على الجوع، فإن المراد بها: إما الحث على الصوم، وإما النهي عن مقاومة الشبع، فأما تنقيص المطعم على الدوام. فمؤثر في القوى، فلا يجوز».

الموضع الثالث: قال في الخاطرة رقم (٧١) في التعليق على حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إن الله خلق آدم على صورته»[(١)] ،في الرد على المشبهه: قالوا: «نُطلق على الله تعالى اسم الصورة، وفهموا هذا من الحديث، إذا ضرب أحدكم، فليجتنب الوجه، ولا يقل: قبح الله وجهك، ولا وجهًا أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته»[(٢)].

فلو كان المراد به الله عَزَّوَجَلَّ، لكان وجه الله سبحانه يُشبه وجه هذا المخاصِم؛ لأن الحديث كذا جاء ولا وجهًا أشبه وجهك.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (كتاب الاستئذان - باب بدء السلام - حديث رقم ٦٢٢٧، و(كتاب الأنبياء - باب خلق آدم - حديث رقم ٣٣٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (كتاب العتق - باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه - حديث رقم ٢٥٥٩)، وأخرجه مسلم في «صحيحه»: (كتاب البر والصلة والآداب - باب النهي عن ضرب الوجه - رقم الحديث ١١٥، واللفظ انفرد به مسلم في سياق النهي عن ضرب الوجه). قلت: الصورة صفة ذاتية ثابتة لله تعالى، لحديث: «فيأتيهم الجبارُ في صورته»: متفق عليه . وانظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى الفراء (١/١٢٦) ففيه تحرير مهم للمسألة.

الموضـــع الرابـــع: قـــال في الخـاطرة رقـم (٧١) في التعليـــق علـــى حـــديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًـا: «إن الله لا يمل حتى تملوا»[1] ،في الرد على المشبِّهة: «قـالوا: يجوز أن الله يوصـف بالملل، فجهلـوا اللغـة، ومـا علمـوا أنـه لـو كـانـت (حتى) هنا للغاية، لم تكن بمدح، لأنه إذا ملّ حين يملّ، فأيُّ مدح، وإنما هو كقول الشاعر:

جلبت مني هُذيل بخرق ... لا يملُّ الشر حتى يملوا

و المعنى: لا يملُّ وإن ملوا».

الموضع الخامس: قال في الخاطرة رقم (٢١٩) في تقويم مسند الإمام أحمد: «قد سألني بعضُ أصحاب الحديث، هل في مسند أحمد ما ليس بصحيح؟ فقلت: نعم: والإمام أحمد روى المشهور والجيد والرديء، ثم هو قد رد كثيراً مما روى، ولم يقبل به، ولم يجعله مذهبًا له».

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (كتاب الإيمان – باب أحب الدين إلى الله أدومه – حديث رقم ٤٣، ومسلم في «صحيحه»: (كتاب صلاة المسافرين – باب فضيلة العمل الدائم – حديث رقم ٧٨٥).قلت: الملل يوصف الله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه. من غير تأويل، وهي صفة لا نقـص فيهـا، إن وصـف الله تعـالى بهـا. انظـر: إبطـال التـأويلات لأبي يعلـى الفراء(٣٦٩/١).وفتاوى محمَّد بن إبراهيم (٢٠٩/١) .

وقال: «فعظُم ذلك على جماعة ينُسبون إلى المذهب. فحملتُ أمرهم على أنهم عوام، وأهملت فكر ذلك. وإذا بهم قد كتبوا فتاوى يعظِّمون هذا القول، ويردونه ويقبِّحون قول من قاله»[١].

الموضع السادس: قال في الخاطرة رقم (٢١٨) في التعليق على أحاديث الزهد: «إذا وفق الزاهد والواعظ لم يذكرا إلا ما شهدا بصحته، وإن حُرما التوفيق، عمل الزاهد بكل حديث سمعه، لحسن ظنه بالرواة، وقال الواعظ كل شيء يراه الجهلة بالتصحيح، ففسدت أحوال الزاهد، وانحرف عن جادة الهدى، وهو لا يعلم، وكيف لا، وعموم الأحاديث الدالة على الزهد لا تثبت».

الموضع السابع: قال في الخاطرة رقم (١٧٥) في التعليق على فقه البخاري ومسلم: «إن البخاري ومسلماً تركا أحاديث أقوام ثقات، لأنهم خولفوا في الحديث، فنقص الأكثرون من الحديث وزادوا. ولو كان ثمَّ فقه، لعلموا أن الزيادة من الثقة مقبولة، وتركوا أحاديث أقوام لأنهم انفردوا بالرواية عن شخص، ومعلومٌ أن انفراد الثقة لا عيب فيه، وتركوا من ذلك الغرائب، وكل ذلك سوء فهم»[٢].

❁❁❁

---

(١) انظر: القول المسدَّد في الذب عن مسند أحمد لابن حجر (ص١٠ وما بعدها. فقد تتبع أوهام ابن الجوزي في هذه المسألة وأجاب عنها بما لا مزيد عليه.

(٢) تقدَّم في المنهج الحديثي مناقشة هذه المسألة.

المطلب الثالث
استدراكاته العقدية على أهل المذاهب والطوائف والأديان

نقد ابن الجوزي أهل المذاهب والطوائف في مقالاتهم واعتقاداتهم وبيَّن أسباب الخطأ والانحراف بحسب ما وقف عليه من الأدلة والمقاييس.

وهذه أهمُّ استدراكاته العقدية في هذا المطلب:

الموضع الأول: قال في الخاطرة رقم (١١١) في الرد على علماء اليهود: «وقد علمنا أن خلقًا من علماء اليهود كانوا يحملون ثقل التعبد في دينهم، فلما جاء الإسلام، وعرفوا صحته، لم يطيقوا مقاومة أهوائهم في محو رئاستهم. وكذلك قيصر، فإنه عرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدليل، ثم لم يقدر على مقاومة هواه وترك ملكه».

الموضع الثاني: قال في الخاطرة رقم (٢٧٦) في حال اليهود والنصارى: «اليهود والنصارى بين عالم قد عرف صدق نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكنه يجحد إبقاء لرئاسته، فهذا معاند، وبين مقلد لا ينظر بعقله، فهذا مهمل، فهو يتعبد مع إهمال الأصل، وذاك لا ينفع، وبين ناظر منهم لا ينظر حق النظر، فيقول: في التوراة: أن ديننا لا ينسخ، ونسخ الشرائع لاختلاف الأزمنة حق، ولكنه يقول: النسخ بداء ولا ينظر في الفرق بينهما، فينبغي أن ينظر حق النظر».

الموضع الثالث: قال في الخاطرة رقم (٢٧٦) في حال الخوارج: «ومن هذا الجنس[1] تعبد الخوارج، مع اقتناعهم بعلمهم القاصر، وهو قولهم: لا حُكم إلا لله، ولم يفهموا أن التحكيم من حكم الله، فجعلوا قتال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتله مبنيًا على ظنهم الفاسد».

الموضع الرابع: قال في الخاطرة رقم (٧١) في بيان شبهة النصارى وتهافتها: «الآفة تدخل من المبتدعين في الدِّين أو الجهال. مثل ما أُثِر عند النصارى حين رأوا إحياء الموتى على يد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فتأملوا الفعل الخارق للعادة الذي لا يصلح للبشر، فنسبوا الفاعل إلى الإلهية ولو تأملوا ذاته، لعلموا أنها مركبة على النقائض والحاجات، وهذا القدر يكفي في عدم صلاح الهيئة، فيعلم حينئذ أن ما جرى على يديه فعل غيره. وقد يؤثر ذلك في الفروع، مثل ما روي أنه فرض على النصارى صوم شهر، فزادوا عشرين يومًا، ثم جعلوه في فصل من السَّنة بآرائهم».

---

(١) أي أنهم كحال اليهود والنصارى: بين عالم ومعاند ومقلد ومهمل. وانظر: الخوارج والرد عليهم لسليمان الغصن، فهو مهم ونافع في بابه . وللرد على شبهات اليهود والنصارى، انظر: تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل (ص/١٠٠- وما بعدها) لصالح الجعفري.

الموضع الخامس: قال في الخاطرة رقم (٢٧٤) في الرد على الفلاسفة: «ادَّعى الطبائعيون أن مادة الموجدات: الماء والتراب والنار والهواء، فإذا كان في القيامة، أذهب الأصول، ثم أعاد الحيوان، ليعلم أنها كانت بالقدرة، لا عن تأثير الكليات. أقول: من قدح في البعث فقد بالغ في القدح في الحكمة. ومن قال: «الروح عرض»، فقد جحد البعث؛ لأن العرض لا يبقى والأجساد تصير ترابًا، فإن وجد شيء فهو ابتداء خلق، كلا والله، بل يُعيد النفس بعينها روحًا وجسدًا، بدليل إعادة مذكوراتها».

الموضع السادس: قال في الخاطرة رقم (٧٢) في الرد على الزهاد والمتصوفة: «ولقد أدخل المتزهدون في الدِّين ما ينفِّر الناس، حتى إنهم يرون أفعالهم فيستبعدون الطريق وأكثر أدلة هذه الطريق القُصَّاص، فإن العامي إذا دخل مجلسهم وهو لا يحسن الوضوء كلَّموه بدقائق «الجنيد» وإشارات «الشبلي»، فرأى ذلك العامي أن الطريق الواضح لزوم زاوية، وترك الكسب للعائلة، ومناجاة الحق في خلوة على زعمه، مع كونه لا يعرف أركان الصلاة ولا أدّبه العلم، ولا قوّم أخلاقه شيء من مخالطة العلماء، فلا يستفيدُ من خلوته إلا كما يستفيد الحمارُ من الإصطبل».

الموضع السابع: قال في الخاطرة رقم (٢٣٧) في الرد على المعتزلة: «وإنما هلكت المعتزلة من هذا الفن[١] فإنهم قالوا: كيف يأمر بشيءٍ ويقضي بامتناعه؟ ،ولو أن إنسانًا دعانا إلى داره، ثم أقام من يصد الداخل لعيب».



(١) وهو قياس أفعال الله بأفعال المخلوق. وانظر في الرد على الصوفية والمعتزلة: تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص/٢٠٠- وما بعدها)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص/٢٠- وما بعدها)، وموقف المعتزلة من السُّنة ومواطن انحرافهم عنها، لأبي لبابة حسن(ص/٥٠- وما بعدها) .

المطلب الرابع
استدراكاته على الوعاظ

ابن الجوزي أستاذ في الوعظ والتذكير، قد وعظ الناس في صباه وشبابه وشيخوخته. تعلَّم فن الوعظ من شيوخه، وصقله بمواهبه وقدراته الذاتية. ومما أعانه على مهنته براعته في اللغة والبلاغة وحفظ نصوص الوحيين. ولهذا السبب أقبل على وعظه الناس من أمراء وعلماء وسوقه وبسطاء، فكانوا يُقدَّرون بالمئات. فاستدراكات الشيخ هنا مهمة، لأنه أمضى حوالي ستين سنة من عمره يعظ ويدِّرس ويُعلِّم ويخالط العوام والعلماء والأمراء. وقد وقفتُ على جملة مهمة من استدراكاته على الوعاظ، أسوق منها خمسة أمثلة:

الموضع الأول: قال في الخاطرة رقم (٦٠) عن منكرات الوعاظ: «تأملتُ أشياء تجري في مجالس الوعظ يعتقدها العوام والجهال قربة، وهي منكر وبُعد. وذاك أن المقرئ يطرب ويخرج الألحان إلى الغناء والواعظ ينشد بتطريب أشعار المجنون وليلى، فيصفِّق هذا ويخرق ثوب هذا!!، ويعتقدون أن ذلك قربة، ومعلوم أن هذه الألحان كالموسيقى توجب طربًا للنفس ونشوة، فالتعرض بما يوجب الفساد غلط عظيم، وينبغي الاحتساب على الوعاظ في هذا. وكذلك المقابريون منهم، فإنهم يهيِّجون الأحزان، ليكثر بكاء النساء، فيعطون على ذلك الأجرة، ولو أنهم أمروا بالصبر لم ترد النسوة ذلك ،وهذه أضداد للشرع».

وقال أيضًا- في الموضع نفسه-: «وفي الوعاظ من يتكلَّم على طريق المعرفة والمحبة، فترك الحائكِ والسُّوقي الذي لا يعرف فرائض تلك الصلاة يمزّق أثوابه، دعوى لمحبة الله تعالى».

وقال أيضًا «أحوج الناس إلى البلاغة الواعظ، ليجمع مطالبهم، لكنه ينبغي أن ينظر في اللازم الواجب، وأن يعطيهم من المباح في اللفظ قدر الملح في الطعام، ثم يجتذبهم إلى العزائم، ويعرفهم الطريق الحق».

وقال أيضًا: «اليوم كثر الإعراض عن العلم، فأنفع ما للعامي مجلس الوعظ، يرده عن ذنب ويحرِّكه إلى توبة، وإنما الخلل في القاصّ، فليتق الله عَزَّوَجَلَّ».

الموضع الخامس: قال في الخاطرة رقم (٢١٨) عن أدلة الوعاظ: «إذا وفق الزاهد والواعظ، لم يذكرا إلا ما شهدا بصحته، وإن حُرما التوفيق، عمل الزاهد بكل حديث يسمعه، لحسن ظنه بالرواة، وقال الواعظ كل شيء يراه، لجهله بالتصحيح، ففسدت أحوال الزاهد وانحرف عن جادة الهدى وهو لا يعلم، وكذلك الوعاظ يحدِّثون الناس بما لا يصح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أصحابه، فقد صار المحال عندهم شريعة»[1].

***

(١) انظر: «الإبداع في مضار الابتداع» لعلي محفوظ (ص/٦٠- وما بعدها)، والمدخل «لابن الحاج» (٢/٢٥٠- وما بعدها)، ففيهما نقد لحال الوعاظ والزهاد.

المطلب الخامس

استدراكاته على تراجم الأعلام(١)

لأبي الفرج عناية بتراجم الأعلام وتتبع أخبارهم ومواقفهم، فقد بثَّ في مصنفاته كثيرًا من سِيَرهم وأخبارهم، وسطَّر صفحات في نقد أقوالهم ورواياتهم، كما في كتاب «المنتظم في تواريخ الملوك والأمم» و«السهم المصيب في الرد على الخطيب» و«أخبار البرامكة» وغيرها.

وفي كتاب «صيد الخاطر» استدراكات مليحة على الأعلام في مواضع متفرقة من الكتاب، أوردها باختصار:

الموضع الاول: قال في الخاطرة رقم (٣١) عن شيخه ابن عقيل(ت:٥١٣هـ): «ولقد حُكي لي عن ابن عقيل أنه كان يقول عن نفسه: أنا عملتُ في قاربٍ ثم كُسر. وهذا غلط، فمن أين له؟، فكم من معجب بنفسه كُشف له من غيره ما عاد يحقر نفسه على ذلك، وكم من متأخِّر سبق متقدمًا».

---

(١) وقع تصحيف في بعض الأعلام الواردة في مطبوعات «صيد الخاطر» فمثلًا ورد في الخاطرة رقم (٢٨) اسم «مُحَمَّد بن عبد القادر» وهو تصحيف «مُحَمَّد بن الباقي». وورد في الخاطرة رقم (٢٤٤): «على بن عبيدالله» والصواب: «على بن عبيدالله ابن الزاغوني». وورد في الخاطرة رقم (٢٣١) اسم «الحصري» والصواب «ابن الحصري» وورد في الخاطرة رقم (٢٨٥) اسم «أبو الحسن الراندسي) والصواب: «البراندسي»، ورد في الخاطرة رقم (٣٤٩) اسم «ابن الجزري»، والصواب «ابن الخزري، وورد في الخاطرة رقم (٣٥٣) اسم «ابن حصير» والصواب «ابن جهير».

الموضع الثاني: قال في الخاطرة رقم (١٩) عن الزهاد والصوفية: «ولعمري إنه وقر في النفوس تعظيم أقوام، فإذا نُقل عنهم شيء، فسمعه جاهل بالشرع قبله لتعظيمهم في نفسه. كما ينقل عن أبي يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «تراعنَتْ عليَّ نفسي فحلفتُ لا أشرب الماء سنة». وهذا إن صح عنه كان خطأ قبيحًا، وزلة فاحشة ..أفترى هذا فعل من يعلم أن نفسه ليست له، وأنه لا يجوز التصرف فيها إلا عن إذن مالكها».

الموضع الثالث: قال في الخاطرة رقم (١٩) عن الزهاد والصوفية: ولقد روينا في الحديث عن أحمد بن أبي الحواري: «أنه أخذ كتبه فرمى بها في البحر، وقال: نعم الدليل كنت، ولا حاجة لنا إلى الدليل بعد الوصول إلى المدلول؟ وهذا إذا أحسن به الظن، قلنا: كان فيها من كلامهم ما لا يرتضيه. فأما إذا كانت علومًا صحيحة، كان هذا من أفحش الإضاعة».

الموضع الرابع: قال في الخاطرة رقم (٤٩) عن صفات الله تعالى: «ولقد عجبتُ لرجل أندلسي يقال له ابن عبد البر، صنَّف كتاب «التمهيد» فذكر فيه حديث النزول إلى السماء الدنيا، فقال: هذا يدلُّ على أن الله تعالى على العرش، لأنه لولا ذلك لما كان لقوله «ينزل» معنى. وهذا كلام جاهل بمعرفة الله عَزَّوَجَلَّ، لأن هذا استسلف من حِسه ما يعرفه من نزول الأجسام، فقاس صفة الحق عليه».

الموضع الخامس: قال في الخاطرة رقم (٦٩) عن أهمية الاستزادة من العلم: «ولقد حكى ابن عقيل عن أبي المعالي الجويني أنه قال: إن الله تعالى يعلم جُمل الأشياء ولا يعلم التفاصيل، ولا أدري أي شبهة وقعت في وجه هذا المسكين حتى قال هذا».

الموضع السادس: قال في الخاطرة رقم (٦٩) عن أهمية الاستزادة من العلم: وكذلك أبو حامد الغزالي(ت: ٥٠٥هـ) حين قال: «النزول: التنقل، والاستواء: مماسة. وكيف أصفُ هذا بالفقه أو هذا بالزهد، وهو لا يدري ما يجوز على الله مما لايجوز، لو أنه ترك تعظيم نفسه لرد صبيان الكُتَّاب رأيه عليه، فبان له صدقهم».

الموضع السابع: قال في الخاطرة رقم (٦٩) عن الاستزادة من العلم: «ومن هذا الفن أبو بكر بن مِقسَم فإنه عمل كتاب الاحتجاج للقراء، فأتى فيه بفوائد، إلا أنه أفسد علمه بإجازته أن يُقرأ عليه مما لم يُقرأ به، ثم تفاقم ذلك منه حتى أجاز ما يُفسد المعنى».

الموضع الثامن: قال في الخاطرة رقم (١٧٥) عن الفقهاء والمحدثين: «إن البخاري ومسلما تركا أحاديث أقوام ثقات، لأنهم خولفوا في الحديث، فنقص الأكثرون من الحديث وزادوا، لو كان ثمَّ فقه لعلموا أن الزيادة من الثقة مقبولة، وتركوا أحاديث أقوام لأنهم انفردوا بالرواية عن شخص، ومعلوم أن انفراد الثقة لا عيب فيه، وتركوا من ذلك الغرائب، وكل ذلك سوء فهم».

الموضع التاسع: قال في الخاطرة رقم (١٧٠) عن علو الهمة: «وكان أبو مسلم الخراساني(ت:١٣٧هـ) في حال شبيبته لا يكاد ينام، فنظرتُ إلى حال هذا المسكين فإذا هو قد ضيَّع أهم المهمات، وهو جانب الآخرة وانتصب في طلب الولايات».

الموضع العاشر: قال في الخاطرة رقم (١٧٠) عن علو الهمة:

«كان المتنبي يقول:

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه	**ومركوبه رجلاهُ والثوبُ جلده**
ولكن قلبًا بين جنبيَّ ما له	**مدى ينتهي بي في مراد أحده**
يرى جسمه يكسى شفوفًا تربُّه	**فيختار أن يُكسى دروعًا تهده**

فتأملتُ هذا الآخر، فإذا نهمته فيما يتعلق بالدنيا فحسب».

الموضع الحادي عشر: قال في الخاطرة رقم (٢٣٧) في بيان حِكمة الله تعالى: «ولقد رأيتُ لابن الراوندي (ت: ٢٩٨هـ) اعتراضًا على من يقول بتخليد الكفار في النار. قال: إن ذلك التأبيد مزيد من الانتقام ينكره العقل، وينبغي أن يقبل كل ما يقوله العقل ولا يرد بعضه، إذ ليس رد بعضه بأولى من رد الكل، وتخليد الكفار لا غرض فيه للمعذِّب ولا للمعذَّب، فلا يجوز أن يكون.

فقلت: العجب من هذا الذي يدَّعي وجود العقل ولا عقل عنده. وأول ما أقول له: أصح عندك الخبر عن الخالق سبحانه أنه أخبر بخلود أهل النار أم لم يصح؟، فإن كان ما صح عنده، فالكلام إذن في إثبات النبوة وصحة القرآن،

فما وجه ذكرك الفرع مع جحد الأصل؟ ،وإن قال: قد ثبت عندي، فواجب عليه أن يتمحل لإقامة العذر، إلا أن يقف في وجه المعارضة».

الموضع الثاني عشر: قال في الخاطرة رقم (٢٧٦) في بيان ضلال بعض الطوائف: «ولما نهب مسلم به عقبة المدينة وقتل الخلق، قال: إن دخلتُ النار بعد هذا إنني لشقى، فظن بجهله أنهم لما خالفوا بيعة يزيد يجوز استباحتهم وقتلهم. فالويل لعامي قليل العلم».

الموضع الثالث عشر: قال في الخاطرة رقم (٣٦٥) في تفاوت الناس في الفهوم: «ما أكثر تفاوت الناس في الفهوم، حتى العلماء يتفاوتون التفاوت الكثير في الأصول والفروع، وأما في الفروع فكما يُروى عن «داود بن على الظاهري» أنه قال في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم، ثم يتوضأ منه»[1]، فقال إن بال غيره جاز. فما يفهم المراد من التنجيس، بل يأخذ بمجرد اللفظ. وكذلك يقول: لحم الخنزير حرام، لا جلده، نعوذ بالله من سوء الفهم».

❁❁❁

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (كتاب الوضوء - باب الماء الدائم - حديث رقم: ٢٣٨) ومسلم في «صحيحه»: (كتاب الطهارة - باب النهي عن البول في الماء الراكد - حديث رقم: ٦٩).

المطلب السادس
استدراكاته على مصنَّفات العلماء

ابن الجوزي ذو دراية بالكتب ومصنفات العلماء في عصره وما قبل عصره، فقد كان كثير المطالعة والتنقير في الكتب والمكتبات مما أورثه مَلكة قوية في معرفة أساليب المصنفين وطرائقهم ،ودفائن الفوائد ومثالب المؤلفين.

وفيما يلي نقف على استدراكاته في «صيد الخاطر» على المصنفات والكتب:

الموضع الأول: قال في الخاطرة رقم (٦٩) عن التزيد في العلم:

«ومن هذا الفن أبو بكر بن مقسَم، فإنه عمل كتاب «الاحتجاج للقراء» فأتى فيه بفوائد، إلا أنه أفسد علمه بإجازته أن يُقرأ بما لم يقرأ به..».

الموضع الثاني: قال في الخاطرة رقم (٣٣٧) عن أهمية مطالعة العلوم:

«ورأيتُ في كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي من هذا ما يُدهش، من التخليط في الأحاديث والتواريخ، فجمعت من أغاليطه كتاب».

الموضع الثالث: قال في الخاطرة رقم (٣٣٧) أيضًا: «وقد ذكر أبو المعالي الجويني(ت: ٤٧٨هـ) في أواخر كتاب «الشامل في الأصول» قال: قد ذكرت طائفة من الثقات المعتنين بالبحث عن البواطن أن: «الحلاج» و«الجنابى» و«ابن المقنَّع» تواصوا على قلب الدول: قلتُ: ولو أن هذا الرجل، أو من

حكى عنه، عرف التاريخ، لعلم أن الحلاج لم يدرك ابن المقنَّع، فإن ابن المقنَّع أمر بقتله المنصور، فقتل في سنة أربع وأربعين ومئة، وأبو سعيد الجنابي القرمطي ظهر في سنة ست وثمانين ومئتين، والحلاج قتل سنة تسع وثلاث مئة. فزمان القرمطي والحلاج متقاربان، فأما ابن المقفع، فكلا».

الموضع الرابع: قال في الخاطرة رقم (٣٦١) عن تخليط العلماء والعبّاد:

«وأما الفريق الثاني وهم العباد، فرأيتُ أكثرهم في تخليط: أما الصحيح والقصد منهم، فعلى غير الجادة في أكثر عملهم: قد وضع لهم جماعة من المتقدمين كتبًا فيها دفائن قبيحة، وأحاديث غير صحيحة، ويأمرون فيها بأشياء تخالف الشريعة، مثل كتب «الحارث المحاسبي»، و«أبي عبدالله الترمذي»، و«قوت القلوب» لأبي طالب المكي، وكتاب «الإحياء» لأبى حامد الطوسي».

الموضع الخامس: قال في الخاطرة رقم (٣٣٧) عن أهمية مطالعة العلوم:

«ذكر الغزالي في كتاب له سمَّاه «المستظهري» وعرضه على المستظهر بالله: أن سليمان بن عبد الله بعث إلى أبي حازم فقال له «ابعث لي من فطورك، فبعث إليه نخالة مقلوة، فأمطر عليها، ثم جامع زوجته، فجاءت بعبد العزيز، ثم ولد له عمرَ!!»، وهذا تخليط قبيح، فانه جعل عمر بن عبد العزيز بن سليمان بن عبد الملك! فجعل سليمان جدَّه، وإنما هو ابن عمه».

وبعد الوقوف على هذه الاستدراكات العلمية المتعدِّدة، يمكن استخلاص النتائج التالية:

أولًا: أن ابن الجوزي يغلِّط من يخرج عن إجماع السلف في أبواب العلم ومسائله، ومباحث العلم والفقه في الدِّين التي تُخالف الدليل والتعليل ،لا تجوز روايتها ولا العمل بها. وهذا التقعيد متين ومحمود قائله لأنه أصل الشرع.

ثانيًا: رواية الضعيف والغريب في الحديث النبوي أو في التاريخ لا تجوز، وابن الجوزي يقيس بعض المسائل على بعض إذا لم يجد لها دليلًا معتمداً ومشهورا في الشرع، ويعتمد على استنباطه واجتهاده، وهذه السِّمة مشاهدة عند كثير من علماء العراق.

ثالثًا: ابن الجوزي عنده مهارة عالية في سبر الروايات التاريخية وتحقيقها وغربلتها، وقد استفاد ذلك من طول باعه في مطالعة كتب التاريخ.

رابعًا: ابن الجوزي لا يكاد يخالف آراء شيوخه وانفراداتهم وتعقباتهم في التفسير والحديث والعقيدة واللغة والسلوك إلا فيما ندر، والنادر لا حُكم له. وقد تبيَّن لي ذلك كثيرًا في «صيد الخاطر».

خامسًا: ابن الجوزي ماهر في كشف تلبيس إبليس على الصوفية وأرباب الزهد والدروشة، وقد عرفهم وخبرهم عن قرب واختلط بهم. وكلما كان التصوف قائمًا على الدليل كان مقبولًا، وإن اختلف مسمَّاه ووصفه.

سادسًا: ابن الجوزي أثبت في كتابه الصيد أنه متمكن في علم الوعظ وعلم الجدل والمناظرة، وسبر أحوال الروايات في الحديث والتفسير، وقد وظف ذلك توظيفا مناسبًا في الرد على الفرق المنحرفة والطوائف المتقلبة. لكنه بالغ في الرد على مثبتة الصفات وتعسَّف في إيراد المرويات الشرعية تعسفًا واضحًا، وسبب ذلك تأثره بشيوخه كما تقدَّم.

سابعًا: ابن الجوزي له عناية باستنباط الفوائد من دلائل النصوص، وهذا يظهر في كثير من خواطره في «صيد الخاطر». ونادرًا ما يذكر نصًا ولا يعقِّب عليه بفائدة.

ثامنًا: يقرِّر ابن الجوزي في تعقباته على الكتب والعلماء، أن العبرة بالفهم لا بالرواية. فليس كل من روى يكون فقيهاً أو معلمًا مربيًا.



المبحث الثالث

نقد المرويات الشرعية الواردة في كتاب «صيد الخاطر»

المقصود بالمرويات الشرعية الواردة في كتاب «صيد الخاطر» هي ما يلي:

أولًا: الأحاديث المرفوعة وأسانيدها.

ثانيًا: أقوال الصحابة الموقوفة عليهم.

ثالثًا: أقوال التابعين المنقولة عنهم.

رابعًا: أقوال العلماء وأحكامهم.

خامسًا: الحكايات والقصص والوقائع.

وليعلم القارئ الكريم أن نقد المرويات الشرعية الواردة في كتاب «صيد الخاطر» ،يحقِّق عدة فوائد:

الأولى: معرفة أساليب ابن الجوزي في التأليف والجمع والتهذيب.

الثانية: الوقوف علي موارد ابن الجوزي ومصادره في المكتبة الشرعية في القرن السادس الهجري، وطرق انتقائه للمصنفات وطرق النقل منها.

الثالثة: معرفة مقاييس ابن الجوزي الشرعية في حُكمه على المصنفات والرجال والأقوال والأخبار.

الرابعة: تتبع جوانب من الحياة الاجتماعية والعلمية في بغداد في القرن السادس الهجري.

الخامسة: التعرف على جوانب من شخصية ابن الجوزي وخصاله الإنسانية، من خلال «صيد الخاطر».

وقد قسمتُ هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: نقد مصادر المرويات.

المطلب الثاني: نقد أسانيد المرويات.



أولًا: الأحاديث المرفوعة وأسانيدها:

المطلب الأول
نقد مصادر الأحاديث المرفوعة وأسانيدها

أورد ابن الجوزي في كتاب «صيد الخاطر» ،مجموعة واسعة من الأحاديث المرفوعة إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد بلغ عدد ما أورده من الأحاديث (٢٢٠) عشرون ومئتا حديث، أو (١٨٧) سبعة وثمانون ومئة بدون الآثار. وابن الجوزي ضليع في معرفة دواوين السنة النبوية، ومعرفة أطراف الأحاديث والآثار فيها، ويتبين ذلك من خلال تتبع مصادر ما يستدل به في كتابه. فقد أورد في مقدمة كتابه حديث «قيّدوا العلم بالكتابة»، وقد رفعه إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد عزاه بعض الأئمة موقوفًا إلى ابن عباس وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجاءت الرواية المرفوعة من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وهذا يدل على أن ابن الجوزي لا يعتمد على المصادر الأساسية للأحاديث المرفوعة في الغالب، فقد ينقل من الكتب التاريخية أو المجموعة ، لدراسة باب واحد، أو كتب المراسيل، أو كتب الزهد والرقائق، ونحو ذلك،

(١) والحديث ذكره أئمة الحديث في مصنفاتهم ، فقد رواه أبو خيثمة في «كتاب العلم» (٢٩/ ١٢٠)، والحاكم (١/ ١٠٦). والطبراني (١/ ٢/٦٢) وابن عساكر في «التاريخ» (١٢/ ٢/٣٤٣)، والخطيب البغدادي في «تقييد العلم» (ص /٩٦) ، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٨٢).

ولعل سبب ذلك أن ابن الجوزي رُزق قوة في ملكة الحفظ وسعة الإطلاع، وقد يكون له مقصد حسن في هذا الأمر، لتعلق الرواية عنده بمهنة الوعظ والترغيب والترهيب، لتأليف قلوب العصاة، ولا يخفى أن كتب الرقائق والزهد بها من نوادر الأحاديث المرفوعة ما لا يخطر على بال أحد، لكن الصحيح المحتج به قليل في أغلب الأحوال.

وقد تتبعتُ الأحاديث التي استشهد بها ابن الجوزي ،مما ليس له تخريج في أمهات كتب السنة النبوية، فوجدتُ أنه يستشهد بأحاديث من «زوائد عبدالله بن احمد» على «المسند»، كحديث «الصُّبحة تمنع الرزق»(١).

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائده على المسند»: (١/ ٧٣) وإسناده ضعيف.

قلت: بالإستقراء والتتبع لمرويات ابن الجوزي، يلاحظ أنه يروي في كثير من أحواله من كتب أدب الدنيا والدين والزهد، بالمتابعات والشواهد، لغرض بيان التواتر ولإثبات الزيادة في المتن المروي، فبسبب مبالغته في تقوية الضعيف الذي لا ينجبر، وقع في رواية الضعيف جدًا والموضوع والمنكر. مثال ذلك استدلاله بحديث: «من شغله ذِكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين». فالحديث من طريق مُحَمَّد بن الحسن بن أبي يزيد الهمذاني، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد مرفوعاً، وفي إسناده متروك متهم وهو مُحَمَّد بن الحسن بن أبي يزيد، وقد أنكره الذهبي وضعفه العراقي، وللحديث شواهد تدور بين الضعف والضعف الشديد، فلا تصلح للاعتبار، وابن الجوزي ساق الحديث بصيغة التمريض، فلعله تردد في تصحيحه. لكن يبدو أنه بالغ في الاعتبار بالضعيف لجبر مثيله، مثل استدلاله بالأثر وقد رفعه:« يشيب ابن آدم وتشبُّ منه خصلتان: الحرص والأمل». والرواية باطلة لا تصح، ردَّها الذهبي في الميزان. وانظر: شرح النُّخبة للعسقلاني(ص/ ٢٠٠- طبعة نور الدين عتر)ففيه تقعيد مهم عن المتابعات والشواهد. وهنا فائدة مهمة أيضا وهي أن خمسة من العلماء القدامى عندهم تساهل في التحسين والتصحيح والتضعيف =

وكذلك نقل ابن الجوزي بعض الأحاديث المرفوعة الواهية عن «مُحَمَّد بن اسحاق» صاحب السِّيرة، ولا ريب أن ذلك سببه الوهم أو بقصد رواية الغرائب لتأليف القلوب، كما هو حال بعض المؤرخين والقصاص، وليس القصد الاستشهاد بها. والله أعلم.

ومن غرائب ما ذكره ابن الجوزي قوله: «ضاق البلد بمواشي إبراهيم ولوط عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فافترقا»[1]. فهذه الرواية نقلها أبو الفرج من كتب التفاسير

=

وهم: الترمذي(ت:٢٧٩هـ)وابن حبان(ت:٣٥٤هـ)والحاكم(ت: ٤٠٥هـ) ووابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ)والسيوطي(ت:٩١١هـ)، وانظر مقدمة تمام المنة للألباني (ص/٩) .

(١) ابن كثير: «البداية والنهاية»: (١ /٢٤٣) .

قلت: ولا تصح مرفوعة بل هي من روايات المؤرِّخين. ولم يدقِّق ابن الجوزي في كثير من مروياته ونقولاته في الأحاديث المعلَّة عند أهل الصنعة. فكان ينقل معتمداً على حفظه أو على الكتب الزهدية التي لا تنقِّح المرويات، وقد قال الخليلي(ت: ٤٤٦هـ): العلة هي عبارة عن أسباب خفية غامضة طرأت على الحديث فقدحت فيها، فهذا يعني أن العلة تشمل الحديث الصحيح، فيجوز أن يكون الحديث صحيحًا معلًا، وهذا عكس ما قاله الترمذي(ت: ٢٧٩هـ)أن العلة عامة تشمل جميع الأسباب التي تكون سببًا لوهن الحديث أو عدم العمل به. لكن ابن حجر(ت: ٨٥٢هـ)استدرك على من زهَّد في تمييّز الأسانيد والرواية من الكتب بلا تحقيق، كما في النكت على ابن الصلاح (٢٢٩/١) فأنظره فإنه مهم جدًا. والذي ترجَّح عندي من حال ابن الجوزي أن العلة عنده لا تشمل الحديث المنقطع ولا الحديث الذي في رواته مجهول او مضعَّف. وهذا مذهب الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)كما في كتابه معرفة علوم الحديث(ص/١١٢).وقد نقل ابن الجوزي في صيده عن الحاكم عن مستدركه، وتعقَّبه في مسائل، ولم يعرِّج على هذه المسألة، مما يدلُّ =

والمواعظ، وليس لها إسناد صحيح. وفي بعض المواضع ينقل ابن الجوزي من «سنن سعيد بن منصور» كما في رواية حديث «وهل كانت فتنة داوود إلا من النظر»(١).

وزبدة القول: أن ابن الجوزي له اطلاع جيد على كتب السنة النبوية، لكنه لم يعول على الاستشهاد بأحاديثها في أغلب الأحوال، وقد اعتمد كثيراً على أحاديث كتب التفسير والرقائق والمسانيد وأخبار الأمم.

وقد يقول قائل: إن لابن الجوزي الحق في رواية الأحاديث من أي مصدر شاء، وهذا حق بلا ريب، لكن عدم الالتزام بالرواية من الكتب الأصيلة، يوقع

= على موافقته في مذهبه في ذلك .وباستقراء مرويات ابن الجوزي فإنه متساهل في رواية المنقطع والمجهول والمضعَّف.

(١) تُنسب هذه المقولة إلى سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ ولا تصح مرفوعة. انظر: السيوطي: «الدر المنثور»: (٥/ ٥٦٨). قلت: عندنا شاهد مهم من علماء السُّنة سافر من دمشق إلى بغداد ومكث فيها أربع سنوات، وهو الإمام ابن قدامة المقدسي(ت: ٦٢٠هـ)، فقد اختلط بعلماء بغداد ودرس عليهم، ومنهم ابن الجوزي، حتى عرف الشيخ وخَبره عن قرب، حيث قال: «إننا لم نرض تصانيفه في السُّنة ولا طريقته فيها». وهذا أسلوب عتاب من ابن قدامة والمنتسبين لمذهب الإمام أحمد، على ابن الجوزي، وعدم توازنه في ملكة التأليف: في المعتقد والاقتباس والحكم على المسائل. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٨١/٢١).ومن الإنصاف أن نورد جملة الإمام الذهبي في الموحدين المجتهدين: «نرجو لكل من بذل جهده في تطلب الحق أن يغفر له، من هذه الأمة المرحومة». السِّير (١٧٢/٢٢).

أحيانًا في مزالق مؤسفة عند العلماء، من أعظمها الرواية بالأسانيد الموضوعة والضعيفة، وذكر الأحاديث الواهية المركبة على تلك الأسانيد.

وقد استشهد ابن الجوزي بأحاديث من صحيح البخاري ومسلم في كتابه «صيد الخاطر»، وقد يستشهد بأحدهما، وقد بلغت الأحاديث التي استشهد بها من الصحيحين (٢٨) حديثًا. ولأبي الفرج عناية بأحاديث مسند الإمام أحمد فقد نقل منه، أحاديث كثيرة، بعضها بالنص والآخر بالمعنى.



المطلب الثاني
نقد أسانيد الأحاديث المرفوعة

مرَّ معنا سابقًا أن ابن الجوزي رحمه الله تعالى مضطرب في باب الإسناد والتخريج، وقد قال السخاوي(ت:٩٠٢هـ)رحمه الله تعالى: «من العجب إيراد ابن الجوزي في كتابه العِلل المتناهية كثيرًا مما أورده في الموضوعات»، وقال ابن عِراق(ت: ٩٦٣هـ) رحمه الله تعالى: «وقد عاب عليه الحفاظُ هذا الأمر بعينه، فقالوا: إنه يُورد حديثًا في كتاب الموضوعات ،ثم يورده في العِلل، وموضوعه: الاحاديث الواهية التي لم تنته إلى ان يُحكم عليها بالوضع ،وهذا تناقض».

وهذا الإضطراب سببه الإملاء من الحفظ، أو التأليف بدون مراجعة الأصول في كتب الحديث والرجال، والثاني هو الأرجح.

والقدح في الأحاديث يكون سببه العلة. والعلة تكون في الإسناد وتكون في المتن. وقد تقع العلة في الإسناد ولا تقدح مطلقًا، مثال ذلك: ما رواه مدلس بالعنعنة، فهذا يوجب التوقف عن قبوله، فإذا وجد من طريق أخرى قد صرَّح فيها بالسماع، تبيَّن أن العلة غير قادحة.

وقد تقع العلة في الإسناد وتقدح فيه دون المتن، مثاله: ما رواه الطنافسي، عن الثوري عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البيعان بالخيار». فغلط يعلى في قوله: «عمرو بن دينار»، إنما هو عبد الله بن دينار.

وقد تقع العلة في الإسناد وتقدح فيه وفي المتن معًا. مثال ذلك: وجود الإرسال أو الوقف أو إبدال راوٍ ضعيف براوٍ ثقة، كما وقع لأبي أسامة حماد بن أسامة الكوفي، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قدم الكوفة فكتب عن أهلها ولم يسمع منه أبو أسامة، ثم قدم بعد ذلك الكوفة عبد الرحمن بن يزيد وهو ضعيف من الشاميين، فسمع منه أبو أسامة وسأله عن اسمه، فقال: عبد الرحمن، فظن أبو أسامة أنه ابن جابر، فصار يحدِّث عنه وينسبه من قِبل نفسه. فيقول: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، فوقعت المناكير في رواية أبي أسامة عن ابن جابر، فلم يفطن لذلك إلا أهل النقد والدراية.

وقد تقع العِلة في المتن ولا تقدح فيه ولا في الإسناد، مثاله: كل ما وقع من اختلاف ألفاظ كثيرة من أحاديث الصحيحين، لأنها كلها ترجع لمعنى متقارب أو واحد، فينتفي الاختلاف.

وقد تقع العِلة في المتن وتقدح فيه دون الإسناد. مثاله: ما انفرد به مسلم بإخراجه في حديث أنس من اللفظ المصرح بنفي قراءة البسملة، فعلَّل جماعة رواية اللفظ المذكور برواية بعض المحدثين أنه كان يُستفتح عند القراءة بالحمد لله رب العالمين، من غير تعرض للبسملة. وقالوا إن من رواه باللفظ المذكور رووه بالمعنى الذي وقع لهم، ووهم مسلم في روايته على الوجه الذي انفرد به.

وهنا ملاحظة مهمة تم استخراجها باستقراء منهج ابن الجوزي في مروياته في صيد الخاطر، وباستقراء مروياته في كتابيه «العلل المتناهية» و«الموضوعات»، فقد تبيَّن لي أنه يفرِّق بين الحديث الضعيف والحديث المضعَّف في كثير من تخريجاته وحكمه على الأسانيد، لكنه يحيد عن هذا المنهج في الغالب. فالضعيف هو ما لم تجتمع فيه صفات القبول، أو ما نقص عن درجة الحسن قليلًا.

أما المضعَّف فهو الحديث الذي لم يجمع على ضعفه، ففيه تضعيف لبعض العلماء في سنده أو متنه، وفيه تقوية من آخرين. ولكن التضعيف راجح لا مرجوح، أو أنه لم يكن ترجيح أحد القولين على الآخر. والمضعَّف عند العلماء من أعلى مراتب الضعيف. والفرق بينهما: أن الضعيف لا يحتج به في الأحكام، والمضعَّف يحتج به.

ولهذا قال ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)رحمه الله تعالى:

ثم مضعَّفٌ وذاك ما ورد فيه لبعض ضعف متن أو سند

لم يُجمعوا فيه على التضعيفِ ودون هذا رتبة الضعيف

وبعد هذه التقدمة أُورد هنا جميع الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي استشهد بها ابن الجوزي على وجه الاحتجاج، ولم ينبِّه على ضعفها أو درجة سقوط الاستدلال بها، وأُردفُ كل حديث بما تيسر من بيان علته وسبب ضعفه. ومن الله نستمد العون والتوفيق.

وأما بقية الأحاديث الصحيحة والحسنة، ففي صحة أسانيدها واستقامتها، غُنية عن البحث عن ثبوتها، ومن الله نستمد العون والتوفيق:

١- «البرُّ لا يبلي، والإثم لا ينُسى، والديَّانُ لا ينام، وكما تدين تدان»: إسناده ضعيف. روي عن طريق معمر عن أيوب عن أبي قلابة. والسند ضعيف لإرساله.

٢- «نية المؤمن خير من عمله»: إسناده ضعيف، لضعف جميع طرقه.

٣- «العاجز من أتبع نفسه هواها»: إسناده ضعيف، في إسناده أبو بكر بن مريم ضعفه العلماء.

٤- «من غضّ بصره عن محاسن امرأة، أثابه الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه»: إسناده ضعيف ،في إسناده «إسحاق بن عبدالواحد القرشي، وعبدالرحمن الواسطي» وهما ضعيفان.

٥- يقول الله تعالى: «النظرة الى المرأة سهم مسموم من سهام الشيطان»: إسناده ضعيف. في إسناده اسحاق بن عبد الواحد القرشي. واه لا يحتج بحديثه.

٦- «الصبحة تمنع الرزق»: إسناده ضعيف. في إسناده اسحاق بن أبي فروة وهو ضعيف.

٧- «إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة»: ليس له إسناد معروف. ومعناه صحيح.

٨- «تفضل الصلاة التي يُستاك لها على الصلاة التي لا يستاك لها سبعين ضعفًا»: إسناده ضعيف. في إسناده معاوية بن يحيي الصدفي، وهو ضعيف. والحديث من تدليسات مُحَمَّد بن اسحاق بن يسار.

٩- «سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منشدًا يقول: وفوق العرش رب العالمينا: فضحك». إسناده ضعيف. روي من وجوه مرسلة.

١٠- قال له رجل: أو يضحك ربنا؟ فقال: «نعم»: إسناده ضعيف، في إسناده وكيع بن حدس لا يعرف.

١١- «أنه على عرشه هكذا»: إسناده ضعيف، في إسناده مُحَمَّد بن اسحاق مدلس، لا يحتج بحديثه.

١٢- «إن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله عَزَّوَجَلَّ الإنابة»: إسناده ضعيف. في إسناده كثير بن زيد، وفيه اضطراب.

١٣- «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب»: إسناده منكر، في إسناده أحمد بن طاهر: كذاب.

١٤- «إن آخر وطأة وطئها الله بوج»: إسناده منكر، وفيه انقطاع.

١٥- «من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين»: إسناده ضعيف ،في إسناده عطية العوفي: ضعيف. وفيه مُحَمَّد بن الحسن أبي يزيد: متروك متهم.

١٦- «هل كانت فتنة داوود إلا من النظر»: إسناده ضعيف في إسناده يزيد الرقاشي: ضعيف.

١٧- «ما رأيته من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا رآه مني»: إسناده ضعيف، في إسناده جهالة.

١٨- «صلاة النهار عجماء»: إسناده ضعيف.

١٩- «إن المنبت لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى»: إسناده ضعيف، في إسناده مولى عمر بن عبدالعزيز: مجهول.

٢٠- «من ظن أنه خير من غيره، فقد تكبَّر»: ليس له إسناد.

٢١- «أيما امرئ مسلم، اشتهى شهوة، فردَّ شهوته، وآثر على نفسه، غفر له»: موضوع، ذكره الذهبي في موضوعات عمرو بن خالد القرشي.

٢٢- «أُدمان في قدح؟ لا حاجة لي فيه، أكره أن يسألني الله عن فضول الدنيا»: إسناده ضعيف ،في إسناده مُحَمَّد بن عبد الكبير بن شعيب: مجهول.

٢٣- «تمرة طيبة وماء طهور»: إسناده ضعيف، في إسناده أبو زيد: مجهول.

٢٤- «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»: إسناده ضعيف. فيه انقطاع بين الحسن البصري وعثمان بن أبي العاص.

٢٥- «يشيبُ ابن آدم وتشبُّ منه خصلتان: الحرص والأمل»: إسناده موضوع.

٢٦- «إن الله لا ينظر إليك في حالتك هذه»: إسناده موضوع. فيه إسحاق بن بشر: كذاب.

٢٧- «لو أن أحدكم يعمل في صخرة صمَّاء، ليس لها باب أو كُوَّة، لخرج للناس عمله، كائنًا من كان»: إسناد ضعيف. في إسناده دراج أبي السمع: صدوق فيه ضعف.

٢٨- «كنت كنزًا لا أُعرف، فأحببتُ أن أعرف»: حديث لا أصل له.

٢٩- «احتراز الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين مر على حائط مائل فأسرع»: إسناده ضعيف. في إسناده إبراهيم بن الفضل: متروك.

٣٠- «حديث العابد الذى عبد الله خمسمئة سنة في جزيرة»: إسناده ضعيف، في إسناده سليمان بن هرم: ضعيف.

٣١- «اللهم أدر معه الحق كيفما دار»: إسناده ضعيف، في إسناده المختار به نافع: منكر الحديث.

٣٢- «ما من ذنب بعد الشرك أعظم-عند الله تعالى- من نطفة وضعها رجل في رحم لا تحل له»: إسناد ضعيف. إسناده مرسل.

٣٣- «ما ينفعه صلاتي عليه»: إسناد ضعيف. في إسناده أبو عمرة: مجهول.

٣٤- «عودِّوا كل بدن ما اعتاد»: لا أصل له. ينُسب إلى الحارث بن كلده طبيب العرب.

٣٥- «ما من شيءٍ أسرع لحاقًا بشيء من حسنة حديثة لذنب قديم»: لا أصل له. ينسب إلى الصحابي عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [1].



(١) انظر للاستزادة : تدريب الراوي (١/٢٥٤) وتوضيح الأفكار(٢/٣١٠وما بعدها) والمسند المصنَّف المعلَّل (١/٢٩-وما بعدها).

قلت: وهذ الكتاب القيِّم المبارك (المسند المصنَّف المعلَّل) الذي يقع في (٤١) مجلدًا، عكف عليه المحقِّق المدقِّق الدكتور بشار عواد معروف، وبعض اهل الصنعة وطلبة العلم، أكثر من عشر سنوات كاملة، اعدادًا وتحقيقاً ومراجعةً، وهو عمل جليل وشاق، ويعدُّ مفخرة لأهل السنة والجماعة وأهل الحديث في هذا العصر، ولا يقدر عليه إلا نوادر الرجال. وقد سمعتُ الشيخ كمال الحيدري (من عُلماء الشيعة) يتحسَّر في إحدى دروسه على أبناء جلدته، وأنهم لم يستطيعوا إخراج مثل هذا الكتاب الفخم النفيس ولا حتى عُشره . ولا نقول نحن للدكتور بشار ورفاقه إلا: جزاكم الله خيرا، وبارك الله في علمكم وعملكم وأوقاتكم، وأبشروا عند الله بفضلٍ وإحسان، يوم الجزاء الأوفى والمنزلة الأسمى، إن الله لا يُضيع أجر من أحسن عملًا.

ثانيًا: أقوال الصحابة الموقوفة عليهم:

المطلب الأول

نقد مصادر أقوال الصحابة الموقوفة عليهم

أورد ابن الجوزي في كتاب «صيد الخاطر»(٢١) واحدًا وعشرين قولًا، نسبها إلى قائليها من الصحابة-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم-. وتعد أقوال الصحابة من أهم دعائم البحوث الشرعية؛ لأن أقوالهم صادقة وعادلة. وقد قال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أفضل هذه الأمة وأبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه»[١]،ولقد أحسن ابن القيم (ت: ٧٥١هـ) رحمه الله تعالى ،حين قال مبينًا منزلتهم العلمية: «إن الأخذ بفتاويهم أولى من الأخذ بآراء المتأخرين وفتاويهم»، وما أجمل كلام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ حين قال: «وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمرٍ استدرك به عليهم، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا»[٢]. إن مصادر أقوال الصحابة عند ابن الجوزي متعددة، فالنادر عنده النقل من كتب السُّنة النبوية

---

(١) ابن عبد البر: «جامع بيان العلم وفضله» - دار الرسالة - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ - (٢/ ٩٧).

(٢) ابن قيم الجوزية: «إعلام الموقعين» - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ (٤/ ١٥١). أخرجه البخاري: (كتاب النكاح - باب كثرة النساء - حديث رقم: ٥٠٦٩).

،كالصحاح والسُّنن والمسانيد، كقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «خيار هذه الأمة أكثرها نساء»[١]. وهو أول أثر ينسبه إلى صحابي في كتابه «صيد الخاطر» ،وهذا الأثر في صحيح البخاري. وقد ينقل من كتب الزهد والتراجم-وهذا هو الغالب عنده- ،كنقله من «الحلية» لأبي نعيم، و«الزهد» لأحمد. مثال ذلك نقله لقول أبي الدرداء «زاولتُ العبادة والتجارة فلم يجتمعا، فاخترتُ العبادة»، وهذا آخر أثر في كتاب «صيد الخاطر» ينسبه ابن الجوزي إلى صحابي.

وقد تكون أقوال الصحابة منقولة في مصادر كالرقائق والمواعظ ومشهورة عنهم، لكنها معزوة إلى مصدر بعينه ،فيتناقلها الوعاظ والمصنفون مع عدم البحث عن أصلها أو صحتها. وقد وقع هذا لابن الجوزي عندما عزا لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «تعلمتُ الطب من كثرة أمراض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فهذا اللفظ لم يثبت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لكن ورد قريبًا منه بألفاظ أخرى.

ومثله أثر: «ما رأيته من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا رآه مني»، فإنه لم يثبت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رغم شهرته على الألسن، وقد نقله ابن الجوزي من مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه وغيرهما.

وقد اعتمد ابن الجوزي على كتب السِّير والتراجم في نقل كثير من أقوال الصحابة، كاعتماده على «حلية الأولياء لأبي نعيم» ،الذي نقل كثيرًا من أقوال

---

(١) أخرجه البخاري: (كتاب النكاح - باب كثرة النساء - حديث رقم: ٥٠٦٩).

الصحابة مسنده وغير مسندة، كقول أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى، فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر»، وكقوله ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «إذا أعجبت أحدُكم امرأة فليتذكر مناتنها».

ويبدو أن ابن الجوزي لم يكن ينظر إلى أسانيد الأقوال المنسوبة إلى الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، إما اعتمادًا على شهرتها أو توثيقًا للمصنفين الذين أوردوها، وإلا فكثير من كتب الحديث والتخريج والرجال تغربل تلك الأقوال وتميِّز صحيحها من سقيمها.

والحق أن ابن الجوزي كغيره من العلماء الذين يتساهلون في إيراد أقوال الصحابة من غير نظر في إسنادها، إذا كان إيرادها لا يفيد حُكما شرعيًا ولا يؤثر على أحكام عقائد الناس.



المطلب الثاني

نقد أسانيد أقوال الصحابة الموقوفة عليهم

قبل الشروع في بيان أسانيد أقوال الصحابة الموقوفة عليهم، يحسن التنبيه هنا على مسائل مهمة متعلقة بهذا الباب.

المسألة الأولى: حجية أقوال الصحابة رضي الله عنهم:

اختلف العلماء في الاحتجاج بأقوال الصحابة، فذهب الإمام مالك(ت: ١٧٩هـ) وجمع من العلماء أن أقوالهم حجة تُقدَّم على القياس، ويُخصُّ بها العموم، وذهب جماعة آخرون إلى أنه ليس بحجة مطلقًا، وعزا ابن قدامة هذا القول إلى عامة المتكلمين، وهو اختيار أبي الخطاب(ت: ٥١٠هـ) من الحنابلة، رحمه الله تعالى.

والتحقيق أن قول الصحابي إن كان مما لا مجال للرأي فيه، فهو في حكم المرفوع، فيقدَّم على القياس، ويُخصُّ به النص، إن لم يكن ذلك الصحابي معروفًا بالأخذ من الإسرائيليات. وإذا قال الصحابي قولًا ولم يخالفه صحابي آخر، فإما أن يشتهر قوله في الصحابة أو لا يشتهر، فإن اشتهر فالذي عليه جماهير الطوائف من الفقهاء أنه إجماع وحجة. وقالت طائفة منهم هو حجة، وليس

بإجماع، وقال بعض المتكلمين وبعض متأخري الفقهاء: لا يكون إجماعًا ولا حجة.

وإن لم يشتهر قول الصحابي أو لم يُعلم هل اشتهر أم لا؟ فالذي عليه الجمهور أنه حجة وهو اختيار الإمام أحمد واختيار أصحابه. وإذا قال الصحابي قولًا وخالفه صحابي آخر، فليس قول أحدهما بحجة على الآخر، ويرجَّح بينهما بما يقول به الخلفاء الأربعة، فإن اختلفوا فقول أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أرجح(١).

المسألة الثانية: أسانيد أقوال الصحابة:

الآثار المروية عن الصحابة يُطلق عليها «الموقوفات» ،وهي ما أسنده الراوي إلى الصحابي ولم يتجاوزه(٢).

فكل ما يُروى عن الصحابة من أقوالهم أو أفعالهم ونحوها فيوقف عليهم، ولا يتجاوز به إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣) ،والموقوف قد يكون متصلًا إلى الصحابي، وقد يكون منقطًا، فيقال: موقوف متصل، وموقوف منقطع، إلا أن

---

(١) عمر الأشقر: «نظرات في أصول الفقه» – دار النفائس – الطبعة الأولى – ١٤٠٩هـ: (ص ٢٠).

(٢) الخطيب البغدادي: «الكفاية في علم الرواية» – دار الكتب العلمية – الطبعة الثانية – ١٤١٠هـ: (ص ٢١).

(٣) ابن الصلاح: «المقدمة» – دار الفكر – الطبعة الأولى – ١٤١٠هـ: (ص ٢٢).

الحافظ الحاكم (ت:٤٠٥هـ) رحمه الله تعالى، اشترط في الموقوف أن يروي الحديث إلى الصحابي من غير إرسال ولا إعضال. وتعقبه الحافظ فقال: «هو شرط لم يوافقه عليه أحد»[1].

والموقوف من أقسام الحديث الضعيف، إلا إذا صح الإسناد إلى الصحابي، ولم يُعارض بحديث مرفوع فحينئذ يكون حجة، ويجوز العمل به.

والقاعدة عند أهل العلم: أن الموقوف الصحيح يقوِّي الحديث الضعيف، إذا كان الضعف يسيرًا مثل سوء الحفظ أو قلة الضبط[2].

المسألة الثالثة: حكم مرسل الصحابي:

مرسل الصحابي: أن يروي صحابي تأخر إسلامه أو كان غائبًا عن المشهد، أو كان صغيرًا عن صحابي آخر، إلا إذا أسنده إلى الرسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، كحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ مرفوعًا «من أصبح جنبًا فلا صوم له»[3] حدَّث به عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فلما ردَّ عليه قال: أخبرنيه

---

(١) معرفة علوم الحديث / ص ١٩. والنكت على كتاب ابن الصلاح (١/ ٥١٢).

(٢) انظر: النُّكت لابن حجر (١/٥١٢- وما بعدها) والأعظمي: معجم مصطلحات الحديث (٥٠٧) .

(٣) أخرجه الحميدي في «مسنده» (٢/ ٤٤٣).

الفضل بن عباس. فالذي عليه جمهور أهل العلم أنه محتج به؛ لأن جهالة الصحابي لا تضر، لأن الصحابة كلهم عدول[١].

وفيما يلي أسوق أقوال الصحابة التي أوردها ابن الجوزي في كتاب «صيد الخاطر» ،مع بيان عللها إن وجدت، والتنبيه على بعض الفوائد الإسنادية:

١- «قيِّدوا العلم بالكتابة»، ورد موقوفًا على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

٢- «خيار هذه الأمة أكثرها نساء»، ورد موقوفًا على ابن عباس كما في صحيح البخاري: كتاب النكاح-باب كثرة النساء- حديث: «٥٠٦٩».

---

(١) قلت: وهناك قاعدة نفيسة ذكرها الإمام الذهبي عن مرويات الصحابة والتابعين في كتابه النفيس: «الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم» (ص / ٢٤ - ٢٥) فلتراجع. وقد أورد الإمام ابن تيمية في منهاج السنة (١١٧/٤)أن المرسل يكون حجة بشروط أربعة: إذا اعتضد المرسل بمسند آخر، أو اعتضد بمرسل آخر بمعناه عن راو آخر، أو وافقه قول بعض الصحابة، أو قال به أكثر أهل العلم. وانظر: قواعد في علوم الحديث(ص/١٤٣)، والأعظمي: معجم مصطلحات الحديث (ص ٣٩٤).

٣- «فقيه واحد أشد على إبليس من ألف عابد»، ورد موقوفًا على ابن عباس كما في سنن ابن ماجة: «باب فضل العلماء»، ولا يصح رفعه لأن في إسناده «روح بن جناح» ضعيف جدًا.

٤- «ويل لمن لم يعلم ولم يعمل مرة، وويل لمن علم ولم يعمل سبعين مرة»، ورد موقوفًا على أبي الدرداء. أخرجه سعيد بن منصور في سُننه .

٥- «ليس في الجنة شيء يُشبه ما في الدنيا إلا الأسماء»، ورد موقوفًا على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب.

٦- «نافق حنظلة»، ورد موقوفًا على حنظلة ،كما في «صحيح مسلم». «كتاب التوبة- باب فضل دوام الذكر».

٧- «تعلمتُ الطب من كثرة أمراض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما يُنعت له»، ورد موقوفًا على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.أخرجه الحاكم في مُستدركه. وللأثر ألفاظ أخرى قريبة من اللفظ المذكور.

٨- «إني لأحبُّ أن أتزيَّن للمرأة ،كما أُحبُّ أن تتزيَّن لي»، ورد موقوفًا على ابن عباس. رواه البيهقي في سننه الكبرى.

٩- أ- «إذا أعجبت أحدُكم أمرأه، فليتذكر مناتنها»، ورد موقوفًا على ابن مسعود. وروي عن النخعي كما في المصنَّف لابن لأبي شيبة.

ب- «أكره أن يوطئ عقبي ويقال: علقمة»، ورد موقوفًا على علقمة. أخرجه أبو نعيم في الحلية.

١٠- «خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر»، ورد موقوفًا على عبدالله بن عمرو. رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السُّنة .

١١- «لئن أشهدني الله مشهدًا، ليرين الله ما أصنع»، ورد موقوفًا على أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.أخرجه الشيخان.

١٢- «لئن أموتُ بين شعبتي جبل أطلب كفاف وجهي، أحب إليَّ من أن أموت غازيًا في سبيل الله»، ورد موقوفًا على عمر ابن الخطاب. أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال.

١٣- «إن العبد ليخلو بمعصية الله تعالى، فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر». أخرجه أبو نعيم في الحلية.

ورد موقوفًا على أبي الدرداء.

١٤- «ما رأيتهُ من رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا رآه مني»، ورد موقوفًا على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وإسناده ضعيف، لجهالة مولى عائشة. أخرجه الترمذي في الشمائل.

١٥- «بُنيت الفتنة على ثلاث: النساء-وهن فخ إبليس المنصوب-، والشَّراب، وهو سيفه المرهف، والدينار والدرهم، وهما سماه المسمومان»، ورد موقوفًا على عليٍّ بن أبي طالب. أخرجه المجلسي في بحار الأنوار.

١٦- «والله لا ينال أحد من الدنيا شيئًا إلا نقص من درجاته عند الله، وإن كان عنده كريمًا».

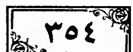
ورد موقوفًا على عبدالله بن عمر. أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد.

١٧- «ما أعرف شيئًا مما كنا عليه اليوم إلا القِبلة»، ورد موقوفًا على أبي الدرداء. أخرجه بن أبي الدنيا في كتاب الورع.

١٨- «لو أن لي طلاع الأرض لافتديتُ بها من هول ما أمامي قبل أن أعلم ما الخبر»، ورد موقوفًا على عمر بن الخطاب ،كما في «صحيح البخاري».

١٩- «ليتني إذا متُّ لا أُبعث»، ورد موقوفًا على عبد الله بن مسعود، أخرجه ابي أبي الدنيا في كتاب المتمنين.

٢٠- «ليتنى كنت نسيًا منسيًا»، ورد موقوفًا على عائشة رَضِيَ اللهُ عَنهَا.أخرجه ابن حبان في صحيحه.



٢١- «زاولت العبادة والتجارة فلم يجتمعا، فاخترت العبادة» ورد موقوفا على أبي الدرداء، وإسناده منقطع ،كما في تاريخ دمشق(١).



---

(١) تقدَّم تفسير عدم عناية ابن الجوزي بضبط الإسناد ومراجعة المرويات والدليل تأليفه لكتابين في الإسناد والرواية وهما: العِلل المتناهية والموضوعات، وقد وقع فيهما غلط كثير بسبب عدم المراجعة، وعدم التميِّز لمسائل هذا العِلم. ويجب على طالب العلم حين نقد الكتب العلمية، أن يورد ما لها وما عليها، تحقيقًا لمبدأ العدل والإنصاف.

ثالثًا: أقوال التابعين المنقولة عنهم:

المطلب الأول
نقد مصادر أقوال التابعين المنقولة عنهم

أورد ابن الجوزي في كتاب «صيد الخاطر» واحدًا وعشرين قولًا نسبها إلى قائليها من التابعين-رحمهم الله تعالى-. وتعدُّ أقوال التابعين وأحكامهم من القواعد المهمة التي يستند إليها كثيرٌ من أهل العلم ،إذا لم تخالف المصادر الصحيحة للتشريع.

وقد أكثر ابن الجوزي من النقل عن التابعين وتابعيهم ومن جاء بعدهم من الصالحين والأولياء، وسرد كثيرًا من أقوالهم وأخبارهم مع ما في بعضها من ضعف الإسناد. ولعل سبب ذلك أن ابن الجوزي يعتقد أن أسانيد أقوال التابعين ومن بعدهم أيسر من أسانيد أقوال الصحابة من ناحية الضبط والتحري والاستشهاد.

وقد نهل ابن الجوزي من كتب التاريخ والسِّير والتفاسير وكتب الوعظ والرقائق في إيراده لأقوال التابعين، ومن أشهر تلك الكتب والمصنفات: «طبقات ابن سعد» ،و«حلية الأولياء» لأبي نعيم ،و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي. وابن الجوزي أفاد كثيرًا من هذا الكتاب الأخير من غير إشارة إليه في مواضع كثيرة من «صيد الخاطر»، ونقل أيضًا من «تفسير أبي حاتم» وكتاب

الزهد لابن المبارك، وكتاب الزهد للإمام أحمد، وكتاب السُّنة لعبد الله بن الإمام أحمد.

وأول قول للتابعين نقله ابن الجوزي هو قول «أبي سليمان الداراني»: «مَن صَفَّى صُفِّيَ له، ومن كدَّر كُدِّر له». قيّده في الخاطرة رقم (١٢).

ولم يتوسع ابن الجوزي في مصادره كثيراً، شأنه شأن كثير من العلماء الذين يميلون إلى الاعتدال في الاقتباس من المصنفات. وهذا الميزان ملاحظ في «صيد الخاطر» بجلاء، فلم يكثر ابن الجوزي من الاقتباس على حساب الأفكار والمعاني، بل استنبط وعلّل وقسَّم ووضَّح كثيراً من أفكاره بالحجج المقنعة من غير إيراد قول أو نص أو اقتباس.

ومما أعجبني في اقتباس ابن الجوزي من المصادر أنه أمين في المنقولات حصيف في نقد المعقولات، فقد تتبعتُ نقولاته عن الصحابة والتابعين فزادني علمه وطريقته في الاقتباس منها، إعجابًا وحرصًا على دراسة منهجه في هذا الباب.

من ذلك أنه كَرَّر قولين مأثورين ذكرهما بصيغة التمريض من غير إسناد، عند استدلاله على وجوب التسليم لحكمة الله في القضاء والقدر، فقال: «روي عن بعض السلف: أنه كان يسأل الله الغزو، فهتف به هاتف: إنك إن غزوت، أُسرت، وإن أُسرت تنصَّرت»[١].

(١) «صيد الخاطر» (رقم الخاطرة ٣٨ و١٠٦).

ولهذا السبب وغيره يمكن عدم التسليم في الجملة بمقالة ابن الأخضر (ت: ٦١١هـ) رحمه الله تعالى . لما قيل له: ألا تجيب عن بعض أوهام ابن الجوزي؟ فقال: «إنما يتتبع على من قلَّ غلطه، فأما هذا، فأوهامه كثيرة»[١].

فهذه المقالة قيلت من محدِّث قرينٍ لابن الجوزي ومعاصر له،وممن درس وحفظ وراجع هو وابن الجوزي عند شيخٍ واحد.فلا يصح أن تكون مقياسًا ثابتًا لعلم ابن الجوزي ،ولا الحُكم على علمه وكثرة صوابه وزلاته .والله أعلم.

وابن الجوزي أكثر في «صيد الخاطر» من صيغ التحمُّل عن شيوخه: أنبأنا، أخبرنا، حدثنا. ويقول في مواضع من كتابه: نقلتُ من خط فلان، وقد روِّينا. ونحوها من العبارات الدالة على حرص ابن الجوزي على التثبت في إيراد المرويات الشرعية وموافقة الصواب، ما استطاع إلى ذلك سبيلا. وقد تقدَّم في المنهج الحديثي ما تميَّز به ابن الجوزي وما قصَّر فيه في الجانب العلمي والحديثي.



---

(١) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» ٢١/ ٣٨٢).

المطلب الثاني
نقد أسانيد أقوال التابعين المنقولة عنهم

قبل الشروع في بيان أسانيد أقوال التابعين المنقولة عنهم، يحسن التنبيه هنا على مسائل مهمة متعلقة بهذا الباب.

المسألة الأولى: المراد بالتابعين وبداية عهدهم ونهايته:

التابعي: من لقي صحابيًا، مؤمنًا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومات على الإسلام. وقد زكى الله تعالى التابعين باعتبار مجموعهم؛ كما في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾[١].

وزكاهم رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». وفي الحديث: «طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن رأى من رآني»[٢].

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (كتاب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باب فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث رقم: ٢٦٥٢) ومسلم في «صحيحه»: (كتاب فضائل الصحابة - باب فضل الصحابة - حديث رقم ٢٥٣٣).

وقد ذكر جماعة من العلماء أن عصر التابعين يبدأ من سنة ١١٠هـ، وينتهي سنة ١٥٠ هـ، وأن سنة ٢٢٠ هـ آخر عصر أتباع التابعين[(١)].

وعلى هذا الاعتبار قمتُ بجمع أقوال التابعين التي أوردها ابن الجوزي في «صيد الخاطر» مراعيًا توقيت عصر التابعين في الجملة، وقد أتجاوزه بسنين يسيرة، ومن الله أستمد العون والتوفيق.

المسألة الثانية: هل أقوال التابعين حجة ؟:

ذهب جماعة من المحققين إلى أن أقوال التابعين لا تكون حجة إلا بشرطين:

- **الأول:** اتصال سندهم بالصحابة.
- **والثاني:** أن تكون أقوالهم متفقة لا اختلاف بينهم. فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، والشرط الثاني يقصد به إذا تكلموا في مسألة واحدة بعينها، أما إذا تكلموا في مسائل متفرقة فالشرط الأول هو ميزان الحكم على المسألة.

أما إذا كان قول التابعي غير مسند أو لا يعرف له إسناد، فينظر في القول: هل يوافق ما درج عليه السلف من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في زمن النبوة

---

(١) ابن حجر العسقلاني: «فتح الباري» - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ: (٨/ ٦٠).

ويتفق مع أصول الوحيين بفهم علماء الأمة الثقات؟؛ فإن لم يكن كذلك فإنه يطرح ولا يلتفت إليه. ولهذا احتاط كثير من العلماء الأقدمين «كشعبة بن الحجاج» (ت: ١٦٠هـ) رحمه الله تعالى، فقال: «أقوال التابعين في الفروع ليست حجة»[١].

المسألة الثالثة: أقوال التابعين في كتاب «صيد الخاطر»:

أسوق هنا أقوال التابعين المنقولة عنهم، وهي الأقوال المجردة التي لم تأتِ في سياق حكاية أو قصة، وأذكر ما يتعلق بفوائد السند إن وجدت وبالله التوفيق:

١- قال أبو سليمان الداراني: «من صفَّى صُفِّي له،، ومن كَدَّر كُدِّر عليه، ومن أحسن في ليلة كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله».

٢- الفضيل بن عياض: «إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خُلق دابتي وجاريتي».

٣- قال ابن سيرين: «عيَّرتُ رجلًا فقلتُ: يا مفلس، فأفلستُ بعد أربعين سنة».

٤- قالت رابعة العدوية: «إن كان صلاح قلبك في الفالوذج فكله».

٥- قال سفيان الثوري: «وددتُ أن يدي قُطعت ولم أكتب الحديث».

---

(١) ابن تيمية: «مقدمة التفسير» - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ: (ص / ٤٨).

٦- قال الفضيل بن عياض: «يُغفر للجاهل سبعون ذنبًا، قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد».

٧- قال سفيان الثوري: «إذا حصَّلتَ قوت شهر فتعبَّد».

٨- قال سفيان الثوري: «إن الدابة إذا أُحسن إليها عملت».

٩- قال إبراهيم بن أدهم: «إن القلب إذا أُكره عمي».

١٠- قال داود الطائي: «إني عن لحيتي لمشغول».

١١- قال بشر الحافي: «مثلي لا يُسْأَلُ. ما أبقت الذنوبُ لي وجهًا».

١٢- قال مكحول: «من نظف ثوبه قلَّ همه، ومن طابت ريحه زاد عقله، ومن جمع بينهما زادت مروءته».

١٣- قال الزهري: «ما أكلتُ خَلًّا منذ عالجت الحفظ».

١٤- قال الحسن البصري: «لعاب النحل بلباب البر مع سمن البقر، هل يعيبه مسلم؟».

١٥- قال سفيان الثوري: «لولا المال لتمندلوا بي».

١٦- قال سفيان الثوري: «من بلغ سِن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فليتخذ لنفسه كفنًا».

١٧- قال سفيان الثوري: «تعلَّموا هذا العلم، واكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتقبحه القلوب».

١٨- قال الفضيل بن عياض: «إذا أردتَ أن تصادق صديقًا فأغضبه، فإن رأيته كما ينبغي فصادقه».

١٩- قال عمر بن عبدالعزيز: «لأن ألقى الله بكل ذنب – ما خلا الشرك- أحب إلي من أن أرى نفسي أهلًا أن أدفن في حجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

٢٠- قال داود الطائي: «إن كنت تشرب الماء البارد، متى تحب الموت؟!».

٢١- قال بشر الحافي: «لا أحدث لأني أشتهي أن أحَدِّث».

٢٢- قال داود الطائي: «بين سفِّ الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية».

٢٣- قال سفيان بن عينية: «منذ أخذت من مال فلان الأمير، منعت ما كان وهب لي من فهم القرآن».

٢٤- قال شيبان الراعي: «يا سفيان، عُد منع الله إياك عطاء منه لك، فإنه لم يمنعك بخلًا إنما منعك لطفًا»

٢٥- قال الفضيل عياض: «أعرف من يعد كلامه من الجمعة إلى الجمعة».

٢٦- قال كرز بن وبرة: «الخروج إلى الصحراء يبطل الروزجار»(١).

---

(١) الروزجار: حرفة العمل في الطين أو البناء. انظر: (حاشية محقِّق «صيد الخاطر») – طبعة دار القلم – دمشق: (ص / ٤٩٢). قلت: ينبغي التفريق بين قول التابعي وبين مرسل التابعي. فالحكم على قول التابعي يكون بحسب القول المجرد له، وهل له صلة بالعقيدة أو الاحكام أو السلوك؟!.
=

رابعًا: أقوال العلماء وأحكامهم.

المطلب الأول

نقد مصادر أقوال العلماء وأحكامهم

أورد الجوزي في كتاب «صيد الخاطر» (٤٠) أربعين قولًا وحُكمًا للعلماء، أشار إليها في خواطره للتدليل على كلامه ،أو للرد على ما فيها من مسائل ومعانٍ.

والمقصود بأقوال العلماء: آثار العلماء وأجوبتهم وردودهم القصيرة، وهم الأئمة الأربعة ومن جاء بعدهم إلى القرن السادس الهجري.

وأول قول من أقوال العلماء التي أوردها ابن الجوزي هو قول الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ)رحمه الله تعالى لولد الشافعي: «أبوك من الستة الذين أدعو لهم كل ليلة وقت السَّحر».

وقد نقل ابن الجوزي أقوال العلماء وأخبارهم من كتب التراجم والتفسير والتاريخ وعلوم السُّنة، وقد يُفصح أحيانًا عن ذلك، والغالب عدم الإفصاح.

= ويقبل قوله أو يرد بحسب معناه في الشريعة وعدم مصادمته للنصوص المحكمة. أما مرسل التابعي فليس بحجة، لأنه فقد الاتصال بالسند، إلا إذا اعتضد بمرسل آخر أو وافقه قول بعض الصحابة.

انظر: المراجع السابقة في حاشية مرسل الصحابي.

وأبو الفرج من المصنِّفين الذين عكفوا على باب التراجم والتقاط فوائدها، ومن تجاربه ما قيَّده في الخاطرة رقم (١٥٦) حيث قال حول هذا المعنى: «رأيتُ الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب، إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين، وإنما ترق القلوب بذكر رقائق الأحاديث وأخبار السلف الصالحين. وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته. وقد جمعتُ لكل واحدٍ من مشاهير الأخيار كتبًا فيها أخباره وآدابه، فجمعت كتابًا في أخبار «الحسن»، وكتابًا في أخبار «سفيان الثوري» و«إبراهيم بن أدهم»، و«بشر الحافي»، و«أحمد بن حنبل»، و«معروف»، وغيرهم من العلماء والزهاد».

والظاهر أن ابن الجوزي كان يجمع مُلح العلماء وأقوالهم وفوائدهم في كناشة، وهذا مشاهد في مصنفاته لاسيما «صيد الخاطر» ،الذي حوى عشرات الآثار والأخبار حول العلماء وأخبارهم وفوائدهم. وقد يقع في بعض كلامه مبالغات بسبب النقل أو عدم المراجعة، كما في الخاطرة رقم (٣٠٨) حين قال في آخرها:

«وصار في تابعيه من أمته: الفقهاء الذين لو سمع كلامهم الأنبياء القدماء تحيَّروا في حسن استخراجهم، والزهاد الذين لو رآهم الرهبان تحيَّروا في صدق زهدهم، والفطناء الذين لا نظير لهم في القدماء».

وقد أعجبني في منهج ابن الجوزي في نقل أقوال العلماء وأحوالهم نقده الشرعي بلا مجاملة ولا مواربة، فقد نقد شيوخه فذكر محاسنهم ومساوئهم، حتى إنه نقد ابن عقيل أبرز شيوخه الذين تأثر بهم، وساق جملة من أقواله وغلَّطه في بعضها. ففي الخاطرة رقم (٩٤) بيّنَ تخليط العلماء والزهاد. وفي الخاطرة رقم (٩٥) أشار إلى أنه لقي جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون، لكنهم كانوا يتسامحون بغيبة يخرجونها مخرج جرح وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة، ويسرعون بالجواب، لئلا ينكسر الجاه، وإن وقع خطأ. والذى أعتقده أن ابن الجوزي في نقله من المصادر إنما عني أولًا: تربية القارئ وتقريبه إلى الله بدلالته على مواطن القدوة في سِيَر العلماء وأقوالهم وأحكامهم، ولم تكن همّه إشغال القارئ باختلافات المصنفين والعزو إلى المصادر والمراجع إلا في القليل النادر.

ومن يقرأ الخاطرة رقم (٢٦٥) التي تكلَّم فيها عن صفات الأولياء الصالحين التي قال في أولها: «تأملتُ الذين يختارهم الحق عَزَّوَجَلَّ لولايته والقرب منه، فوجدته سبحانه لا يختار إلا شخصاً كامل الصورة، لا عيب في صورته، ولا نقص في خلقته..»، أدرك سبب إكثار ابن الجوزي من مناقب العلماء وفوائدهم.

***

المطلب الثاني
نقد أسانيد أقوال العلماء وأحكامهم

١- قال الإمام أحمد بن حنبل لولد الشافعي: «أبوك من الستة الذين أدعُو لهم كل ليلة وقت السَّحر» الخاطرة رقم (١١).

٢- قال أبو علي الروذباري: «من الاغترار أن تُسيء فيحسن إليك، فتترك التوبة توهمًا أنك تسامح في الهفوات» (الخاطرة رقم ١٢).

٣- قال سرى السقطي: «لما خلق الله الحروف، وقف الألف وسجدت الباء» الخاطرة رقم (١٩).

٤- قال طيفور البسطامي: «تراعنَت عليَّ نفسي، فحلفتُ أن لا أشرب الماء سنة». الخاطرة رقم (١٩).

٥- قال الإمام أحمد بن حنبل: «أكره التقلل من الطعام، فإن أقوامًا فعلوه فعجزوا عن الفرائض». (الخاطرة رقم ١٩).

٦- قال أحمد بن الحواري: «نعم الدليل كنتَ، ولا حاجة لنا إلى الدليل بعد الوصول إلى المدلول».

- قالها لما رمى كتبه في الماء «البحر». الخاطرة رقم (١٩).

٧- قال سفيان الثوري: «حملني شهوة الحديث».- قالها لما أوصى بدفن كتبه مع ندمه على الرواية عن بعض المشايخ-. الخاطرة رقم (١٩).

٨- قال الإمام أحمد بن حنبل: «أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار». الخاطرة رقم (٢٠).

٩- قال الإمام أحمد بن حنبل: «هل يراد بالعلم إلا ما وصل إليه معروف». الخاطرة رقم (٢٥).

١٠- قالت ابنة الربيع بن خثيم: ما لي أرى الناس ينامون وأنت لاتنام؟ فقال: إن أباكِ يخاف عذاب البيات: الخاطرة رقم (٤٠).

١١- قالت الحكماء: «من نظف ثوبه قلَّ همُّه، ومن طاب ريحه زاد عقله». الخاطرة رقم (٥٢).

١٢- قالت الحكماء: «من طال ظفره، قصرت يده». الخاطرة رقم (٥٢).

١٣- قال أبو يزيد: «ما زلتُ أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سقتها وهي تضحك»، الخاطرة رقم (٥٩).

١٤- قال الإمام أحمد بن حنبل: «من ضِيق علم الرجل أن يقلد في دينه الرجال». الخاطرة رقم (٧).

١٥- قال الشبلي: «أحبك الناس لنعمائك، وأنا أحبك لبلائك». الخاطرة رقم (٨١).

١٦- قال بعض السلف: «تسامحت بلقمة، فتناولتها، فأنا اليوم من أربعين سنة إلى خلف». (الخاطرة رقم (٨٥).

١٧- قال بعض العلماء: «هذه هوكلة» الخاطرة رقم (١٦٢) ،قالها العالم لرجل يريد أن يصعد إلى جبل. والهوكلة: البطالة.

١٨- قال الإمام أحمد بن حنبل: «رأيتُ الناس يكرهون الركعتين قبل المغرب فتركتهما» الخاطرة رقم (١٦٧).

١٩- قال علي بن الحسين الواعظ «لقد بكيتُ البارحة من يد نفسي» الخاطرة رقم (٢٣٥).

٢٠- قال ابن الراوندي: «إن تخليد الكفار في النار مزيد من الانتقام ينكره العقل، وينبغي أن يقبل كل ما يقوله العقل ولا يرد بعضه، إذ ليس بعضه بأولى من رد الكل، وتخليد الكفار لا غرض فيه للمُعذِّب ولا للمعذَّبِ، فلا يجوز أن يكون». الخاطرة رقم (٢٣٧).

٢١- قال أبو حامد الغزالي: «شاورت متبوعًا مقدمًا من الصوفية في المواظبة على تلاوة القرآن فمنعني منه!». الخاطرة رقم (٢٥١).

٢٢- قال بعض الحكماء: «من لم يحترز بعقله هلك بعقله». الخاطرة رقم (٢٨٣).

٢٣- قال يحيي بن معاذ: «بئس الأخ أخًا تحتاج أن تقول له: اذكرني في دعائك» (الخاطرة رقم: ٢٨٦).

٢٤- قال الفتح بن شخرف: «قد طال شوقي إليك فعجِّل قدومي عليك». الخاطرة رقم: (٣١٧).

٢٥- قال أبو عبيدة الخواص: «واشوقاه إلى من يراني ولا أراه». الخاطرة رقم (٣١٧).

٢٦- قال أبو زرعة: «كتب إليَّ أبو ثور: إن هذا الحديث قد رواه ثمانية وتسعون رجلًا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي صح منه طرق يسيرة». الخاطرة رقم (٣٣١).

٢٧- قال وهب بن منبِّه: «أوحى الله إلى آدم: ألم أصطنعك لنفسي وأحللتك داري، وأسجدتُ لك ملائكتي؟ فعصيت أمري ونسيت عهدي!» الخاطرة رقم (٣٥٣).

٢٨- قال سري السقطي: «لما خلق الله الحروف، وقف الألف وسجدت الباء» الخاطرة رقم (٣٦٠).

٢٩- قال الإمام الشافعي: «حكمي في أهل الكلام أن يُرْكبوا على البغال ويشهروا، ويقال: وهذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واشتغل بالكلام». الخاطرة رقم (٣٦٦).

٣٠- قال عثمان الباقلاني: «إني وقت الإفطار أحس بروحي أنها تخرج، لأجل اشتغالي بالأكل عن الذكر». (الخاطرة: ٣٦٧).

٣١- أقوال ابن عقيل: (٣١، ٦٠، ٦٩، ٩٨، ١٠١، ١٢٣، ٣١٨، ٣٥٥). أورد ابن الجوزي بعضًا من أقوال شيخه «ابن عقيل» ونقد بعضًا منها، وترك بعضها، ميلًا منه إلى موافقته عليها، وهذا يدل على تأثره بمنهج ابن عقيل الكلامي والمنطقي.

أ: «حكى لي عن ابن عقيل أنه كان يقول عن نفسه: أنا عملتُ في قارب ثم كسر، وهذا غلط، فمن أين له». الخاطرة رقم (٣١).

ب- من قال: إني لا أحب الدنيا فهو كذاب، فإن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما طلب منه ابنه بنيامين، قال: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾[1]، فقالوا: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾[2]، فقال: «خذوه». (الخاطرة رقم: ١٠١).

ج- «الأصلح لاعتقاد العوام ظواهر الآي والسُّنن، لأنهم يأنسون بالإثبات، فمتى محونا ذلك من قلوبهم زالت السياسات والحشمة، وتهافت العوام في الشبهة أحب إليّ من إغراقهم في التنزيه، لأن التشبيه يغمسهم في الإثبات، فيطمعون ويخافون شيئًا قد أنسوا إلى ما يخاف مثله ويرجى، والتنزيه يرمي بهم إلى النفي، ولا طمع ولا مخافة من النفي» الخاطرة رقم: (١٢٣).

د- «إن التبذُّل فيه سبحانه أحسن من التجمُّل في غيره» الخاطرة رقم: (٣١٨).

---

(١) سورة يوسف: الآية(٦٤).

(٢) سورة يوسف: الآية(٦٥).

هـ- «يا رعناء! تقوِّمين الألفاظ ليقال: مناظر، وثمرة هذه أن يقال: يا مناظر كما يقال للمصارع: الفاره.....» الخاطرة رقم (٣٥٥).

إنّ المتأمل في أقوال العلماء السابقة وأحكامهم التي أوردها ابن الجوزي يتبيَّن له الآتي:

١- ابن الجوزي يورد أقوال العلماء الموافقة لمنهج السلف في تزكية النفس وإصلاحها.

٢- ابن الجوزي يورد الأقوال المراد الاستشهاد بها من غير بحث في عللها ورواتها، اعتمادًا على تثبته من مصادر نقولاته الأصيلة عنده.

٣- ابن الجوزي لا يورد قولًا شاذًا أو مخالفًا للإجماع، وإذا احتاج إلى ذلك فإنه يتعقبهُ ويرد عليه.

٤- ابن الجوزي يورد بعض أقوال العلماء بناءً على شهرتها واستفاضتها، وقد يكون في بعض مصادرها تعقب، وهذا نادر عنده.

٥- ابن الجوزي يستدل بأقوال العلماء الموافقين لمذهبه في الجملة، ويندر أن يتعقَّب المخالفين لمذهبه بدون أن يذكر أسباب التعقُّب، وهذا من بدهيات البحث عنده.

٦- لم يبحث ابن الجوزي مسألة التعارض بين أقوال العلماء في المسألة الواحدة.

٧- بعض أقوال العلماء التي أوردها ابن الجوزي ،لا يجوز الاحتجاج بها مطلقًا ،ولا الاستدلال بمعانيها إلا بعد بحث ونظر وتدقيق[١].

❁❁❁

(١) وقد عقَّبتُ على ما يحتاج إلى تعقيب،كل في موضعه.وقد تقدَّم بعضُ ذلك ،والبعض الآخر سيأتي في آخر الكتاب.

خامسًا: الحكايات والقصص والوقائع الشرعية.

المطلب الأول
نقد مصادر الحكايات والقصص والوقائع الشرعية

أورد ابن الجوزي في كتاب «صيد الخاطر» (٥٠) خمسين حكاية وقصة وواقعة. وقد قصد ابن الجوزي من إيرادها إفادة القاري وإيناسه وتشويقه ،وذكر الأمثلة الدالة على صحة ما يدلل عليه من المعاني والقواعد التي تضمن سلامة المرء في دنياه وأخراه.

والحكايات والقصص والوقائع التي يُوردها ابن الجوزي في صيده:

أ- الحكايات والوقائع والقصص المسموعة.

ب- الحكايات والقصص والوقائع المعاصرة.

جـ الحكايات والقصص والوقائع المقروءة.

وقد اعتمد ابن الجوزي على المصادر الشفهية والمشاهدة والمسموعة في سرد الحكايات والقصص والوقائع. فقد عاد إلى المصادر المتنوعة في سبيل استخراج ونقل العبر والحكايات الدالة على سنن الله في خلقه. فقد نقل من مصنفات التاريخ والتراجم والتفسير وأخبار الملوك والأمم، ونقل أيضًا الحكايات التي خاضها مع العوام والوزراء وأهل العلم كقوله: «مرّ بي جَمَّالان تحت جذع

ثقيل، وهما يتجاوبان، بإنشاد النغم وكلمات الاستراحة»(١). وقد سرد ابن الجوزي خواطره مع المشايخ .(٢) وتعدُّ هذه الخاطرة من أنفس ما خطَّه بنان الشيخ في حكاياته مع العلماء. وقد أشار إلى مواطن العبرة في حديثه عن آثار الذنوب والمعاصي، ناقلًا عن بعض المعتبرين قوله: «أطلقتُ نظري فيما لا يحل لي، ثم كنتُ أنتظر العقوبة، فأُلجئتُ إلى سفر طويل لا نية لي فيه، فلقيتُ المشاق، ثم أعقب ذلك موت أعز الخلق عندي، وذهاب أشياء كان لها وقع عظيم عندي، ثم تلافيتُ أمري بالتوبة، فصلح حالي، ثم عاد الهوى، فحملني على إطلاق بصري مرة أخرى، فطمس قلبي وعدمت رقته، واستلب مني ما هو أكثر من فقد الأول» (٣).

وقد يذكر ابن الجوزي العِبر التي وقعت له، وهذا كثير في الكتاب، كقوله: «ترخصتُ في شيء يجوز في بعض المذاهب، فوجدتُ في قلبي قسوة عظيمة..» (٤)، وكقوله: «مما أفادتني تجارب الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحدًا ما استطاع. ولقد احتجتُ في عمري إلى ملاحظة أقوام ما خطر لي قط وقوع الحاجة إلى التلطف بهم»(٥).

---

(١) الخاطرة رقم: (٥٩).

(٢) الخاطرة رقم: (٩٥).

(٣) الخاطرة رقم: (١٢٣؛ وانظر: الخاطرة رقم: ٣٣٤).

(٤) الخاطرة رقم: (١٥٧).

(٥) الخاطرة رقم: (١٥٨).

وسرد الحكايات والقصص والوقائع يطول لكثرتها وتنوعها، فقد استغرقت ثلث الكتاب، ويمكن استنتاج ما يلي:

١- ابن الجوزي يعتمد في سرد الحكايات والقصص والوقائع على مصادر مسموعة ومقروءة ومشاهدة.

٢- ابن الجوزي يذكر مصادره المسموعة والمقروءة والمشاهدة عند الحاجة إلى ذلك.

٣- ابن الجوزي يذكر العبر والفوائد من كل حكاية يوردها ،سواء مما خاضها أو سمع بها.

٤- ابن الجوزي يذكر أحيانًا مصادره فيقول سمعتُ، رأيتُ، نقلتُ، روى فلان.... إلخ.

٥- لم يرتِّب ابن الجوزي مصادره، بل سردها بتقديم بعضها على بعض ،لتكون أنفع للقارئ، ولأنها جاءت أثناء خواطره، فلا حاجة لترتيبها[1].

***

(١) في الخاطرة رقم (٣٧٠) أورد ابن الجوزي قصة «وضَّاح اليمني» لما اختبأ في صندوق. وهذه الشخصية أسطورية في أرجح أقوال العلماء، كما نبَّه على ذلك بعض المحققين كالعلامة محمد بهجة الأثري رحمه الله تعالى.

- انظر: أحمد العلاونة: «ذيل الأعلام» (ص / ٢٥٠) ومجلة المورد ٢٤١٣٣/ ١٤٠٤ هـ: وضاح اليمن حياته وما تبقى من شعره.

المطلب الثاني

نقد أسانيد الحكايات والقصص والوقائع الشرعية

يمكن استنتاج منهج ابن الجوزي في رواية الحكايات والقصص والوقائع فيما يلي:

١- ابن الجوزي يسند الحكايات والوقائع إذا رواها عن شيوخه فقط في الغالب.

٢- ابن الجوزي ينقل بعض حكاياته وقصصه من كتب التاريخ المتقدمة في القرن الثالث والرابع الهجري، وأحيانًا ينقل بعض ما شاهده أو سمعه في عصره.

٣- ابن الجوزي لا يورد القصص والوقائع الضعيفة والمنكرة، بل يحذِّر منها.

٤- ابن الجوزي لا ينقل من الكتب المعروف مصنفوها بالضعف أو التساهل.

٥- ابن الجوزي أمين في نقل الأخبار وسردها.

٦- لم ينقل ابن الجوزي شيئًا من الحكايات والقصص والوقائع إلا بقدر الحاجة ،للاستشهاد والإرشاد والاعتبار.

٧- هناك حكايات وقصص ووقائع استدل بها ابن الجوزي، لكن لا يمكن تعميم معانيها مطلقًا، بل يستدل بها بقدر يعرفه الواعظ والمرشد. فلكل

زمان ومكان أحوال خاصة وأعراف لا تشترك مع غيره،وهذا متواتر في السُّنة النبوية.

٨- هناك قصص أشار إليها ابن الجوزي مع عدم ثبوتها، كقصة وضَّاح اليمن، وهي من القصص المشهورة عند القدماء[1].

٩- ابن الجوزي ينقد مصادره المعاصرة أكثر من غيرها من المصادر الأخرى، وهذه سمة بارزة في مؤلَّفاته [2].

---

(١) الخاطرة رقم: (٣٧٠) .

قلت: هنا فائدة مهمة قلَّ من يتفطَّن لها من الباحثين، وهي التفريق بين غربلة الأحاديث وبين غربلة الأخبار. كل الآثار يجب فحصها من ناحية الإسناد والاتصال والإنقطاع، سواء كانت أحاديثًا أو أخبارًا. لكن الأخبار والقَصص لا يتُشدَّد في غربلتها تشدد الأحاديث، إلا أخبار العقائد والأحكام. ولهذا تجد في آخر كتب آداب الحديث عند المحدِّثين ما يُعنون له ب(ما لا يفتقر كَتبه إلى الإسناد).انظر: الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي(٢/٣١٦)وطبقات المدلِّسين لابن حجر (ص ٢٢٠ -وما بعدها)، وفيه فوائد مهمة عن الإخباريين والزهاد ورواياتهم والحُكم على حالهم. ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/٧٠-٧٧)، ودراسات تاريخية لأكرم ضياء العمري (ص/٢٧) وفيه: « اشتراط الصحة الحديثية في قبول الأخبار التاريخية التي لا تمس العقيدة والشريعة فيه تعسُّف كثير»، والمختصر في علوم التاريخ للكافيجي (ص/٣٢٦) وفيه: «يجوز للمؤرّخ أن يروي في تاريخه قولًا ضعيفًا في باب الترغيب والترهيب والاعتبار، مع التنبيه على ضعفه، لكن لا يجوز ذلك في ذات الباري وفي صفاته ولا في الأحكام»، وانظر بحثًا نافعاً في مجلة جامعة تكريت بعنوان: قواعد تحليل الروايات التاريخية (مجلد: ١٨ عدد ٩: تشرين ٢٠١١م).

(٢) الخواطر: رقم (١٨٣ - ٢١٢ - ٣ - ٢٣٥).

١٠- عناية ابن الجوزي بأسانيد الأحاديث والآثار، آكد من عنايته بأسانيد الحكايات والقصص والوقائع[(١)].

❋❋❋

(١) أشار ابن الجوزي إلى قصة نشر زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالمنشار وإلى قصة كثرة مواشي إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما في الخاطرتين (٨٧) (١٠٢). فالأولى إسنادها منكر وغريب، وقد ساقه الحافظ ابن كثير واستنكره كما في «تاريخه»: (١/ ٥٢٣). وأما الثانية فلا اصل لها. انظر: ابن كثير: «البداية والنهاية» (١/ ٢٣٤).

الفصل الخامس

المخالفات الشرعية في كتاب «صيد الخاطر»

ويشتمل على المباحث التالية:

أ- مخالفات عقدية.

ب- مخالفات لفظية.

جـ- مخالفات عِلميه.

الفصل الخامس
المخالفات الشرعية في كتاب «صيد الخاطر»

المبحث الأول
المخالفات العقدية

وقع ابن الجوزي-عفا الله عنه- في أخطاء عقدية؛ لعدم تمكنه واطلاعه على مذهب أهل السُّنة والجماعة، أو بسبب تقليده وتعصبه لبعض مشايخه، أو لغيرهما من الأسباب. وسوف أسرد تلك المخالفات وأعقب عليها بما تيسر، والله الهادي إلى سواء السبيل:

المخالفة الأولى: تأويل الأسماء والصفات.

المخالفة الثانية: القول بالتفويض.

المخالفة الثالثة: التبرك بالقبور.

ولا شك أن ابن الجوزي لم يتعمَّد المخالفات المذكورة لأنها ابتداع في الدِّين في أصله ووصفه، ولهذا قال في بعض خواطره: «الله الله من مخالطة المبتدعة، وعليكم بالكتاب والسُّنة ترشدوا»[١].

فتأويل الأسماء والصفات الذي عُرف به ابن الجوزي ،**له أسباب ثلاثةٌ تُعرف من خِلال استقراء مصنفاته:**

---

(١) «صيد الخاطر»: الخاطرة رقم:(٢٢٠).

الأول: تقليده لشيوخه لاسيما من تابع منهم أهل الكلام في أقوالهم وآرائهم .

الثاني: استدلاله بروايات ضعيفة وواهية في القول بالتأويل ،كرواية «أبي يعلي» عن الإمام أحمد في قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[1] إن المراد: قدرته وأمره. وهذه الرواية سقيمة لا تثبت عن الإمام أحمد، وقد بيَّن ضعفها وبطلانها غير واحد من الأئمة[2].

الثالث: نفي الصفات وإثباتها بالاستدلالات اللغوية المذكورة في المعاجم والمصنفات اللغوية. وقد وقع منه تأويل صفة اليد بالقدرة والنعمة بسبب هذا المنهج.

أما أقواله في تأويل الأسماء والصفات، فثابتة عنه في كتابه «صيد الخاطر» ،في مواضع أذكرها على حسب ترتيبها في الكتاب:

الموضع الأول: قوله [3]: «ولما تخايلوا صورة عظيمة على العرش، أخذوا يتأوّلون ما ينافي وجودها على العرش: مثل قوله: «ومن أتاني يمشي، أتيته هروله»[4] ،فقالوا: ليس المراد به دنو الاقتراب وإنما المراد قرب المنزل والحظ،

---

(١) هذه المخالفات قاصرة علي كتاب صيد الخاطر دون كتب المؤلِّف الأخرى.

(٢) الفتوى الحموية الكبرى (ص/٥٢٥)، وشرح الواسطية لابن عثيمين(/٢٧٥).

(٣) الخاطرة رقم:٧٩).

(٤) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة: ٣٣١).

وقالوا في قوله تعالى: ﴿يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ﴾[(١)]، هو محمول على ظاهرها في مجيء الذات، فهم يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا».

الموضع الثاني:

وقال أيضًا: «وأثبتوا خلقه باليد، فلو قالوا: خَلق لم يمكن إنكار هذا، بل قالوا: هي صفة تولى بها خلق آدم دون غيره، فأيُّ مزية كانت تكون لآدم!!، فشغلهم النظر في فضيلة آدم عن النظر إلى ما هو يليق بالحق مما لا يليق به، فإنه لا يجوز عليه المس ولا العمل بالآلات، وإنما آدم أضافه إليه. فقالوا نطلق على الله تعالى اسم الصورة لقوله: «خلق آدم على صورته»[(٢)]، فلو كان المراد به الله عَزَّوَجَلَّ، لكان وجه الله سبحانه يشبه وجه هذا المخاصم؛ لأن الحديث كذا جاء ولا وجهًا أشبه وجهك»! .

الموضع الثالث:

وقال أيضًا: وكذلك قالوا في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «إن الله لا يملّ حتى تملوا»[(٣)] قالوا: يجوز أن الله يوصف بالملل فجهلوا اللغة، وما علموا أنه لو كانت

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢١٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ – رقم الحديث: ٧٤٠٥) ومسلم في «صحيحه»: (كتاب الذكر والدعاء – باب الحث على ذكر الله – رقم الحديث: ٢٦٧٥).

(٣) كلاهما متفق عليه.

(حتى) هاهنا للغاية لم تكن بمدح لأنه إذا ملّ حين يمل فأي مدح؟ ،والمعنى لا يمل وإن ملوا. وقالوا في قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «الرحم شجنة من الرحمن تتعلق بحقوي الرحمن»، فقالوا: «الحقوا صفة ذات».

ففي النقول المتقدمة وقع ابن الجوزي-عفا الله عنه- ،في تأويل بعض الأسماء والصفات، فقد أوَّل صفات: الهرولة والإتيان واليد والحقو، الثابتة لله تعالى بلا تكييِّف ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل.

المخالفة الثانية: القول بالتفويض:

يميل ابن الجوزي في كثير من عباراته إلى مذهب أهل التفويض، الذين يثبتون التفويض، ويفوضون علم معانيها إلى الله. بعكس أهل السنة الذين يثبتون الصفات لله تعالى وعلم معانيها، ويردون كيفتها إلى الله تعالى.

قال عفا الله عنه في (الخاطرة ٤٩): «عجبتُ من أقوام يدّعون العلم، ويميلون إلى التشبيه بحملهم الأحاديث على ظواهرها، فلو أنهم أمروها كما جاءت سلموا؛ لأن من أَمَرَّ ما جاء ومرَّ من غير اعتراض ولا تعرض فما قال شيئًا، لا له ولا عليه. ولكن أقوامًا قصرت علومهم ،فرأت أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل، ولو فهموا سعة اللغة لم يظنوا ذلك».

وقال أيضًا: «وكذلك الظاهرية الذين لم يسلموا بالتسليم، فإنه من قرأ الآيات والأحاديث ولم يزد، لم أمله، وهذه طريقة السلف»!!

وقال أيضًا: «ولقد عجبتُ لرجل أندلسي يقال له: ابن عبدالبر، صنَّف كتاب «التمهيد» فذكر فيه حديث النزول إلى السماء الدنيا فقال: هذا يدل على أن الله تعالى على العرش؛ لأنه لولا ذلك لما كان لقوله «ينزل» معنى. وهذا كلام جاهل بمعرفة الله عَزَّوَجَلَّ ،لأن هذا استلف من حِسِّه ما يعرفه من نزول الأجسام ،فقاس صفة الحق عليه». وقال أيضًا: «كان ابن عقيل يقول الأصلح لاعتقاد العوام ظواهر الآي والسُّنن؛ لأنهم يأنسون بالإثبات فمتى محونا ذلك من قلوبهم، زالت السياسات والحشمة، وتهافت العوام في الشبهة أحب إليَّ من إغراقهم في التنزيه، لأن التشبيه يغمسهم في الإثبات، فيطمعون ويخافون شيئًا قد أنسوا إلى ما يُخاف مثله ويرجى والتنزيه يرمي بهم إلى النفي، ولا طمع ولا مخافة من النفي. ومن تدبَّر الشريعة رآها غامسة للمكلفين في التشبيه بالألفاظ التي لا يعطي ظاهرها سواه»[١].

ففي النقول المتقدِّمة يمكن استخلاص ما يلي:

١- ابن الجوزي يتوسع في فهم معاني اللغة وينزلها على نصوص الصفات، وبذلك يقع في تعطيل الله عن بعض صفاته.

٢- ابن الجوزي فرّ من التشبيه إلى التنزيه فوقع في التعطيل.

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة ١٢٤).

٣- ابن الجوزي يطلق على مثبتة الصفات لقب «الظاهرية»، لإجرائهم الصفات على ظاهرها مع علمهم بمعناها، وعدم خوضهم في كيفيتها وكنهها.

٤- ابن الجوزي يتبع طريقة شيخه ابن عقيل في تأويل الصفات والقول بالتفويض.

٥- حال ابن الجوزي في الأسماء والصفات قيَّده ابن تيمية بأحسن عبارة حيث قال: «إن أبا الفرج متناقض في هذا الباب، لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الإثبات، بل له من الكلام في الإثبات نظمًا ونثرًا ما أثبت به كثيرًا من الصفات التي أنكرها في هذا المصنف، «يعني: دفع شبهة التشبيه» ،فهو في هذا الباب مثل كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع الناس، يُثبتون تارة وينفون أخرى في مواضع كثيرة من الصفات، كما هو حال «أبي الوفاء بن عقيل» و«أبي حامد الغزالي»[1]».

قلت: وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ،صحيح لا مرية فيه، فابن الجوزي في كتابه «دفع شبهة التشبيه» مال صراحة إلى تفويض صفات الله تعالى وتأويل بعضها، وأصَّل بعض القواعد المخالفة لأهل السنة والجماعة مثل:

---

(١) ابن تيمية: «مجموع الفتاوى» - عالم الكتب - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ: (٤/ ١٦٩).

١- تسميته لأخبار الصفات إضافات، فقد قرَّر أن «ليس كل مضاف صفة» ثم حكم بأنه «قد ابتدع من سمَّى المضاف صفة»[١].

٢- قوله إن آيات الصفات من المتشابه، فلا ظاهر لها يجب أن تُحمل عليه، حيث قال: «فهل ظاهر الاستواء إلا القعود، وظاهر النزول إلا الانتقال»[٢].

٣- قرَّر في أكثر مصنَّفاته أن إثبات الصفات يؤدي إلى التجسيم[٣]، وهذا القول تلقفه عن المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة ونحوهم من الفِرق المخالفة.

ومن باب الإنصاف لابن الجوزي فإن الشيخ قد أثبت لله تعالى صفة الكلام والاستواء واليد والعلم وغيرها من الصفات ،كما في كثير من مصنفاته، ومنها على الخصوص كتاب «صيد الخاطر».

ومن القواعد الجامعة التي وافق فيها ابن الجوزي منهج السلف الصالح في الأسماء والصفات قوله: «الصفات تابعة لتلك الذات، فلا يجوز لنا أن نقيس

---

(١) «دفع شبه التشبيه»: (ص / ١٠٤ - ١٠٧).

(٢) المرجع نفسه: (ص / ١٠٧).

(٣) «مقدمة تلبيس إبليس»: (١/ ٨٣) تحقيق / أحمد المزيد.

شيئًا منها على ما نفعله ونفهمه، بل نؤمن به ونسلِّمه»[١]. وقوله أيضًا: «وأخبار الصفات تُمَرُّ كما جاءت»[٢].

وقوله: «فإن قيل عِبتَ طريق المقلدين في الأصول وطريقة المتكلمين، فما الطريق السليم من تلبيس إبليس؟ فالجواب: أنه ما كان عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وتابعوهم بإحسان، من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار من غير تنقير ولا بحث عما ليس في قوى البشر إدراكه»[٣].

وللشيخ رَحِمَهُ اللهُ قصيدة دالية في تقرير عقيدة السلف تُعدُّ من أجمل القصائد.

المخالفة الثالثة: التبرك بالقبور:

يميل ابن الجوزي -في بعض كتبه- أحيانًا إلى بدعة التبرك بالقبور، والمقصود بالتبرك بالقبور: اعتقاد البركة في تراب القبر، والدعاء عند القبور، واعتقاد نفعها وبركتها.

---

(١) «صيد الخاطر»: (رقم الخاطرة: ٢٢١).

(٢) ابن الجوزي: «كشف المشكل»، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، (١/ ٢٧٠).

(٣) ابن الجوزي: «تلبيس إبليس» - دار الوطن - الطبعة الأولى - ١٤٢٦هـ (١/ ٥٣١).

فقد ذكر في «صيد الخاطر» (الخاطرة: رقم ٤٦) ما نصُّه: «وكثر ضجيجي من مرضي وعجزت عن طب نفسي، فلجأتُ إلى قبور الصالحين، وتوسلتُ في صلاحي، فاجتذبني لطف مولاي إلى الخلوة على كراهة مني، وردّ قلبي عليَّ بعد نفور عني، وأراني عيب ماكنتُ أوثره».

وقال في (الخاطرة رقم: ٢٠٧): «فهذا معروف كان منفردًا بربه، طَيِّب العيش معه، لذيذ الخلوة به، ثم قد مات منذ أربعمئة سنة، فما يخلو أن يُهدى إليه كل يوم ما تقدير مجموعة أجزاء من القرآن، وأقله من يقف على قبره فيقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[1] ويهديها له، والسلاطين تقف بين يدي قبره ذليلة، وهذا بعد الموت ويوم الحشر تنشر الكرامات التي لا تُوصف، وكذلك قبور العلماء المحققين. ولما بُليت أقوام بمخالطة الأمراء، أثر ذلك التكدير في أحوالهم كلها: فقال سفيان بن عيينة: منذ أخذتُ من مال فلان الأمير، منعت ما كان وهب لي من فهم القرآن ،وهذا أبو يوسف القاضي لا يزور قبره اثنان!».

وقال في (الخاطرة رقم:٢٠٣): «وإني رأيتُ جماعة يُومأ إليهم: منهم من يقول: لا أدفن إلا في دكة أحمد بن حنبل. ويعلم أن في ذلك كسر عظام الموتى، ثم يرى نفسه أهلًا لذلك التصدر، ومنهم من يقول: ادفنوني إلى جانب مسجدي، ظنًا من أنه يصير بعد موته مزارًا كمعروف الكرخي!»[2].

---

(١) سورة الاخلاص: الآية: ١).

(٢) معروف الكرخي: زاهد من الصوفية المشهورين. توفي سنة ٢٠٠ هجرية. انظر: طبقات الصوفية للسُّلمي (ص/٨٠).

مما تقدَّم يمكن استنتاج ما يلي:

أ- ابن الجوزي يميل إلى الاعتقاد بقبور الصالحين كما يظهر من بعض عباراته.

ب- ابن الجوزي ينهى ويحذِّر في بعض مصنفاته من اتخاذ القبور مساجد، حيث قال: «وقد أغرب أهل زماننا بالصلوات عند قبر معروف وغيره، وذلك لغلبة الجهل وملكة العادات»(١).

ج- ابن الجوزي يرى أن أصل عبادة الأوثان والأصنام من تعظيم قبور الأولياء والصالحين؛ حيث قال: «نجد في هذا الزمان أقوامًا من الضُّلال الذين استحوذ عليهم الشيطان يتضرعون عند القبور وعند سماع ذكر مشايخهم ويخشعون عندها، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في المسجد ولا في السَّحر، ومنهم من يسجد للقبر، فهذا هو الشرك بالله نعوذ بالله»(٢).

---

(١) ابن الجوزي: كشف المشكل ٢/ ٥٠).

(٢) تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر:(مخطوط ق / ٤).هذا النقل وجد في هذه المخطوطة المنسوبة لابن الجوزي، ثم طُبعت لاحقاً في دار ابن كثير، لكن في نسبتها لابن الجوزي نظر لعدة وجوه، الأول: ورود أسماء بعض الأعلام في المخطوطة وافاهم الأجل بعد ابن الجوزي مثل: يونس الشيباني المتوفى سنة ٦١٩هـ، والثاني أن أسلوب الطرح والمناقشة لا يشبه أسلوب ابن الجوزي، والثالث أنه قد ورد في الكتاب نقول تشبه كلام ابن الجوزية (ت: ٧٥١هـ)رحمه الله تعالى، فإما أن الكتاب له أو لمعاصر له. والله اعلم.

د- يمكن الجمع بين أقوال ابن الجوزي المضطربة في باب التبرك بالقبور بأن ابن الجوزي قلَّد شيوخه وبعض علماء بلده في الاعتقاد بالقبور، مع عدم الوقوع في الأمور الشركية التي تنافي أصل التوحيد. والله أعلم.



المبحث الثاني
المخالفات اللفظية

المقصود بالمخالفات اللفظية: العبارات والجُمل التي أطلقها أبو الفرج عفا الله عنه في ثنايا خواطره وتحمِلُ في ألفاظها بعض المخالفات الشرعية. وعند تتبعي لخواطر ابن الجوزي وقفتُ على بعض هذا النوع من المخالفات.

١- إطلاق لفظ الخدمة:

أطلق ابن الجوزي لفظ الخدمة على علاقة العبد بربِّه، حيث قال في (الخاطرة رقم:١٩): «رأينا بقاء الآدمي سببًا لمعرفة ربه وطاعته إياه وخدمته، وما كان سببًا لبقاء العارف العابد ،يُمدح ولا يُذَمّ».

وهذا الإطلاق لا يجوز شرعًا؛ لأن ما بين العبد وربه ليس قضاءًا للحوائج؛ لأن الله غني عن عبادةِ العباد، ولا حاجة للخلق أصلًا، فهو ربهم وهم عبيده، أوجدهم ليبتليهم بالتكاليف الشرعية، فمن أطاعه أدخله جنته ومن عصاه أدخله ناره، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾[١] ويبدو أن هذه اللفظة دارجة عُرفًا في بلده ،وأخذها ابن الجوزي سهوًا من المتصوفة ،الذين كانوا يدعونه لاتِّباعهم والاهتداء بهديهم.

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٥).

٢- إطلاق لفظ «الإنسان خليفة الله في الأرض»:

قال ابن الجوزي في (الخاطرة رقم: ٢٥): «إنما يتعدَّى نفع العلماء وهم ورثة الأنبياء وخلفاء الله في الأرض وهم الذين عليهم المعول ولهم الفضل».

وهذا الإطلاق لا يجوز أيضًا؛ لأن الخليفة إنما يكون عن غائب والله سبحانه خليفة الغائب في أهله. ووكيل عبده المؤمن، وفي الحديث الصحيح «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال»[1] ،وانظر (الخاطرة رقم: ٧٠) فقد ذكر فيها المعنى المذكور هنا.

٣- إطلاق لفظ: عبادة الملائكة ساذجة:

قال ابن الجوزي في (الخاطرة رقم:٤٢): «فهل للملائكة من هذه الأشياء؟ وهل ثمَّ إلا عبادة ساذجة، ليس فيها مقاومة طبع ولا رد هوى؟ وهل هي إلا عبادة صورية بين ركوع وسجود وتسبيح؟ فأين عبادتهم المعنوية من عبادتنا؟».

وصف ابن الجوزي عبادة الملائكة بأنها: ساذجة أي لا كلفة ولا مشقة فيها، لكن المتبادر إلى الذهن من هذا الإطلاق التقليل من شأن عبادة الملائكة وطاعتهم، وهذا يوقع في آثام عظيمة لا حاجة للمسلم فيها، بل لا يجوز الخوض في مثل هذه المسائل التي لم نكلَّف في بحثها والسؤال عنها.

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه»: كتاب الدعوات - باب ما يقول إذا خرج مسافرًا - حديث رقم ٣٤٣٩، وإسناده صحيح.

٤- تعليق ابن الجوزي على حديث أهل الغار[1]:

قال ابن الجوزي في (الخاطرة رقم: ٢٨٨)، وكذلك أهل الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة: فإن أحدهم توسل بعمل كان ينبغي أن يستحي من ذكره، وهو أنه عزم على الزنى، ثم خاف العقوبة، فتركه، فليت شعري بماذا يدل من خاف أن يعاقب على شيء فتركه تخوف العقوبة؟ ،إنما لو كان مباحًا فتركه، كان فيه ما فيه، ولو فهم لشغله خجل الهمة عن الإدلال كما قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾[2].

والآخر ترك صبيانه يتضاغون إلي الفجر ليسقي أبويه اللبن، وفي هذا البر أذى للأطفال، ولكن الفهم عزيز. وكأنهم لما أحسنوا فيما ظنوا قال لسان الحال: أعطوهم ما طلبوا، فإنهم يطلبون أجرة ما عملوا ».

ورأيُ ابن الجوزي -عفا الله عنه- فيه مجازفة، فكيف يذم من أثنى عليهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس في فهم أهل الغار ما يقدح في عملهم أو ثوابهم، وليس في توسلهم اعتداء في الدعاء أو أذى للخلق، بل عبودية ظهر لهم فيها صدق إخلاصهم بقرائن وقعت لهم.

---

(١) حديث أهل الغار حديث مشهور أخرجه البخاري في «صحيحه»: (كتاب الأدب - باب إجابة دعاء من بر والديه - حديث رقم ٥٩٧٤، ومسلم في «صحيحه»: (كتاب الذكر والدعاء - باب قصة أصحاب الغار - حديث رقم ٢٧٤٣).

(٢) سورة يوسف: الآية ٥٣).

وابن الجوزي عفا الله عنه، ظهر له إشكال في كون أهل الغار استشفعوا بأعمالهم وطلبوا لها أجرًا. والحقيقة بخلاف ذلك، فإن أهل الغار سألوا الله إن كانت أعمالهم خالصة وقبلت أن يجعل جزاءها الفرج عنهم، والدليل قولهم: «إن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك»، وهذا حجة في أنهم اعتقدوا التقصير في أعمالهم مع حسن إيمانهم وقصدهم، فكان أجرهم إجابة دعائهم وتفريج همِّهم.

٥- تقريره أن أهل الإثبات الآخذين بالظاهر في ضرب المثل: كجُحا:

قال ابن الجوزي في (الخاطرة رقم:٧١): «وجاء آخرون، فلم يقفوا على ما حدّه الشرع، بل عملوا فيه بآرائهم، فقالوا: الله على العرش، ولم يقنعوا بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾[1] ودفن لهم أقوام من سلفهم دفائن ووضعت لهم الملاحدة أحاديث، فلم يعلموا ما يجوز عليه مما لا يجوز، فأثبتوا بها صفات جمهور الصحيح، فمنها آتٍ على توسع العرب، فأخذوا هم على الظاهر، فكانوا في ضرب المثل كجحا..».

ومعلوم أن ابن الجوزي بهذا الوصف يقصد أهل السنة والجماعة الذين يثبتون صفات الله كما جاءت بلا تأويل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل. وهذا اللمز من ابن الجوزي جاء تقليدًا منه لبعض شيوخه، ولأسباب أخرى تكلمتُ عنها في الصفحات السابقة. وسبق الرد عليه بما يغني عن إعادته، والله أعلم.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٤).

٦- إطلاق لفظ قطب الدنيا:

قال ابن الجوزي في (الخاطرة رقم: ٣١): «إلَّا أن الله لا يخلي الأرض من قائم له بالحجة جامع بين العلم والعمل، عارف بحقوق الله تعالى، خائف منه فذلك قطب الدنيا، ومتى مات أخلف الله عوضه، وربما لم يمت حتى يرى من يصلح للنيابة عنه في كل نائبة ومثل هذا لا تخلو الأرض منه، فهو بمقام النبي في الأمة».

يظهر من هذا النص أن ابن الجوزي يميل إلى تصحيح الأحاديث والآثار التي جاءت عند بعض المتصوفة في فضل الأقطاب والأبدال والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد. وقد قال المحققون من أهل العلم كابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى، وغيرهما إنه لا يصح في هذا الباب شيء، وما يذكره أهل الزهد والتصوف من آثار في ذلك كلها باطلة لا يجوز قبولها[١].



---

(١) انظر على سبيل المثال ابن تيمية: «المنار المنيف»: ص / ١٣٦) وابن تيمية «مجموع الفتاوى»: ١١/ ١٦٧).

المبحث الثالث

المخالفات العلمية

المقصود بالمخالفات العلمية: العثرات والزلات المتعلقة بمسائل العلم التي صدرت من ابن الجوزي في بعض خواطره في «صيد الخاطر». وهي إما أن تكون وهمًا أو قولًا ضعيفًا مرجوحًا ، أو نحو ذلك من أسباب الخطأ.

١- زواج موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بابنة شعيب:

أشار ابن الجوزي في (الخاطرة رقم: ١٩) إلى قصة زواج موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ابنة شعيب حيث قال: «وقد أنفق موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من عمره الشريف عشر سنين في مهر ابنة شعيب، فلولا أن النكاح من أفضل الأشياء، لما ذهب كثير من زمان الأنبياء فيه».

إن كان ابن الجوزي يقصد أن موسى صاهر شعيبًا عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ فلم يرد دليل صحيح صريح في هذه المسألة. وإن كان يقصد أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صاهر رجلًا صالحًا يدعى شعيب، فهذا هو الظاهر من روايات التفسير والآثار الشرعية.

٢- هل الموت يُذبح حقيقة يوم القيامة؟:

أشار ابن الجوزي (في الخاطرة رقم: ٤٩) إلى هذه المسألة حيث قال: «أليس في الحديث الصحيح أن الموت يُذبح بين الجنة والنار؟ أو ليس العقل إذا

استفتي في هذا صرف الأمر عن حقيقته. لما ثبت عند من يفهم ماهية الموت فقال: الموت عرض يوجب بطلان الحياة، فكيف يمات الموت؟ فإذا قيل له: فما تصنع بالحديث؟ قال: هذا ضرب مثلًا بإقامة صورة، ليعلم بتلك الصورة الحسية فوات ذلك المعنى». الذي يظهر من كلام ابن الجوزي أنه ينفي أن يكون المذبوح بين الجنة والنار هو الموت حقيقة، إنما هو هيئة، صورها الله لإفهام أهل الجنة والنار بنهاية الموت وفنائه.

والقول الذي عليه المحققون من أهل العلم أن الموت يذبح حقيقة يوم القيامة ويعرفه أهل الجنة والنار، سواء كان على هيئة كبش أو على ما يعرفه ممن يشاهده يوم القيامة. ومن يصرف هذه النصوص عن حقيقتها كالمعتزلة وأتباعهم من أهل التأويل ،فإنهم يخالفون النصوص الصريحة في ذلك والله أعلم(١).

٣- قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الموت: واكرباه!!:

أشار ابن الجوزي في (الخاطرة رقم: ١١٨) إلى مرض الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «هذا نبينا مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقال بالأمس: اليتيم، ويقلب في عجائب يلاقيها من الأعداء تارة، ومن مكائد الفقر أخرى، وهو أثبت من جبل حراء، ثم لما تمَّ له مراده من الفتح، وبلغ الغرض من أكبر الملوك وأهل الأرض، نزل ضيف النقلة فقال: وا كرباه.

---

(١) ابن تيمية: فتاوى ابن تيمية: (٥/ ٣٩٨).

لم أقف على دليل صحيح يفيد بقول الرسول ﷺ عند الموت: «واكرباه»، وقد وردت هذه اللفظة من كلام فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا واكرب أباه، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» ،فلعل ابن الجوزي قلب العبارة سهوًا فنسبها إلى رسول الله ﷺ.

٤- البخاري ومسلم ليسا فقيهين !:

أشار ابن الجوزي في (الخاطرة رقم:١٧٥) إلى مسألة المحدثين الذين قلّت بضاعتهم في الفقه فقال: «إن البخاري ومسلمًا تركا أحاديث أقوام ثقات، لأنهم خولفوا في الحديث، فنقص الأكثرون من الحديث وزادوا، ولو كان ثَم فقه، لعلموا أن الزيادة من الثقة مقبولة، وتركوا أحاديث أقوام لأنهم انفردوا بالرواية عن شخص، ومعلوم أن انفراد الثقة لا عيب فيه، وتركوا من ذلك الغرائب، وكل ذلك سوء فهم، لهذا لم يلتزم الفقهاء هذا وقالوا الزيادة من الثقة مقبولة، ولا يقبل القدح حتى يبين سببه».

هذا النقد بحروفه قرَّره في موضع آخر من كتبه، وهو كتابه الموضوعات (٣٤/١)، وهذا التعقُّب من ابن الجوزي محلُّ نظر، وهو اتهام من أبي الفرج للشيخين بقلة فقههما في معرفة الرجال وشواهد الأحاديث وزوائد المرويات. وكل من أطال النظر في الصحيحين وجد علمًا غزيرًا وفقهًا جامعًا موزونًا.

وقد فَصَّل الإمام أبو بكر الحازمي في كتابه الماتع «شروط الأئمة الخمسة» ما أوجبه الشيخان في حال رواة أحاديثهما وتشددهما في تتبع المرويات الصحيحة والأسانيد الصريحة الخالية من الانقطاع في المرويات الخالية من العلة والشذوذ. وكلامهما -ولله الحمد- قد بلغ الغاية في علم الحديث والفقه، وقد أحسن القائل:

تنازع قومٌ في البخاري ومسلم... لديَّ وقالوا أيُّ هذا مقدَّمُ

فقلت لقد فاز البخاري صحة... كما فاق في حسن الصناعة مسلمُ[(١)]

٥- هل كان ثعلبة بن حاطب بخيلًا؟:

أشار ابن الجوزي في (الخاطرة رقم: ٣١٠) إلى قصة ثعلبة بن حاطب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: «ويحك ما تصنع بادخار مال لا يؤثر حسنة في صحيفة

---

(١) انظر لمزيد الفائدة ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»: (١٧/ ٢٣٦ - ٢٣٧) ،وفيه: «روى مسلم أحاديث قد عرف أنها غلط، والبخاري سلم من مثل هذا، فإنه إذا وقع في بعض المرويات غلط، ذكر المرويات المحفوظة التي تبين غلط الغالط، فإنه كان أعرف بالحديث - أي البخاري- وعلله وأفقه في معانيه من مسلم ونحوه».

وقال أيضًا في المرجع نفسه: (١٨/ ١٩ - ٢٠): «والبخاري: أحذق وأخبر بهذا الفن من مسلم، ولهذا لا يتفقان على حديث إلا يكون صحيحًا لا ريب فيه، قد اتفق أهل العلم على صحته، ثم ينفرد مسلم فيه بألفاظ يعرض عنها البخاري، ويقول بعض أهل الحديث: إنها ضعيفة، وقد يكون الصواب مع من ضعَّفها، وقد يكون الصواب مع مسلم وهذا أكثر».

وقد تقَّدم مناقشة هذه المسألة في المنهج الحديثي لابن الجوزي في الفصل الثالث.

ولا مكرمة في تاريخ؟، أما سمعت بإنفاق أبي بكر وبخل ثعلبة؟! يشير ابن الجوزي إلى قصة يتناقلها الوعاظ والرواة عن ثعلبة عندما سأل رسول الله ﷺ أن يرزقه مالًا، فقال الرسول: ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، أما ترضى أن تكون مثل نبي الله» ،فوعد حاطب رسول الله ﷺ أن يؤدي حق الله في المال إن رزقه الله ذلك. فدعا رسول الله ﷺ أن يرزق حاطبًا، فاغتنى حاطب وكثرت أمواله حتى أشغلته عن ذكر الله وطاعته. فلما جاء سعاة الصدقة إلى حاطب وطلبوا منه الصدقة أبى ذلك، وفعل هذا مع رسول ﷺ ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان رضي الله عنهم.

إلى آخر القصة، ويمكن معرفة تفاصيلها في المصادر الحديثية المشهورة[١].

---

(١) العراقي: «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار» - دار الفكر - الطبعة الأولى - ١٤٠٦هـ: (٣/ ١٣٥).

والواحدي: «أسباب النزول» - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٩ هـ: (ص / ١٩١).

والألباني: «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» - المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ: (٤/ ١١).

وقد روى القصة ابن جرير الطبري في تفسيره: (٦/ ٤٢٤) بأربعة أسانيد عن ابن عباس وأبي أمامة وقتادة والحسن، وهي أسانيد واهية.

وهذه القصة على شهرتها ضعيفة جدًا، وقد بيّن العلماء ضعف سندها وعدم ثبوتها، فلا يجوز الاستشهاد بها ولا الاستدلال بها في المواعظ والأخبار.

٦- زواج الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنساء: هل كان عشقًا ؟!:

أشار ابن الجوزي في (الخاطرة رقم:٨٣) إلى موقف الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من زواجه ببعض نسائه. فقال: «إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختار لنفسه عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وكانت مستحسنة، ورأى زينب فاستحسنها فتزوجها، وكذلك اختار صفية، وكان إذا وصفت له امرأة بعث يخطبها». يمكن تعقب ابن الجوزي على هذه المقالة في النقاط التالية:

١- زواج الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعائشة لم يكن اختيارًا بل تقديرًا من الله تعالى، لحديث «أريتك في المنام ثلاث ليال، جاء بك الملك في سرقة من حرير، فيقول هذه امراتك فكشف عن وجهك، فإذا أنت هي، فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (كتاب النكاح - باب النظر إلى المرآة مثل التزويج - رقم الحديث: ٥١٢٥).

وأخرجه مسلم في «صحيحه»: (كتاب فضائل الصحابة - باب في فضل عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا رقم الحديث ٢٤٣٨).

٢ – زواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من زينب كذلك إنما كان بوحي من الله تعالى، وقول الله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾[1]، نزل في إخفاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبر الإلهي بأن زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ستصير زوجته، وقد فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك خشية أن يقول الناس: تزوج امرأة ابنه.

٣- اختيار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصفية بنت حيي كان لمقصد يعود لحفظ قدر صفية ومنزلتها في قومها، فقد روى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصاب خيبر عنوة وجمع السبي، فجاءه دحية فقال يا رسول الله أعطني جارية من السبي، فقال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيد قريظة والنضير؟ ما تصلح إلا لك: قال «ادعوه بها» قال: فجاء بها فلما نظر إليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خذ جارية من السبي غيرها»[2] قال وأعتقها وتزوجها.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (كتاب الصلاة – باب ما يذكر في الفخذ – رقم الحديث: ٣٧١). ومسلم في «صحيحه» (كتاب النكاح – باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها – رقم الحديث: ١٣٦٥).

٤- لم يكن الهم الأول لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تتبع أوصاف النساء واختيار أجملهن وأحسنهن، بل كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشغولًا بتبليغ الرسالة وتعليم الناس وقضاء حوائجهم، سواء كانوا رجالًا أو نساءً. وزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لحِكم ومصالح شرعية واجتماعية ،يعلمه كل من يطلع على سيرته وسيرة زوجاته.

كانت هذه أهم الوقفات التي تتبعتها في كتاب «صيد الخاطر»، أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجزي مصنِّفه عن الإسلام والمسلمين خيرًا، وأن ينفعنا بعلومه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الفصل السادس
أثر المخالفات الشرعية التي نُوقش فيها ابن الجوزي على الميدان العلمي

الفصل السادس

أثر المخالفات الشرعية التي نُوقش فيها ابن الجوزي على الميدان العلمي

ويشتمل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: رسالة العلثي لابن الجوزي.
- المبحث الثاني: نماذج لكلام ابن الجوزي في الصفات.
- المبحث الثالث: نصوص واستنتاجات من كلام ابن الجوزي.
- المبحث الرابع: أثر المخالفات الشرعية التي نُوقش فيها ابن الجوزي على الميدان العلمي.



توطئة:

وقع ابن الجوزي -رحمه الله تعالى- في زلات عقدية طفحت بها بعض مصنفاته.

ولا ريب أن أبا الفرج ظل ردحًا من الزمن يدعو إلى توحيد الله تعالى وتحقيق مراتب الدِّين وإقامة دعائم الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فهذه الأعمال الجليلة التي أفنى ابن الجوزي عمره في العمل بها ولها؛ تجعل المحقق في معتقد ابن الجوزي يُحسن الظن به وبمنهجه، ويلتمس الأعذار في زلاته، لأنه لم يكن من دعاة البدعة ولا من رؤوس الضلال(١).

غير أن ابن الجوزي وقع في بعض المنافرات بسبب حِدَّته وتعصبه وعدم تسليمه لآراء مخالفيه، فكثر منتقدوه، وعظم اللَّوم عليه من الحنابلة ـ أفراد مذهبه ـ وغيرهم من الطوائف والفرق المتعدِّدة.

---

(١) الصواب أن يقال: وافق ابن الجوزي الجهمية في كذا، والمعتزلة في كذا، والأشاعرة في كذا. وقد وصف بعض المعاصرين عقيدة ابن الجوزي بأنها عقيدة جهمية جَلْدة!، وهذا ظلم وغلو، وهو خالٍ من الأنصاف. انظر:

محمود الحدَّاد: «المقتنى العاطر من صيد الخاطر» - مكتبة آل ياسر - الجيزة - الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ: (ص / ٥). وانظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لابن تيمية(ص/١٠-وما بعدها)، ففيه فوائد عن التماس الأعذار للعلماء الذين لهم جهود في خدمة السُّنة.

وبسبب هذا الاتجاه العقدي عند ابن الجوزي؛ ظل خصومه ينتقدون مسلكه العلمي والأدبي ويرقمون له النصائح والمواعظ كما في رسالة الشيخ إسحاق العَلثِي (ت: ٦٣٤هـ) التي أوردها ابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» وهذا نصها:



المبحث الأول

رسالة العَلثِي لابن الجوزي

مِن « عُبَيْد الله إسحاق بن أحمد بن مُحَمَّد بن غانم العَلثي»[(١)]، إلى عبد الرحمن بن الجوزي، حمانا الله وإياه من الاستكبار عن قبول النصائح، ووفقنا وإياه لاتباع السلف الصالح، وبصَّرنا بالسنة السنية، ولا حرمنا الاهتداء باللفظات النبوية، وأعاذنا من الابتداع في الشريعة المحمدية. فلا حاجة إلى ذلك. فقد تركنا على بيضاء نقية، وأكمل الله لنا الدِّين، وأغنانا عن آراء المتنطعين، ففي كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقنع لكل من رغب أو رهب، ورزقنا الله الاعتقاد السليم، ولا حرمنا التوفيق، فإذا حرمه العبد لم ينفع التعليم، وعرفنا أقدار نفوسنا، وهدانا الصراط المستقيم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وفوق كل ذي علم عليم. وبعد حمد الله سبحانه، والصلاة

---

(١) إسحاق بن أحمد بن مُحَمَّد العَلثي، فقيه حنبلي زاهد، اشتهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنكر على الخليفة الناصر فمن دونه، وواجه الخليفة وصدعه بالحق. سمع من أبي الفتح بن شاتيل، وقرأ بنفسه على ابن الأخضر، وكان فقيهًا عالمًا. له رسائل ونصائح إلى الأعيان. انظر: ابن رجب «ذيل طبقات الحنابلة»: (٢/ ٢١١)، والعليمي «المنهج الأحمد»: (٤/ ٢٢٨)، و«الدر المنَضد»: (١/ ١٦٩) والذهبي: «سير أعلام النبلاء»: (٢٣/ ١٠، ١٣٩)، و«تاريخ الإسلام - وفيات سنة ٦٣٤ هـ».

على رسوله: فلا يخفى أن «الدِّين النصيحة»[١] خصوصًا للمولى الكريم، والرب الرحيم. فكم قد زلَّ قلم، وعثر قدم، وزلق متكلم، ولا يحيطون به علمًا. قال عز من قائل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨﴾[٢].

وأنت يا عبد الرحمن، فما يزال يبلغ عنك ويُسمع منك، ويشاهد في كتبك المسموعة عليك، تذكر كثيرًا ممن كان قبلك من العلماء بالخطأ، اعتقادًا منك: أنك تصدع بالحق من غير محاباة، ولا بد من الجريان في ميدان النصح: إما لتنتفع إن هداك الله، وإما لتركيب حجة الله عليك.

ويحذر الناس قولك الفاسد، ولا يغررك كثرة اطلاعك على العلوم، «فرب مبلَّغٍ أوعى من سامع»[٣]، وربَّ حامل فقه لا فقه له، ورب بحر كَدِر ونهر صاف، فلستَ بأعلم من الرسول، حيث قال الإمام عمر «أتصلي على ابن أُبيّ؟[٤]؟:أنزل القرآن ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم﴾[٥]»، ولو كان لا يُنْكر من قلَّ

(١) أخرجه البخاري: (كتاب الإيمان ـ باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدين النصيحة» رقم الحديث: ٥٧) وأخرجه مسلم: (كتاب الإيمان ـ باب أن الدين النصيحة ـ رقم الحديث: ٩٥).

(٢) سورة الحج: آية رقم: ٨).

(٣) أخرجه البخاري: (كتاب العلم – باب قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُب مبلَّغ أوعى من سامع» – رقم الحديث: ٦٧)، وأخرجه مسلم: (كتاب القسامة – باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال – رقم الحديث: ٢٩).

(٤) أخرجه البخاري: (كتاب التفسير – باب {ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره} – رقم الحديث: ٤٦٧٢)، وأخرجه مسلم: (كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – رقم الحديث: ٢٤٠٠).

(٥) سورة التوبة: الآية ٨٤).

علمه على من كثر علمه إذًا لتعطَّل الأمر بالمعروف، وصرنا كبني إسرائيل؛ حيث قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[١]، بل ينكر المفضول على الفاضل وينكر الفاجر على الولي، على تقدير معرفة الولي. وإلا فأين العنقاءُ لتُطلب وأين السمندلُ، ليُجلب ـ إلى أن قال: واعلم أنه قد كثر النكيرُ عليك من العلماء والفضلاء، والأخيار في الآفاق بمقالتك الفاسدة في الصفات.

وقد أبانوا وَهاء مقالتك، وحكوا عنك أنك أبيت النصيحة، فعندك من الأقوال التي لا تليق بالسُّنة ما يضيق الوقت عن ذكرها، فذُكر عنك: أنك ذكرتَ في الملائكة المقربين، الكرام الكاتبين، فصلًا زعمتَ أنه مواعظ[٢]، وهو تشقيق وتفهيق، وتكلُّف بشع، خلا أحاديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلام السلف الصالح لا يخالف سنة، فعمدتَ وجعلتها مناظرة معهم.

فمن أذن لك في ذلك؟ وهم مستغفرون للذين آمنوا، ولا يستكبرون عن عبادة الله. وقد قرن شهادته بشهادتهم قبل أولي العلم.

وما علينا كان الآدمي أفضل منهم أم لا، فتلك مسألة أخرى. فشرعت تقول: إذا ثارت نار الحسد فمن يطفيها؟ وفي الغيبة ما فيها، مع كلام غَثّ.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٩).

(٢) يشير العَلثي إلى مسألة تفضيل صالحي البشر على الملائكة، وقد عقد لها ابن الجوزي فصلًا في «صيد الخاطر»: (ص /٦٧ - ٦٩).

أليس منا فلان؟ ومنا فلان؟ ومنا الأنبياء والأولياء. مَن فعل هذا من السلف قبلك؟ ولو قال لك قائل من الملائكة: أليس منكم فرعون وهامان؟ أليس منكم من ادَّعى الربوبية؟ فعمَّن أخذتَ هذه الأقوال المحدثة، والعبارات المزوَّقة، التي لا طائل تحتها وقد شغلتَ بها الناس عن الاشتغال بالعلم النافع؟! أحدُهم قد أُنسي القرآن وهو يعيد فضل الملائكة ومناظرتهم، ويتكلم به في الآفاق. فأين الوعظ والتذكير من هذه الأقوال الشنيعة البشعة؟.

ثم تعرضتَ لصفات الخالق تعالى، وكأنها صَدَرَتْ لا من صدرٍ سكنَ فيه احتشام العلي العظيم، ولا أملاها قلبٌ مُلِئ بالهيبة والتعظيم، بل من واقعات النفوس البهرجية الزيوف.

وزعمتَ أن طائفة من أهل السنة والأخيار تلقَّوها وما فهموا. وحاشاهم من ذلك. بل كفوا عن الثرثرة والتشدُّق، لا عجزًا ـ بحمد الله ـ عن الجدال والخصام، ولا جهلًا بطرق الكلام. وإنما أمسكوا عن الخوض في ذلك عن علم ودراية، لا عن جهلٍ وعماية.

والعجب ممن ينتحل مذهب السلف، ولا يرى الخوض في الكلام. ثم يُقْدِمُ على تفسير ما لم يره أولًا، ويقول: إذا قلنا كذا أدَّى إلى كذا، ويقيس ما ثبت من صفات الخالق على ما لم يثبت عنده. فهذا الذي نهيتَ عنه؟!، وكيف تنقضُ عهدك وقولك بقول فلان وفلان من المتأخرين؟ فلا تشمت بنا المبتدعة.

فيقولون: تنسبوننا إلى البدع وأنتم أكثر بدعًا منا، أفلا تنظرون إلى قول من اعتقدتم سلامة عقده، وتثبتون معرفته وفضله؟ كيف أقول ما لم يقل؟، فكيف

يجوز أن تتبع المتكلمين في آرائهم، وتخوض مع الخائضين فيما خاضوا فيه، ثم تنكر عليهم؟ هذا من العجب العجيب. ولو أن مخلوقًا وصف مخلوقًا مثله بصفات من غير رؤية ولا خبر صادق. لكان كاذبًا في إخباره. فكيف تصفون الله سبحانه بشيء ما وقفتم على صحته، بل بالظنون والواقعات، وتنفون الصفات التي رضيها لنفسه، وأخبر بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنقل الثقات الأثبات، بيَحْتملُ، ويحتمل.

ثم لك في الكتاب الذي أسميته «الكشف لمشكل الصحيحين»(١) مقالات عجيبة، تارة تحكيها عن «الخطابي»(ت: ٣٨٨هـ) وغيره من المتأخرين، أطَّلع هؤلاء على الغيب؟ وأنتم تقولون: لا يجوز التقليد في هذا، ثم ذكره فلان، ذكره «ابن عقيل»، فنريد الدليل من الذَّاكرِ أيضًا، فهو مجرَّد دعوى، وليس الكلام في الله وصفاته بالهيِّن لِيُلْقى إلى مجاري الظنون ـ إلى أن قال:

إذا أردتَ: كلام ابنِ عقيلٍ العالمُ، وإذا أردتَ: صار لا يفهمُ، أوهيتَ مقالته لما أردتَ. ثم قالَ:

وذكرتَ الكلام المحدث على الحديث: ثم قلت: والذي يقع لي. فبهذا تقْدُمُ على الله، وتقول: قال علماؤنا، والذي يقع لي. تتكلمون في الله عَزَّوَجَلَّ

---

(١) وقد طبع بتحقيق د. علي حسين البواب، بدار الوطن بالرياض. سنة ١٤١٨هـ.

بواقعاتكم تخبرون عن صفاته؟ ثم ما كفاك حتى قلت: هذا من تحريف بعض الرواة تحكمًا من غير دليل(١).

وما رويت عن ثقة آخر أنه قال: قد غيَّره الراوي فلا ينبغي بالرواة العدولِ: أنهم حرَّفوا، ولو جوزتم لهم الرواية بالمعنى، فهم أقرب إلى الإصابة منكم. وأهل البدع إذًا كلما رويتم حديثًا ينفُرُون منه، يقولون: يحتمل أنه من تغْيِير بعض الرواة.

فإذا كان المذكور في الصحيح المنقول من تحريف بعض الرواة، فقولكم ورأيكم في هذا يحتمل أنه من رأي بعض الغواة!!.

وتقول: قد انزعج الخطَّابي لهذه الألفاظ. فما الذي أزعجه دون غيره؟، ونراك تبني شيئًا ثم تنقضه، وتقول: قد قال فلان وفلان، وتنسب ذلك إلى إمامنا أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومذهبه معروف في السكوت عن مثل هذا، ولا يفسِّره، بل صحَّح الحديث، ومنع من تأويله.

وكثير ممن أخذ عنك العلم إذا رجع إلى بيته علم بما في عَيبته من العيب، وذمَّ مقالتك وأبطلها.

---

(١) تُنظر هذه المسألة في الفصل الخامس في مبحث (المخالفات الشرعية في صيد الخاطر) من هذه الكتاب.

وقد سمعنا عنك ذلك من أعيان أصحابك المحبوبين عندك، الذين مدحتهم بالعلم، ولا غرض لهم فيك، بل أدَّوا النصيحة إلى عباد الله، ولك القول وضدَّه منصوران. وكل ذلك بناء على الواقعات والخواطر.

وتدَّعي أن الأصحاب خلطوا في الصفات، فقد قُبِحت أكثر منهم، وما وسعتك السُّنة. فاتق الله سبحانه. ولا تتكلم فيه برأيك فهذا خبر غيب، لا يُسْمع إلا من الرسول المعصوم، فقد نصبتم حربًا للأحاديث الصحيحة.

والذين نقلوها نقلوا شرائع الإسلام. ثم لك قصيدة مسموعة عليك في سائر الآفاق، اعتقدها قوم، وماتوا بخلاف اعتقادك الآن فيما يبلغ عنك، وسُمع منك منها:

ولو رأيت النار هَبَّت، فعدت	**تحرق أهل البغي والعناد**
وكلما ألقى فيها حطمت	**وأهلكته، وهي في ازدياد**
فيضع الجبار فيها قدمًا	**جلت عن التشبيه بالأجساد**
فتنزوي من هيبته، وتمتلي	**فلو سمعت صوتها ينادي**
حسبي حسبي، قد كفاني ما أرى	**من هيبة أذهبت اشتداد**
فاحذر مقال مبتدع في قوله	**يروم تأويلًا بكل وادي**[1]

---

(١) تُسمى هذه القصيدة «الدالية في السُّنة» وهي مخطوطة في ثلاث ورقات - توجد صورة منها في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم (١٧٠٢/ ٨) عن جامعة «برنستون» بأمريكا. وهي في كثير من أبياتها -في الجملة- تطابق معتقد أهل السنة والجماعة.

فكيف هذه الأقوال: وما معناها؟ فإنا نخاف أن تحدث لنا قولا ثالثًا، فيذهب الاعتقاد الأول باطلًا. لقد آذيت عباد الله وأضللتهم، وصار شغلك نقل الأقوال فحسب.

وابن عقيل سامحه الله، قد حكى عنه: أنه تاب بمحضر من علماء وقته من مثل هذه الأقوال، بمدينة السلام عمرها الله بالإسلام والسُّنة، فهو بريءٌ -على هذا التقدير- مما يوجد بخطِّه، أو يُنسب إليه، من التأويلات، والأقوال المخالفة للكتاب والسُّنة[١].

وأنا وافدة الناس والعلماء والحفَّاظ إليك، فإما أن تنتهي عن هذه المقالات، وتتوب التوبة النصوح، كما تاب غيرك، وإلا كشفوا للناس أمرك، وسيَّروا ذلك في البلاد وبيَّنوا وجه الأقوال الغَثَّةِ، وهذا أمر تُشُورِ فيه، وقُضي بليل، والأرض لا تخلو من قائم لله بحجة، والجرح لا شك مقدَّم على التعديل، والله على ما نقول وكيل، وقد أعذر من أنذر.

وإذا تأوَّلت الصفات على اللغة، وسوَّغته لنفسك[٢]، وأبيتَ النصيحة، فليس هو مذهب الإمام الكبير أحمد بن حنبل قدَّس الله روحه، فلا يمكنك

(١) تحدث ابن الجوزي عن توبة «ابن عقيل» في «المنتظم»: (١٦/ ١٤٣ - ١٤٤).

(٢) ابن الجوزي سوَّغ كثيرًا من التأويل لنصوص الصفات في بعض كتبه، ولاسيما كتابه «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه» وهذا الكتاب نقض فيه ابن الجوزي ما قعَّده في مواضع من كتبه وافق فيها معتقد أهل السنة والجماعة!.

الانتساب إليه بهذا، فاختر لنفسك مذهبًا، إنْ مُكنتَ من ذلك، وما زال أصحابنا يجهرون بصريح الحق في كل وقت ولو ضُربوا بالسيوف، لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يبالون بشناعة مشنِّع، ولا كذبِ كاذبٍ، ولهم من الاسم العذب الهني، وتركهم الدنيا وإعراضهم عنها اشتغالًا بالآخرة: ما هو معلوم معروف.

ولقد سَّودتَ وجوهنا بمقالتك الفاسدة، وانفرادك بنفسك، كأنك جبَّار من الجبابرة، ولا كرامة لك ولا نُعْمى، ولا نُمكنك من الجهر بمخالفة السنة، ولو استقبل من الرأي ما استدبر: لم يحك عنك كلام في السهل، ولا في الجبل، ولكن قدَّر الله، وما شاء فعل، بيننا وبينك كتاب الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1] ولم يقل: إلى ابن الجوزي. وترى كل من أنكر عليك نسبته إلى الجهل، ففضل الله أُوتيته وحدك؟!

وإذا جَهَّلت الناس فمن يشهد لك أنك عالم؟، ومن أجهل منك، حيث لا تصغي إلى نصيحة ناصح؟ وتقول: من كان فلان، ومن كان فلان؟ من الأئمة الذين وصل العلم إليك عنهم، من أنت إذًا؟ فلقد استراح من خاف مقام ربِّه، وأحجم عن الخوض فيما لا يعلم، لئلا يندم.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩).

فانتبه يا مسكين قبل الممات، وحَسِّن القول والعمل، فقد قرب الأجل، لله الأمر من قبل ومن بعد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [١].

ورسالة العَلثي هذه اشتملت على ست دعاوى:

الأولى: إساءة ابن الجوزي الأدب في وصفه لعبادة الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بأنَّها ساذجة.

الثانية: زعم ابن الجوزي أنَّ أهل السنة والجماعة ما فهموا صفات الله تعالى.

الثالثة: قول ابن الجوزي بالقياس في صفات الله تعالى.

الرابعة: تقليد ابن الجوزي لمن ضَلّ من العلماء في باب صفات الله تعالى.

الخامسة: وقوع ابن الجوزي في التخليط والتحريف في صفات الله تعالى.

السادسة: تأويل ابن الجوزي لصفات الله تعالى.

وقبل التحقُّق من صحة دعاوى أبي إسحاق العَلثي لابُدّ من التنبيه على أمرين:

الأول: أنَّ ابن الجوزي ليس من علماء السنة والجماعة ،الذين حرَّروا المسائل العقديَّة.

---

(١) ابن رجب: «الذيل على طبقات الحنابلة» - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ: (٢/ ٨٠ - ٨٤).

الثاني: أنَّ أغلب الأخطاء العقدِّية التي وقع فيها ابن الجوزي إمَّا أخطاء سببها الاجتهاد أو التقليد.

والرجل له تحريرات قيمة في تنزيه الباري تعالى عن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه، وله تقعيدات مهمة في أبواب الإيمان والتوحيد تدل على تمسكه بالسُّنة وإقراره بمنهج الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام- في إثبات صفات الله تعالى كما أنزلها الله من غير تحريف ولا تبديل.



المبحث الثاني

نماذج لكلام ابن الجوزي في الصفات

يقول ابن الجوزي رحمه الله تعالى:

أ: «اعلم أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات، وصفاته ليست كالصفات، وأفعاله لا تقاس بأفعال الخلق»[(١)].

ب: لا يجوز أن يكون استوى كما يُعْلَم، ولا يجوز أن يكون محمولًا، ولا أن يوصف بملاصقة ومسٍّ، ولا أن ينتقل ولا يخفى عليك أن المراد بتقليب القلوب بين إصبعين الإعلام بالتحكم في القلوب، «ولا يحتاج إلى تأويل من قال: الإصبع: الأثر الحسن، فالقلوب بين أثرين من آثار الربوبية، وهما: الإقامة، والإزاغة. ولا إلى تأويل من قال: يداه: نعمتاه لأنه إذا فهم أن المقصود الإثبات، علمنا المقصود بذكر ذلك. وأصلح ما نقول للعوامّ: أمّروا هذه الأشياء كما جاءت، ولا تتعرَّضوا لتأويلها، وكل ذلك يقصد به حفظ الإثبات، وهذا الذي قصده السلف، وقد كان أحمد يمنع من أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، كل ذلك ليحمل على الاتِّباع، وتبقى ألفاظ الإثبات على حالها»[(٢)].

---

(١) «صيد الخاطر»: (ص / ٢٩٤).

(٢) المرجع نفسه: (ص/ ٩٤).

جـ: «إن إثبات الإله بظواهر الآيات والسُّنن، ألزم للعوامّ من تحديثهم بالتنزيه، وإن كان التنزيه لازمًا»(١).

د: «فينبغي أن يوقف في إثباته على دليل وجوده، ثم يستدل على جواز بعثة رسله، ثم تُتَلقّى أوصافه من كتبه ورسله، ولا يزاد على ذلك، ولقد بحث خلق كثير عن صفات الله بآرائهم، فعاد وبالُ ذلك عليهم»(٢).

هـ: «من المخاطرات العظيمة تحديث العوامّ بما لا تحتمله قلوبهم، أو بما قد رسخ في نفوسهم ضدُّهُ».

مثاله: أن قومًا قد رسخ في قلوبهم التشبيه، وأن ذات الخالق سبحانه ملاصقة للعرش!، وهي بقدر العرش، ويفضل من العرش أربع أصابع! ،وسمعوا مثل هذا من أشياخهم، وثبت عندهم أنه إذا نزل وانتقل إلى السماء الدنيا فخلت من ست سماوات!!، فإذا دعي أحدهم إلى التنزيه، وقيل له: ليس كما خطر لك، وإنما ينبغي أن تُمَرّ الأحاديث كما جاءت، من غير مساكنة ما توهمته، **صعب هذا عليه لوجهين:**

أحدهما: لغلبة الحسّ عليه، والحسُّ على العوام أغلب.

---

(١) المرجع نفسه: (ص/١٧٠).

(٢) المرجع نفسه: (ص/٧٠).

الثاني: لما قد سمعه من ذلك من الأشياخ الذين كانوا أجهل منه، فالمخاطب لهذا مخاطر بنفسه. ولقد بلغني عن بعض من كان يتديَّن ممن قد رسخ في قلبه التشبيه، أنه سمع من بعض العلماء شيئًا من التنزيه، فقال: «والله لو قدرتُ عليه لقتلته»(١).

و: «على العامي أن يؤمن بالأصول الخمسة: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويقنع بما قال السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق، والاستواء حق، والكيف مجهول. وليعلم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكلِّف الأعراب سوى مجرَّد الإيمان، ولم تتكلم الصحابة في الجواهر والأعراض، فمن مات على طريقهم مات مؤمنًا سليمًا من بدعةٍ، ومن تعَّرض لساحل البحر، وهو لا يحسن السباحة، فالظاهر غرقه»(٢).

ز: «الحق سبحانه لا تُقاس أفعاله على أفعالنا ولا تُعَلَّل، والذي يوجب علينا التسليم أن حكمته فوق العقل، فهي تقضي على العقول، والعقول لا تقضي عليها، ومن قاس فعْلَه على أفعالنا، غلط الغلط الفاحِش»(٣).

ح: «إيَّاك إيَّاك أن تقيس شيئًا من أفعاله على أفعال الخلق، أو شيئًا من صفاته، أو ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنك إن حفظت هذا، سلمتَ من التشبيه

---

(١) المرجع نفسه: (ص/ ٣٧٨).

(٢) «صيد الخاطر»: (ص/٣١٦).

(٣) المرجع نفسه: (ص/٢٩٥).

الـذي وقـع فيـه مـن رأى الاسـتواء اعتمـادًا والنـزول نقلـةً، ونجـوت مـن الاعتراض الذي أخرج قومًا إلى الكفر حتى طعنوا في الحكمة»[١].

ط: «ومـن أضـرّ الأشـياء علـى العـوامّ: كـلام المتـأولين والنفـاة للصـفات والإضافات، فإن الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– بالغوا في الإثبات، ليتقرر في أنفس العوامّ وجود الخالق، فإن النفوس تأنس بالإثبات، فإذا سمع العامي ما يوجب النفي، طرد عن قلبه الإثبات، فكان أعظم ضرر عليه، وكان هذا المنزِّه من العلماء ـ على زعمه ـ مقاومًا لإثبات الأنبياء– عليهم الصلاة والسلام– بالمحو، وشارعًا في إبطال ما يفتنون به، وبيان هذا: أن الله تعالى أخبر باستوائه على العرش، فأنست النفوس إلى إثبات الإلـه ووجـوده: قـال تعـالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾[٢]، وقـال تعـالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[٣]، وقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾[٤].

وأخبر الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن الله ينزل إلى السماء الدنيا[٥].

---

(١) المرجع نفسه: (ص/٢٩٥).

(٢) سورة الرحمن: الآية: ٢٧).

(٣) سورة المائدة: الآية: ٦٤).

(٤) سورة الفتح: الآية: ٦).

(٥) كما في حديث النزول الذي أخرجه البخاري: (كتاب التهجد – باب الدعاء والصلاة من آخر الليل – رقم الحديث: ١١٤٥) وأخرجه مسلم: (كتاب صلاة المسافرين – باب الترغيب في الدعاء – رقم الحديث:١٧٧٢).

وقال: «قلوب العباد بين إصبعين»[١]. وقال: «كتب التوراة بيده»[٢].

و«كتب كتابًا عنده فوق العرش»[٣]. إلى غير ذلك مما يطول ذكره. فإذا امتلأ العامي والصبي من الإثبات وكاد يأنس من الأوصاف بما يفهمه الحسّ، قيل له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٤]، فمحا من قلبه ما نقشه الخيال، وتبقى ألفاظ الإثبات متمكنة»[٥].

ي: «ينبغي لمن آمن بالله تعالى أن يسلِّم له في أفعاله، ويعلم أنه حكيم ومالك، وأنه لا يعبث، فإن خفيت عليه حكمة فعله، نسب الجهل إلى نفسه وسلَّم للحكيم المالكِ، فإذا طالبه العقل بحكمة الفعل، قال: ما بانت لي، فيجب عليّ تسليم الأمر لمالكه»[٦].



---

(١) أخرجه مسلم: (كتاب القدر – باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء – رقم الحديث: ٢٦٥٤).

(٢) أخرجه البخاري: (كتاب القدر – باب تحاج آدم وموسى عند الله – رقم الحديث: ٦٦١٤)، وأخرجه مسلم: كتاب القدر – باب حجاج آدم وموسى – رقم الحديث: ٦٧٤٢).

(٣) أخرجه البخاري: (كتاب بدء الخلق – باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ – رقم الحديث: (٣١٩١)، وأخرجه مسلم: (كتاب التوبة – باب في سعة رحمة الله – رقم الحديث: (٦٩٦٩).

(٤) سورة الشورى: الآية: ١١).

(٥) «صيد الخاطر»: (ص/ ٩٣).

(٦) المرجع نفسه: (ص/ ٤١٨).

المبحث الثالث

نصوص واستنتاجات من كلام ابن الجوزي

هذه التحريرات المتينة التي وافق فيها ابن الجوزي-رحمه الله تعالى- علماء السُّنة والجماعة؛ هي قواعد عقدية من كتاب «صيد الخاطر» ،وإلا فله تحريرات أخرى رقمها في بعض مصنفاته، كقوله: «أيها السامع لما جاء من أحاديث الصفات والآثار المشكلات، سلِّم الأمور إلى باريها، واترك تأويلها إن كنت تاليها وقاريها»[(١)].

وكقوله: «لا ينبغي للواعظ أن يتكلم في الأصول، إلا أن يقول: القرآن كلام لله غير مخلوق، وأخبار الصفات تُمَرُّ كما جاءت»[(٢)] ،وقوله أيضًا: «جادة التسليم سليمة، وادي النقل بلا نقع، أنزل عن علو غلو التشبيه، ولا تعلُ قللِّ أباطيل التعطيل، فالوادي بين جبلين، المشبِّه متلوث بقرب التجسيم، والمعطل بخسٌ بدم الجحود، ونصيب المحق لبن خالِص هو التنزيه»[(٣)].

وغيرها مما هو مبثوث في مصنَّفاته. لكن المتأمل لمعتقد ابن الجوزي في باب الأسماء والصفات يلحظ أن أبا الفرج لم يَثْبُتْ على إثبات الأسماء

---

(١) ابن الجوزي: «بستان الواعظين»: (ص/ ١١١).

(٢) ابن الجوزي: «القصاص والمذكرين»: (ص/٣٦٧).

(٣)ا بن الجوزي: «المدهش»: (ص/ ١٣٧).

والصفات كما لم يثبت على نفيها، بل كان يميل تارة إلى الإثبات، وتارة إلى النفي.

ولهذا قال أبو العباس أحمد بن تيمية (ت:٧٢٨هـ)رحمه الله تعالى: «إن أبا الفرج نفسه متناقض في هذا الباب، لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الإثبات، بل له كلام في الإثبات نظمًا ونثرًا، ما أثبت به كثيرًا من الصفات التي أنكرها في هذا المصنَّف. فهو في هذا الباب مثل كثير من الخائضين في هذا الباب من أنواع الناس، يثبتون تارة وينفون أخرى في مواضع كثيرة من الصفات، كما هو حال أبي الوفاء ابن عقيل وأبي حامد الغزالي»[(١)].

وهذا الحكم الذي أصدره شيخ الإسلام ابن تيمية –برَّد الله مضجعه– هو عين العدل والصواب، وهو حكم إمامٍ قلَّب جميع مصنَّفات ابن الجوزي، فوقف على بحوثها وآرائها ومسائلها.

وقد وجدتُ أثناء دراستي لكتاب «صيد الخاطر» ،صحة ما تبنَّاه ابن تيمية في الحُكم على معتقد ابن الجوزي وهو القول الوسط المطابق لحقيقة آراء ابن الجوزي واعتقاده. فليس من الحِكمة ولا من الإنصاف أن يقال إن ابن الجوزي كان جهميًا، كما هو رأي بعض المعاصرين. وليس من العدل أن يقال إن ابن الجوزي كان من أئمة أهل السنة والجماعة!

---

(١) ابن تيمية: «مجموع الفتاوى»: (٤/ ١٦٩).

ولعلّ تذبذب أبي الفرج في باب المعتقد واضطرابه يعودُ إلى ثلاثة أسباب:

الأوّل: تأثُّره ببعض آراء المذاهب العقديَّة المنحرفة عن جادّة السلف.

الثاني: عدم رسوخه في باب الاعتقاد.

الثالث: اعتماده على كتبه ومحفوظاته دون الرجوعِ إلى العلماء المحقِّقين.

وقد وجدتُ خمسة نصوص مهمةٍ في ثنايا كتاب «صيد الخاطر»، تؤكِّد ما ذهبتُ إليه من أسباب لاضطراب معتقده وتذبذب مذهبه.

النصّ الأوّل: «عجبتُ من أقوام يدَّعون العلم، ويميلون إلى التشبيه، بحملهم الأحاديث على ظواهرها، فلو أنهم أمرُّوها كما جاءت؛ سلموا، لأنَّ من أمرَّ ما جاء ومرَّ من غير اعتراض ولا تعرض، فما قال شيئًا، ولا له ولا عليه، فكذلك الظاهرية الذين لم يسلِّموا بالتسليم، فإنه من قرأ الآيات والأحاديث ولم يزِدْ، لم ألُمْهُ، وهذه طريقة السلف»[1].

النصّ الثاني: «ولقد عجبتُ لرجل أندلسي يقال له: ابن عبد البَر، صنَّف كتاب «التمهيد»، فذكر فيه حديث النزول إلى السماء الدنيا، فقال: هذا يدلُّ على أن الله تعالى على العرش، لأنه لولا ذلك، لما كان لقوله: «ينزل» معنًى. وهذا كلام جاهل بمعرفة الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن هذا استسلف من حِسِّه ما يعرفه من نزول الأجسام، فقاس صفة الحق عليه»[2].

---

(١) «صيد الخاطر» (ص/ ٧٧).

(٢) المرجع نفسه: (ص/ ٧٧ - ٧٨).

النصّ الثالث: «كان ابن عقيل يقول: الأصلح لاعتقاد العوامّ ظواهر الآي والسنن لأنهم يأنسون بالإثبات، فمتى محونا ذلك من قلوبهم، زالت السياسات والحشمة، وتهافت العوامّ في الشبهة أحبّ إليَّ من إغراقهم في التنزيه، لأن التشبيه بغمسهم في الإثبات، فيطمعون ويخافون شيئا قد أنسوا إلى ما يخاف مثله ويرجى، والتنزيه يرمي بهم إلى النفي، ولا طمع ولا مخافة من النفي. ومن تدبر الشريعة؛ رآها غامسة للمكلفين في التشبيه بالألفاظ التي لا يعطي ظاهرها سواه، كقول الأعرابي: أو يضحك ربنا؟ قال: «نعم»[١]؛ فلم يكفهرَّ من هذا القول»[٢].

النص الرابع: «إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نصب أعلامًا تأنس بها النفوس وتطمئن إليها، كالكعبة، وسماها بيته، والعرش، وذكر استواءه عليه، وذكر من صفاته اليد والسمع والبصر والعين، وينزل إلى السماء الدنيا ويضحك، وكل هذا لتأنس النفوس بالعادات، وقد جلّ عما تضمنته هذه الصفات من الجوارح»[٣].

---

(١) أخرجه ابن ماجه: (المقدمة ـ باب فيما أنكرت الجهيمة - رقم الحديث: ١٧٧). وإسناده ضعيف.

(٢) «صيد الخاطر»: (ص / ١٧٠).

(٣) «صيد الخاطر»: (ص٢٤٧).

النص الخامس: «ودفن لهم أقوام من سلفهم دفائن، ووضعت لهم الملاحدة أحاديث، فلم يعلموا ما يجوز عليه مما لا يجوز، فأثبتوا بها صفات جمهور الصحيح منها آتٍ على توسع العرب، فأخذوا هم على الظاهر فكانوا في ضرب المثل كجُحا، ولما تحايلوا صورة عظيمة على العرش، أخذوا يتأولون ما ينافي وجودها على العرش: مثل قوله: «ومن أتاني يمشي، أتيته هرولةً»[١]، فقالوا: ليس المراد دنوّ الاقتراب، وإنما المراد قرب المنزل والحظِّ!!».

«وقالوا في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ﴾[٢]: «هو محمول على ظاهرها في مجيء الذات. فهم يُحلُّونه عامًا ويحرِّمونه عامًا. ويسمُّون الإضافات إلى الله تعالى صفات، فإنه قد أضاف إليه النفخ والرُّوح»[٣].

فابن الجوزي في هذه النصوص يقول بالتفويض في أسماء الله وصفاته، ويزعم أنه مذهب السلف، وقد قرَّر هذا المذهب الباطل في كتابه «دفع التشبيه بأكفّ التنزيه»[٤]. وفي النصّ الثاني قال ابن الجوزي بالقياس لتنزيه الباري

---

(١) أخرجه البخاري: (كتاب التوحيد ـ باب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ - رقم الحديث: ٧٤٠٥، وأخرجه مسلم: (كتاب الذكر والدعاء - باب الحث على ذكر الله ـ رقم الحديث: ٦٨٠٥).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٠).

(٣) «صيد الخاطر»: (ص / ١٠٧).

(٤) طبع بتحقيق الكوثري في المكتبة التوفيقية بالقاهرة، وطبع أيضًا بتحقيق السقاف في دار الإمام النووي بالأردن، وكلا التحقيقين مليئين بغمزٍ معتقد أهل السنة والجماعة. وانظر رسالة: استدراكات وتعقبات على كتاب ابن الجوزي: «إتحاف أهل الفضل والإنصاف» فهو مفيد للغاية.

سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن مشابهة الأجسام؛ فوقع عفا الله عنه في تعطيل الله تعالى عن صفة النزول التي تليق بجلال الله تعالى.

وقد كرَّر هذا المعنى أيضًا في كتابه «دفع التشبيه بأكفّ التنزيه». وفي النص الثالث قلَّد ابن الجوزي شيخه ابن عقيل - وإن كان لم يلتق به- الذي تأثَّر بمصنَّفاته وأقواله.

وقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) عقيدة وتقليد ابن الجوزي له في أخطائه فقال: «ولابن عقيل أنواع من الكلام، فإنه كان من أذكياء العالم، كثير الفكر والنظر في كلام الناس، فتارة يسلك مسلك نفاة الصفات الخبرية، وينكر على من يسميها صفات، ويقول إنما هي إضافات موافقة للمعتزلة كما فعله في كتابه:«ذم التشبيه وإثبات التنزيه» ،وفي كتابه «منهاج الوصول».

وتارة يثبت الصفات الخبرية ويردُّ على النفاة والمعتزلة بأنواع من الأدلة الواضحات، وتارة يوجب التأويل كما فعله في كتابه «الواضح» وغيره. وتارةً يحرِّمُ التأويل ويذمُّه وينهى عنه كما فعله في كتابه «الانتصار لأصحاب الحديث»، فيوجد في كلامه من الكلام الحسن البليغ ما هو معظَّم مشكور، ومن الكلام المخالف للسنة والحق ما هو مذموم ومدحور» [(١)].

---

(١) ابن تيمية: «درء تعارض العقل والنقل» - طبعة جامعة الإمام - الطبعة الأولى - ١٤١٥ هـ (٨/ ٦٠).

وقال أيضًا: «وكان الأشعري أقرب إلى مذهب أحمد وأهل السُّنة من كثير من المتأخِّرين المنتسبين إلى أحمد الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة كابن عقيل وصدقة به الحسين وابن الجوزي وأمثالهم»(١).

وقد ردّ الحافظ الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) على شبهة ابن الجوزي التي نقلها عن شيخه ابن عقيل حول اعتقاد ظواهر الصفات والمبالغة في التنزيه فقال: «قد صار الظاهر اليوم ظاهرين أحدهما حق، والثاني باطل. فالحق أن يقول: إنه سميع، بصير، مريد، متكلم، حي، عليم، كل شيء هالك إلا وجهه، خلق آدم بيده، وكلَّم موسى تكليمًا، واتخذ إبراهيم خليلًا، وأمثال ذلك، فنُمرُّهُ على ما جاء، ونفهم منه دلالة الخطاب كما يليق به تعالى ولا نقول: له تأويل يخالف ذلك.

والظاهر الآخر -وهو الباطل والضلال-: أن تعتقد قياس الغائب على الشاهد، وتمثل البارئ بخلقه، تعالى الله عن ذلك، بل صفاته كذاته فلا عِدل له، ولا ضدّ له، ولا نظير له، ولا مثل له، ولا شبيه له، وليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته. وهذا أمر يستوي فيه الفقيه والعامي. والله أعلم»(٢).

وفي النص الرابع يميل ابن الجوزي إلى تجريد صفات الله تعالى عن حقيقتها، فيقع في التعطيل قاصدًا التنزيه، وقد وضَّح شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) ابن تيمية: «درء تعارض العقل والنقل»: (١/ ٢٧٠).

(٢) الذهبي: «سير أعلام النبلاء»: (١٩/ ٤٤٩).

(ت:٧٢٨هـ)رحمه الله تعالى، أنَّ هذا المسلك يوقع في عدة محاذير حيث قال: «إن كثيرًا من الناس يتوهَّمُ في بعض الصفات أو كثير منها أو أكثرها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين، ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه؛ **فيقع في أربعة أنواع من المحاذير**:

أحدهما: كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

الثاني: أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطَّله، بقيت النصوص مُعطَّلةً عما دلَّت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله، فيبقى مع جنايته على النصوص، وظنِّه السيئ الذي ظنَّه بالله ورسوله، حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل، قد عطَّل ما أودع الله ورسوله في كليهما من إثبات الصفات لله والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى.

الثالث: أنه ينفي تلك الصفات عن الله عَزَّوَجَلَّ بغير علم، فيكون معطلًا لما يستحقه الرب.

الرابع: أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات، من صفات الأموات والجمادات أو صفات المعدومات، فيكون قد عطل به صفات الكمال التي يستحقها الرب، ومثَّله بالمنقوصات والمعدومات، وعطَّل النصوص عما دلت عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات، فيجمع في كلام الله وفي الله بين التعطيل والتمثيل، فيكون ملحدًا في أسماء الله وآياته»[١].

---

(١) ابن تيمية «مجموع الفتاوى»: (٣/ ٤٨).

وفي النصّ الخامس شنَّ ابن الجوزي عفا الله عنه، غَضَبَهُ على مثبتي الأسماء والصفات، الآخذين بظاهر نصوصها من غير تحريف ولا تأويل ولا تكييف ولا تعطيل، وهم الذين يؤمنون بحقيقة صفات الله تعالى ويعلمون معانيها، ويُنَزِّهون الباري تعالى عن مشابهته لخلقه، ويسكتون عن تكيِّيف صفات الله سبحانه، ويكِلون ذلك لله على ما يليق به سبحانه. وقد نبزهم ابن الجوزي -عفا الله عنه- بالغفلة وشبَّههم بـ (جحا)!! [(١)]، واستشكل تسمية الإضافات صفات من قبل أهل السنة والجماعة!، وهذه الشبهة تلقَّفها ابن الجوزي عن شيخه ابن عقيل الحنبلي (ت:٥١٣ هـ) عفى الله تعالى عنه.

وقد ردّ عليها الحافظ الذهبي (ت:٧٤٨هـ) رحمه الله تعالى بقوله: «وفي هذا الباب، باب المضافات إلى الله: إضافة خلق وملك، كإضافة البيت والناقة، وهذا قول نفاه الصفات من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، حتى ابن عقيل وابن الجوزي وأمثالهما إذا مالوا إلى قول المعتزلة سلكوا هذا المسلك، وقالوا: هذه آيات الإضافات لا آيات الصفات، كما ذكر ذلك ابن عقيل في كتابه المسمَّى «نفي التشبيه وإثبات التنزيه»، وذكره ابن الجوزي في «منهاج الوصول» وغيره، وهذا قول ابن حزم وأمثاله ممن وافقوا الجهمية على نفي الصفات، وإن كانوا من المنتسبين إلى الحديث والسنة»[(٢)].

---

(١) وهذا من عجلة ابن الجوزي وغضبه مع خُصومه، غفر الله له وعفى عنه.

(٢) ابن تيمية: «درء تعارض العقل والنقل»: (٧/ ٢٦٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فليس في مجرد الإضافة ما يستلزم أن يكون المضاف إلى الله صفةً له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة له باتفاق الخلق، كقوله تعالى: «بيتُ الله» و«ناقة الله» و«عباد الله»، بل وكذلك «روح الله» عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم، ولكن إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة لغيره، مثل كلام الله، وعلم الله، ويد الله، ونحو ذلك، كان صفة له»[1].

وخُلاصة الكلام في المخالفات الشرعية التي نُوقش فيها ابن الجوزي أنها تنقسم إلى قسمين:

أولًا: المخالفات الشرعية العامة في سائر مصنَّفاته.

ثانيًا: المخالفات الشرعية في كتاب «صيد الخاطر».

فالمخالفات الشرعية العامة في سائر مصنفاته يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أ: تأويل الأسماء والصفات، وتحريف معاني عقائد السلف في بعض كتبه «دفع شبه التشبيه» و«تلبيس إبليس»، و«منهاج الوصول».

---

(١) ابن تيمية: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» - دار العاصمة - الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ: (٣/ ١٤٥).

ب: الميل إلى عقيدة «التفويض» في مواضع كثيرة من مصنَّفاته، وترجيحه لهذا المذهب على مذهب السلف. وهذا ظاهر في بعض الفصول من كتابه «صيد الخاطر» ،كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

جـ: كثرة الاضطراب عنده في آيات الأسماء والصفات وأحاديثها، فتارة ينفي، وتارة يُثْبِت، مما يدل على عدم رسوخه في هذا الباب.

د: إنكاره للفظة «بذاته» في بعض مصنَّفاته[١]. وهذه اللفظة ترد كثيرًا في عقائد أهل السُّنة والجماعة ،حين الكلام عن الاستواء على العرش، وكان السلف يقولون: إنَّ الله فوق العرش بذاته[٢].

هـ: تسميته لأخبار الصفات إضافات، واعتقاده أنَّه ليس كل مضاف صفة، وحكمه أنَّ من سمَّى المضاف صفة فقد ابتدع[٣].

و: زعمه أنَّ آيات الصفات من المتشابه، فلا ظاهر لها يجب أن تحمل عليه. وقد ظنَّ أنَّ الظاهر هو المألوف عند الخلق فقال: «فهل ظاهر الاستواء إلا القعود، وظاهر النزول إلا الانتفاع»[٤].

---

(١) ابن الجوزي: «تلبيس إبليس»: (٢/ ٥١٧) ـ طبعة دار الوطن.

(٢) ابن قيم الجوزية: «اجتماع الجيوش الإسلامية» – دار السلام – الطبعة الأولى – ١٤٠٥ هـ: (ص/٢٤٦).

(٣) «دفع التشبيه»: (ص/١٠٤).

(٤) ابن الجوزي: «دفع شبه التشبيه» – دار العاصمة – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ: (ص ١٠٤).

ز: تأثره باصطلاحات المذاهب الكلامية والفلسفية أحيانًا، مع بغضه لتلك المذاهب وردِّه على أصحابها.

ح: اعتقاده أن إثبات الصفات يؤدِّي إلى التجسيم!.

ط: ميله إلى التبرك الممنوع بقبور الصالحين، وهذا ظاهر في بعض مصنَّفاته.

ي: وقوعه في تعطيل بعض نصوص الأسماء والصفات. وقد انتقده ابن تيمية على هذا المسلك في كثير من مصنَّفاته[1].

ك: ابن الجوزي له تعقُّبات على بعض كتاباته، انتقد فيها بعض كلامه، كما في كتاب «مجالس ابن الجوزي»[2].

ويستطيع طالب العلم المحقِّق أن يَسْبُرَ المخالفات الشرعية العامة عند ابن الجوزي بتتبُّع أشهر مصنَّفاته، وهي: «تلبيس إبليس» و«زاد المسير في علم التفسير» و«دفع شبهة التشبيه» و«صفة الصفوة».

أما المخالفات الشرعية في كتاب «صيد الخاطر» فسوف أتناولها في المبحث الآتي، الموسوم بـ المبحث الرابع: أثر المخالفات الشرعية التي نُوقش فيها ابن الجوزي على الميدان العلمي.

---

(١) ابن تيمية: «درء التعارض»: (٧/ ٢٠).

(٢) وموضوع هذا الكتاب «صفات الله تعالى». وقد طبع بمصر سنة ١٩٧٠م.

• تحرير مهم حول جناية ابن الجوزي على ابن عبد البر:

أورد ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر (الخاطرة رقم: ٤٩) فصلًا حول موضوع (الميل إلى التشبيه في الصفات)، وقال في أوله: «عجبتُ من أقوام يدَّعون العلم ويميلون إلى التشبيه، بحملهم الأحاديث على ظواهرها، فلو أنهم أمرُّوها كما جاءت سلموا، لأن مَن أمرَّ ما جاء ومرَّ من غير اعتراض ولا تعرض فما قال شيئًا لا له ولا عليه، ولكن أقواماً قصرت علومهم، فرأت أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل، ولو فهموا سعة اللغة لم يظنوا هذا.

ولقد عجبتُ لرجل أندلسي يقال له ابن عبد البر، صنَّف كتاب التمهيد، فذكر فيه حديث النزول إلى السماء الدنيا فقال: (هذا يدلُّ على أن الله تعالى على العرش، لأنه لولا ذلك، لما كان لقوله ينزل معنى)، وهذا جاهل بمعرفة الله عز وجل، لأن هذا استسلف من حِسِّه ما يعرفه من نزول الأجسام، فقاس صفة الحق عليه»!.

هذه الدعوى من ابن الجوزي يَقصد بها من يُثبت الأسماء والصفات، بلا تأويل ولا تكيِيِّف ولا تحريف ولا تعطيل.

أ- حقيقة الدعوى وحدودها:

تضمَّنت هذه الدعوى خمس تُهم:

١- ميل المنتسبين للسلف إلى التشبيه.

٢- قولهم إن حمل الكلام على غير ظاهرِه نوع تعطيل.

٣- قولهم إن دليل الإثبات هو الحِس وليس النقل.

٤- أن العقل ضد هذا الفهم الذي فهمه المنتسبون للسلف.

٥- أن هناك أدلة ضد هؤلاء المثبتين للصفات على ظاهرها، مثل حديث: إن الموت يُذبح بين الجنة والنار، ومثل حديث مجيء البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان [1].

وللرد على ابن الجوزي لا بد من مراجعة مخطوطة التمهيد، ولقد تمكنتُ بحمد الله تعالى من مراجعة مخطوطات كتاب ابن عبد البر: التمهيد.

وقد وجدتُ للكتاب أربع نسخ خطية غير كاملة: نسخة استانبول، ونسخة الرباط، والنسخة العراقية التي نقل منها ابن الجوزي النص المذكور أعلاه، ونسخة المكتبة الملكية المغربية.

وللأسف جميع هذه النسخ فيها بتر ونقص في كثير من صفحاتها، وبها تحريف وتصحيف وتصرف من النُّساخ، وبعض النُّسخ كَتبها بعض من لا يُحسن الكتابة، وكذلك يوجد خرم وكشط ومحو وتلاش، في كثير من السُّطور في العديد من صفحاتها.

---

(١) حديث ذبح الموت متفق عليه ،والله أعلم بكيفيته. وحديث مجيء السورتين فهو في صحيح مسلم، والله أعلم بتأويله.

وقد تبيَّن لي بالمقارنة والتتبع والإستقراء، أن نسخة التمهيد التي نقل منها ابن الجوزي كلام ابن عبد البر، نسخة محرَّفة وغير واضحة السُّطور، وهي النسخة المحفوظة في المكتبة القادرية ببغداد.

علمًا أن نسخة سعيد أعراب، المطبوعة سابقًا من التمهيد، نسخة ملفقة من عِدة نسخ خطية، وبها نقص كبير في صفحاتها.

يُضاف إلى هذا أن ابن عبد البر صنَّف كتاب التمهيد مرتين، مرة مسودة أولية والثانية تبييض نهائي غير جيد، وللأسف كلا النسختين في حُكم المسودة لكثرة التصحيف والتحريف، وقلة العناية بالمخطوط.

والجملة التي نقلها ابن الجوزي في صيد الخاطر، عن كتاب التمهيد: إما أنها محرفة أو منقولة من غير تثبت وعناية.

أما حديث النزول الذي أشار إليه ابن الجوزي، نقلًا عن ابن عبد البر، فهو موجود في طبعة التمهيد بهذا النص: «حديث ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا.. الحديث[١]، هذا حديث ثابت من جهة النقل.. وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات، كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم إن الله في كل مكان وليس على العرش.. وهذه الآيات كلها في إبطال قول المعتزلة..».

---

(١) متفق عليه. وقد توسَّع ابن عبد البر في كتابه التمهيد (١٢٨/٧) في شرحه والتعليق عليه.

ثم أورد ابن عبد البر النصوص الدالة على العلو والاستواء على العرش فقال: «فظاهر التنزيل يشهدُ أنه على العرش».

ثم قال بعد سرد أدلة الصفات ما نصُّه: «قد أكثر الناس التنازع في هذا الحديث (حديث النزول)، والذي عليه جمهور أئمة أهل السُّنة أنهم يقولون: ينزلُ كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويصدِّقون بهذا الحديث ولا يكذِّبون، والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء، والحجة في ذلك واحدة».

ثم سرد ابن عبد البر بعض الآثار إلى أن قال: «أهل السُّنة مُجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يُكيِّفون شيئًا من ذلك، ولا يجدون فيه صفة محصورة، أما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم يُنكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرَّ بها مشبِّه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود» (١).

ب: المقارنة والتمييز بين القولين:

بعد الرجوع إلى المخطوطة وإلى النسخة المطبوعة من كتاب التمهيد لابن عبد البر، ومقارنتهما بكلام ابن الجوزي في صيد الخاطر **ظهر لي التالي:**

---

(١) انظر: مخطوطة التمهيد – استانبول، وانظر طبعة التمهيد المغربية (١٢٨/٧– وما بعدها).

١. النص الوارد في صيد الخاطر منقولًا عن نسخة التمهيد، لا وجود له بلفظه في النسخة المطبوعة ولا في المخطوطة. والسبب في ذلك إما أن ابن الجوزي نقل عن غيره بلا تثبت من الأصل، أو نقل من نسخة محرَّفة. وهذا الحُكم له وجاهة، لأن ابن الجوزي لم يقل: قرأتُ أو رأيتُ، بل قال: «صنَّف كتاب التمهيد، فذكر فيه حديث النزول». فيلاحظ أنه أبهم كيفية الوقوف على النص، ولم يكشفها.

٢. ابن الجوزي لفَّق (جمع) بين عبارات ابن عبد البر في أول الكلام ووسطه واستخرج فحوى الكلام ودلالته من الكلام المنقول عنه، واختزل النقل في سطر واحدٍ، بينما المسألة في الأصل تقع في عشر صفحات. بسبب مخاصمته لبعض حنابلة عصره حول مسألة التأويل.

٣. سألتُ الدكتور بشار عواد معروف وفقه الله تعالى، عن هذه العبارة في كتاب صيد الخاطر، وأفدته أنني لم أجدها في المخطوطة المغربية لكتاب التمهيد، فقال: (هذه من مجازفات ابن الجوزي، ولم أجدها أنا أيضًا أثناء تحقيقي لكتاب التمهيد، ولا في الاستذكار لابن عبد البر) أهـ.

٤. هذه الشهادة التي شهدها ابن الجوزي في كلامه في صيد الخاطر، حول التشبيه والتأويل في باب الأسماء والصفات، مردودة وغير معتبرة عند العلماء، لأنه تارة يُثبت الأسماء والصفات لله تعالى، كما في كتابه (مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية)، ففيه اثبات لصفات الله

الخبرية، حيث وصف الله تعالى بصفاته على الوجه اللائق به سبحانه، وله مناقشة للمعتزلة في تأويلهم لبعض الصفات.

وتارة ينقضُ كلامه وتأصيله في هذا الباب، كما في كتابه (دفع شبه التشبيه)، فيجنح إلى التأويل والرد على مذهب الحنابلة.

وتارة يُقرِّر عقيدة التفويض كما في كتابه (تلبيس إبليس)، ويقول إنه الواجب والأحرى بالمسلم.

وقد قال الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) رحمه الله تعالى: «وكلامه في السُّنة مضطرب، تراه في وقت سنياً ، وفي وقت متجهمًا مُحرِّفًا للنصوص، والله يرحمه ويغفر له» (١).

ج: يبدو لي أن هذا الاضطراب وعدم الثبات العلمي عند ابن الجوزي، **في هذه المسألة لها ثلاثة أسباب:**

١. ثقة الرجل بعلمه وحفظه واعتزازه بنفسه ومؤلفاته، ولعل ذلك سببه إقبال الناس على دروسه ومؤلفاته، وتهافت العوام على مواعظه.

٢. تربية بعض شيوخه له على آراء المتكلمين وغرسها في قلبه، فكلما فرَّ منها رجع إليها سريعًا، وهذا لا تستطيع النفس الخلاص منه إلا بتوفيق الله تعالى

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/١١٠٠- وما بعدها).

والتضرع إليه، لأن الهوى يهوي بصاحبه ويمنعه من قبول الحق إلا إذا ثبته الله تعالى وأعانه.

وقد كان شيخه ابن عقيل(ت: ٥١٣هـ) عفا الله تعالى عنه، هو مُعلِّمه المتكلِّم، الذي قرَّر في صدره هذه المعاني الإعتزالية.

٣. أن ابن الجوزي لم ترسخ قدمه في علم العقليات ومعرفة البراهين الجدلية التي تردُّ الشُّبه الكلامية في باب الأسماء والصفات، وهذا ما وضَّحه ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله تعالى في قوله: «وابن الجوزي وأمثاله ليس لهم خِبرة في العقليات، بل هم يأخذون بما قاله النفاة من الحُكم والدليل ويعتقدونها براهين قطعية، وليس لهم قوة على الاستقلال بها، بل هم في الحقيقة مقلِّدون فيها »[1].

د: مفاتيح الرد على ابن الجوزي في شبهة التشبيه:

١. نبز ابن الجوزي للحنابلة بأنهم يأخذون بالظاهر تدليس منه رحمه الله تعالى، فالظاهر عند السلف يقصد به:

ما تدل عليه الأسماء والصفات، فاسم العليم يدلُّ على العِلم، والرحيم يدل على الرحمة، وصفة الغضب تدل على أنّ الله يغضب، فهم يقولون: إن هذا الظاهر هو كما يليق بجلال الله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

---

(١) انظر: درء التعارض (٣٢/٧).

أما إن كان يقصد أنهم أخذوا بالظاهر الذي معناه تشبيه الله بخلقه، فلم يُنقل عن السلف ذلك، بل المنقول عنهم خلاف ذلك، بل قالوا: تجرى على ظاهرها اللائق، ويؤمنون بها بلا كيفٍ، ما دام أنه صح الحديث بها.

٢. ابن الجوزي في هذه المسألة غفل عن قول الإمام مالك رحمه الله تعالى، عندما سئل عن الاستواء فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

فلو كان السلف لا يفهمون معنى الاستواء لما قالوا: غير مجهول، ولما نفوا الكيف، إذ نفي الكيف عن غير المعلوم عبث. والنافي لا يحتاج أن يقول: بلا كيف، إذا كان لا يفهم المعنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبت [١].

٣. لا يجوز ولا يصح في مسائل المعتقد تحكيم العقل في بيانها، أو قياس مسائل الشرع بأدلة العقول، يقول ابن السمعاني: «واعلم أنّ فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسَّسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للعقول» [٢].

٤. لماذا لا يستدل ابن الجوزي بأهل القرون المفضلة في باب الأسماء والصفات. فهم آمنوا واستسلموا لله تعالى بما جاء في الوحيين من آيات الصفات وغيرها، من غير خوض في كيفيتها وصفتها، كذبح الموت يوم

---

(١) انظر: شرح الفتوى الحموية (ص/٢٣٣).

(٢) انظر: صون المنطق للسيوطي (ص/٣٦).

القيامة على هيئة كبش أملح، ونحوها من أحاديث الغيبيات التي قد لا يُدركها العقل، ولا سبيل إلى فهمها إلا بفهم السلف الصالح [(١)].

٥. قال ابن الجوزي عن حديث النزول الذي عيَّر بدلالته ابن عبد البر: «يستحيل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحركة والنقلة والتغير، فبقي الناس رجلين؛ أحدهما: المتأول له بمعنى أنه يُقرِّب رحمته، الثاني: الساكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التنزيه » اهـ. قلت: فهذا من تأويلات ابن الجوزي، التي خالف فيها السلف وطفق يتأولها أو يفوضها، مع أن الوارد عن السلف إثباتها على ما يليق، ولا يضير أهل السُّنة قول ابن الجوزي ولا غيره: إن النزول حركة ونقلة وتغيّر، فهذا لازم ألزمهم به أهل البدع ، ولم يلتزمه السلف. وقد رجَّح ابن القيم الإمساك عن الأمرين، فلا نقول: يتحرك، ولا ننفي ذلك [(٢)].

٦. لماذا لم يُحاجج ابن الجوزي خصومه (أهل التشبيه) بزعمه، إلى مذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى ؟!.

الجواب واضح: أن ابن الجوزي غلبه ميله لأهل الرأي والكلام، فلم يجد حجة إلا إعجابه بعلومهم وآرائهم، فاستعمل التأويل وفرَّ إلى العقل.

---

(١) انظر: تعليق العلامة أحمد شاكر على (المسند: ٨/١٩٠).

(٢) انظر: دفع شبه التشبيه (ص/١٩٢)، ومختصر الصواعق لابن القيم (ص/٦١٦).

وهنا تنبيه مهم يجب العناية به، وهو أن ابن الجوزي يوهم في بعض كتبه انه يرد على الحنابلة، كما في كتابه (دفع شبه التشبيه) وغيره، والصحيح أنه بمغالطاته يرد على أهل السنة والجماعة كلهم، في هذا الباب، ومنهم الحنابلة، فلا يجوز حصر الخلاف بين ابن الجوزي وبين الحنابلة!.

وأخيراً.. فالواجب على الباحثين التماس الأعذار للعلماء الذين لهم تعظيم في الجملة لمذهب السلف، والترحم عليهم، مع بيان الأخطاء التي وقعوا فيها، والجواب عليها بالدليل من الكتاب والسنة.

وقد تبيَّن لنا من خلال السطور السابقة، التزام ابن عبد البر بمنهج السلف الصالح في إثبات الأسماء والصفات على ضوء الأدلة الصحيحة، وكما فهمها العلماء الراسخون، وأن ابن الجوزي عنده مجازفة في كثير من أحكامه ونقداته.



المبحث الرابع
أثر المخالفات الشرعية التي نُوقش فيها ابن الجوزي على الميدان العلمي

المخالفات التي وقع فيها ابن الجوزي-عفا الله عنه- تركت أثرًا في الناحيتين العلمية والشرعية، **ويمكن إجمال هذا الأثر في النقاط التالية:**

أ: صدع العلماء الراسخين في العِلم بالحق، وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويظهر ذلك جليًا في رسالة «إسحاق العَلْثي » (ت:٦٣٤ هـ)رحمه الله تعالى، التي ناصح فيها ابن الجوزي، وقد سبق إيرادها قبل صفحات.

ب: نقد علماء المِلة لطريقة ابن الجوزي في مناقشته نصوص الأسماء والصفات، التي أوقعته في التفويض والتخليط العقديّ. وقد قال عنه «موفق الدين المقدسي» (ت:٦٢٠هـ)رحمه الله تعالى:

«كان ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ، وكان حافظًا للحديث، وصنَّف فيه، إلا أننا لم نرض تصانيفه في السُّنة وطريقته فيها»[1].

---

(١) ابن رجب: «ذيل طبقات الحنابلة»: (٤/ ٤٠٦).وقوله: " لم نرض تصانيفه في السُّنة" معناه: طريقته في الحُكم على الأحاديث، ومنهجه في تناول معاني الصفات.

ج: ظهور تيار علمي مخالف لمنهج أهل السُّنة والجماعة، يُنَافح عن ابن الجوزي، ويردُّ على مخالفيه، وينبزهم بالحشوية والمجسِّمة والمبتدعة، ويظهر هذا جليًا في تعليقات «محمد زاهد الكوثري» (ت: ١٣٧١هـ) و«علوي السقاف» -من المعاصرين- على مصنَّفات العلماء الحديثية والعقديَّة.

ولو كانت منافحتهم بالدليل لحُمد ذلك منهم، ولكنه بالعاطفة والتعصب العقدي .

بل ظهرت طوائف وأحزاب تعادي مذهب السلف وتعيِّر من ينتسب إليه، فإلى الله المشتكى. مما أضعف هيبة العقيدة الصحيحة في قلوب الناس، وقلَّل من هيبة علماء أهل السنة والجماعة عند الخاصة والعامة .

د: قيام بعض أهل العلم بتأليف مصنَّفات علمية، درسوا فيها شُبَه أهل التأويل، والأسباب التي أوقعت في التأويل، وأثر ذلك على مصنَّفات العلماء مِمَّن لهم حظٌّ من نصرة مذهب السلف.

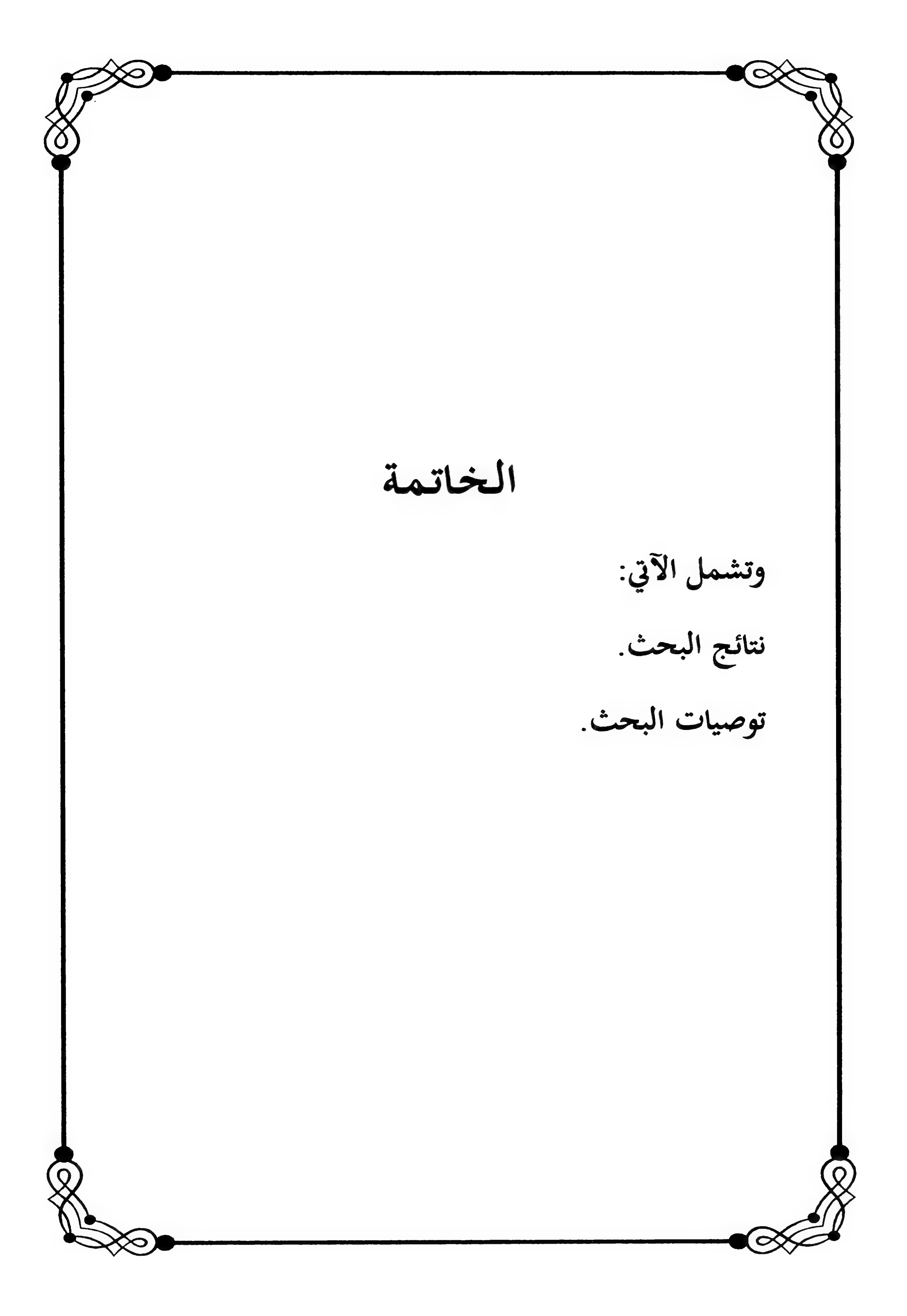
هـ: اعتناء كثير من أهل العلم والوعظ، بتوحيد الأسماء والصفات تعلُّمًا وتعليمًا، وقد ظهر عدد من المصنَّفات المتينة -في هذا الباب- مِمَّا نفع اللهُ به خلقًا كثيراً.

و: قيام بعض حملة العِلم بدراسة أسباب التقليد في باب المعتقد والعوامل المؤثِّرة في ذلك، وتفنيد الشُّبه التي يستدلُّ بها المقلِّدة.

ز: ظهور مؤلفات ومطبوعات وقنوات وأصوات، تشكِّك في معتقد أهل السنة والجماعة، وتصف مذهب الإمام أحمد (ت: ٢٤١هـ)-رحمه الله تعالى- بالقصور والضَّعف، وعدم أهليَّة أتباعه لمناظرة الطوائف العقديَّة المختلفة.

نسأل الله الهداية والسداد وصلاح الحال والمآل.





الخاتمة

وتشمل الآتي:

نتائج البحث.

توصيات البحث.

بحمد الله تعالى وتوفيقه، فقد فرغتُ من تسطير هذه الكتاب المبارك: «المدخل إلى كتاب صيد الخاطر» والذي تناولتُ فيه: الآثار المروية في كتاب «صيد الخاطر» دراسة حديثية تحليلية.

أولًا: نتائج البحث:

لقد أدركتُ من خِلال دراستي للكتاب:

١- أن ابن الجوزي كان عالماً ومربيًا وواعظًا، وكان مشاركًا في علم الحديث ولم يكن ضليعًا فيه، لكن له فيه آراء واجتهادات أصاب فيها واخطأ.

٢- لم يقصد ابن الجوزي من تسطير «صيد الخاطر»، أن يكون كتابه مصدرًا للمرويات الشرعية، أو مدونة للآثار الوعظية، وكان يكتب من حفظه أو ذاكرته، ولم يكن يُراجع أو يحرِّر ما يكتب في الغالب.

٣- أن كتاب «صيد الخاطر» ثمرة تجارب ابن الجوزي وسوانحه وتأملاته، وقد سجّل فيه مؤلفه كثيرًا من أحواله الخاصة ومواقفه الحياتية اليومية، عنه وعن غيره. وقد ضمَّنه نقد كثير من الموضوعات العلمية.

٤- أن مرويات ابن الجوزي في «صيد الخاطر»، لا يمكن الحُكم من خلالها على الحصيلة الحديثية لابن الجوزي، بل لابد من ربطها بكتب الشيخ الأخرى في علم الحديث والخِلاف والتفسير وغيرها،وقد ذكرتُ طرفًا من ذلك.

٥- اتفاق أكثر أهل العلم: على أن الإسناد في الرواية قد يكون له تعلق بمسائل الإيمان والأحكام، سواء كان مرفوعًا أو موقوفًا أو مقطوعًا، فهذا يتُحرى في روايته ونقله، وقد لا يتعلق الإسناد بالإيمان والأحكام، إنما بالقصص والوعظ والفضائل، فهذا يتُساهل في أمره.

وابن الجوزي جنح إلى الإجتهاد والعقل في كلا الحالتين، مما يجعله يزل في كثير من المسائل.

٦-عِلم العلل لا يدخل على أخبار المتأخِّرين، إلا إذا كان فيها ما يُنكر.

٧- أن ابن الجوزي متساهل في الحُكم على رواة الأحاديث الواهية، وأحيانًا يقع منه وهم في توثيق الرواة المدلسين وتعديل الرواة المجاهيل. وقد صرَّح بذلك جماعة من أهل الحديث كابن قدامة وابن كثير وابن رجب، وتبعهم في هذا الإمام السخاوي، رحمهم الله تعالى.

٨- أن ابن الجوزي يعتمد كثيرًا على الخطيب البغدادي في الحُكم على الرواة ونقد الأسانيد، ويُلاحظ أنه يعمل بمذهب الحاكم وهو أن العِلة في الحديث لا تشمل المنقطع ولا الحديث الذي في رواته مجهول أو مضعَّف، فإذا وجد الانقطاع أو الجهالة أو الضعف في السَّند، فلا يقال معلول.

وقد بالغ في الإستدلال بالمتابعات والشواهد الحديثية، رغبة منه في الإجتهاد بتحسين أسانيدها أو توثيق طُرقها، وقد أصاب في بعضها ولم يصب في الكثير.

٩- أن ابن الجوزي له عناية بمسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى، ويكثر النقل عنه، بل ونقد أحاديثه ومروياته، وقد ردَّ عليه ابن حجر رحمه الله تعالى في رسالة: (القول المسدَّد في الذبِّ عن المسند).

١٠- أن المرويات الواردة في «صيد الخاطر» هي:

أ-الأحاديث المرفوعة وأسانيدها.

ب-أقوال الصحابة الموقوفة عليهم.

ج-أقوال التابعين المنقولة عنهم.

د-أقوال العلماء وأحكامهم وتقريراتهم.

١١- أن ابن الجوزي اقتبس بعض الفوائد العامة من كتاب شيخه ابن عقيل، الموسوم بـ «الفنون»، مع التصريح بنسبتها إليه. ولم يثبت بدليل علمي قطعي أنه اقتبس فوائد شيخه ونسبها إلى نفسه.

١٢-الأخطاء العقدية التي وقع فيها ابن الجوزي: إما أخطاء سببها الاجتهاد أو التقليد أو القياس.

١٣-ابن الجوزي عفا الله عنه، وقع في تأويل الأسماء والصفات في مواضع من كتابه صيد الخاطر.

١٤-ابن الجوزي عفا الله عنه، يميل إلى عقيدة التفويض في مواضع من كتابه «صيد الخاطر»، وقد وقع منه اضطراب في باب الصفات، حتى إنه ينقضُ ما أسَّسه من قواعد في باب الصفات، كما في كتابه « مجالس ابن الجوزي ».

١٥-يُعدُّ كتاب «صيد الخاطر» من أنفع كتب ابن الجوزي التي اعتنت بالجانب الوعظي القائِم على التأمل والتفكير والتجربة. وهذا الكتاب جدير بأن يُستفاد منه في المؤسسات التربوية والعلمية.

١٦-المنهج الوعظي في كتاب «صيد الخاطر» يعتمد على أربعة أركان: العناية بالجانب العقدي، والتشريعي، والأخلاقي، والعلمي.

١٧-نَقَد ابن الجوزي الظواهر العلمية الخاطئة التي ينتهجها كثير من الوعاظ والشيوخ في علاجهم لأمراض القلوب وتقلبات المزاج السيئة. وقد أسهب في ذكر مثالب الصوفية وبيَّن انحرافهم في فهم السنة والهدي النبوي.

١٨-استدرك ابن الجوزي وتعقَّب كثيراً من العلماء والطوائف والظواهر.

واستدراكاته اشتملت على مسائل في التفسير والسُّنة والعقيدة والوعظ والتراجم والمصنفات.

١٩-وقعت من ابن الجوزي عفا الله عنه، مخالفات شرعية في كتابه «صيد الخاطر»، وهي ثلاثة أقسام:

أ. مخالفات عقدية.

ب. مخالفات لفظية.

ج. مخالفات علمية.

وقد أشرتُ إلى أمثلتها ومواضعها من كتابه المشار إليه.

٢٠-لم يستفد ابن الجوزي في صيد الخاطر من مصنفات ابن حزم الأندلسي رحمه الله تعالى، في نقد النفس والمجتمعات، ولا من المنهج الحديثي عنده، ولم يُشر إلى ذلك، ولا يُستبعد وقوف ابن الجوزي على بعض مصنفات ابن حزم، لكنه نقد ابن عبد البر رحمه الله تعالى، ونقل بعض كلامه من كتاب التمهيد.

٢١-ابن الجوزي نقد الصوفية وذكر مثالبهم، لكنه أفاد منهم في محاسبتهم النفس وأحوال الناس.

٢٢-الحِدَّة التي ظهرت في نقد ابن الجوزي لأهل السُّنة والجماعة سببها: تقليد ابن الجوزي لبعض مشايخه ممن وافقوا الجهمية والأشاعرة، وهذا بسبب تقليد المشايخ ،وبسبب الصِّراع المذهبي الذي كان دائرًا في ذلك الوقت.

ثانيًا: التوصيات:

١-دراسة مناهج المحدِّثين في بغداد في القرن الخامس الهجري.

٢- تحقيق كتاب صيد الخاطر تحقيقًا علميًا متأنيًا .

٣- دراسة المناهج الحديثية المتعدِّدة عند الحنابلة والحنفية، في باب الحُكم على الأسانيد.

٤- تحليل ودراسة عوامل النُّبوغ والتفوق، في الملَكة الوعظية عند ابن الجوزي.

٥- سبر الأسباب الحقيقية للصِّراع بين الحنابلة والأشاعرة من خلال إشارات ابن الجوزي في كتاب «صيد الخاطر»، ونتائج ذلك الصراع.

٦- مقارنة آراء ابن الجوزي في الصوفية، بآراء مَن جاء بعده، والإفادة من ذلك.

٧-دراسة أسباب تأثر ابن الجوزي بالفِكر الأشعري الإعتزالي .

أسأل الله أن يُوفِّق من يتصدَّر لخدمة هذا المشاريع العلمية، وأن ييسّر إخراجها. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



The name of Allah the most Merciful

The Summary of the Research

By the help of God، we can summarize our research in the few following **points:**

1) The religion mistakes which has done by Ibn Al Gozi it because weather of his effort or tradition nor his measure

2) Ibn Al Gozi God forgive him has mistake in his explaining of God description and name in his book «Shaid Al Kahater».

3) Ibn Al Gozi God forgive him decline to the doctrine of authorization in some position of his book «Shaid Al Kahater».

4) The book «Said Al Khater» from the most benefit one of Ibn Al Gozi which care of the preaching side which set up on thiking and trail.

11) The invitation method in «Shaid Al Khater» book depending on four bases:

The care of the religion، legislative، manner، scientist 's side.

5) Ibn Al Gozi critic the false phenomena invitation، which many، old men، and preachers follow in their caring of the mood disease and changing also exaggerate، by mentioned the declination of Sufism and their taking in their understanding of the Sunnah and Prophet method.

6) Ibn Al Gozi understood the track many scientists and communities and his look contain of Issues in interpretation and

20) Prophet procedure، religion preaching، translations، and work books، and it's very important in its place.

7) the mentioned words in «Shaid Al Khater» are

* the holding of prophet traditions and it's assigning.

* the prophet friend's saying which named by them.

* the prophet belonging 's saying which transfer from them.

* scientists sayings and their governing.



8) There are some legislation irregularities of Ibn Al Gozi in his book and it's three depart:

religion irregularities... b) linguistic irregularities

practical irregularities

9) Ibn Al Gozi take some of his benefited and thoughts from the book of his master Ibn Aukael، Who know by «The Arts» and he didn't declare، and it's his traditions in his quotes، and transportation، but the rare of it.

10) Ibn Al Gozi didn't benefit in his book from the Andulissian Ibn Hazm، in his critic the «Self and Communities» and didn't refer of that but we cant deny that the mentioned some of Ibn Hazm workbooks.

11) Ibn Al Gozi critic the Safism and mentioned their talking but he benefit of them in their accounting the self and people conditions.

12) The intensity which appeared in Ibn Al Gozi criticism to Sunnah and Communities peoples. it was because the imitation Ibn Al Gozi to his Masters from Al Ashari، and it caused a conflict in that time.

13) Ibn Al Gozi isn't take care in transfer the Prophet's sayings and words. as it declared by the Imam «Al Sakawi», and followed by the historian «Ibn Kaser», and sometimes he mistakes in narrators names.

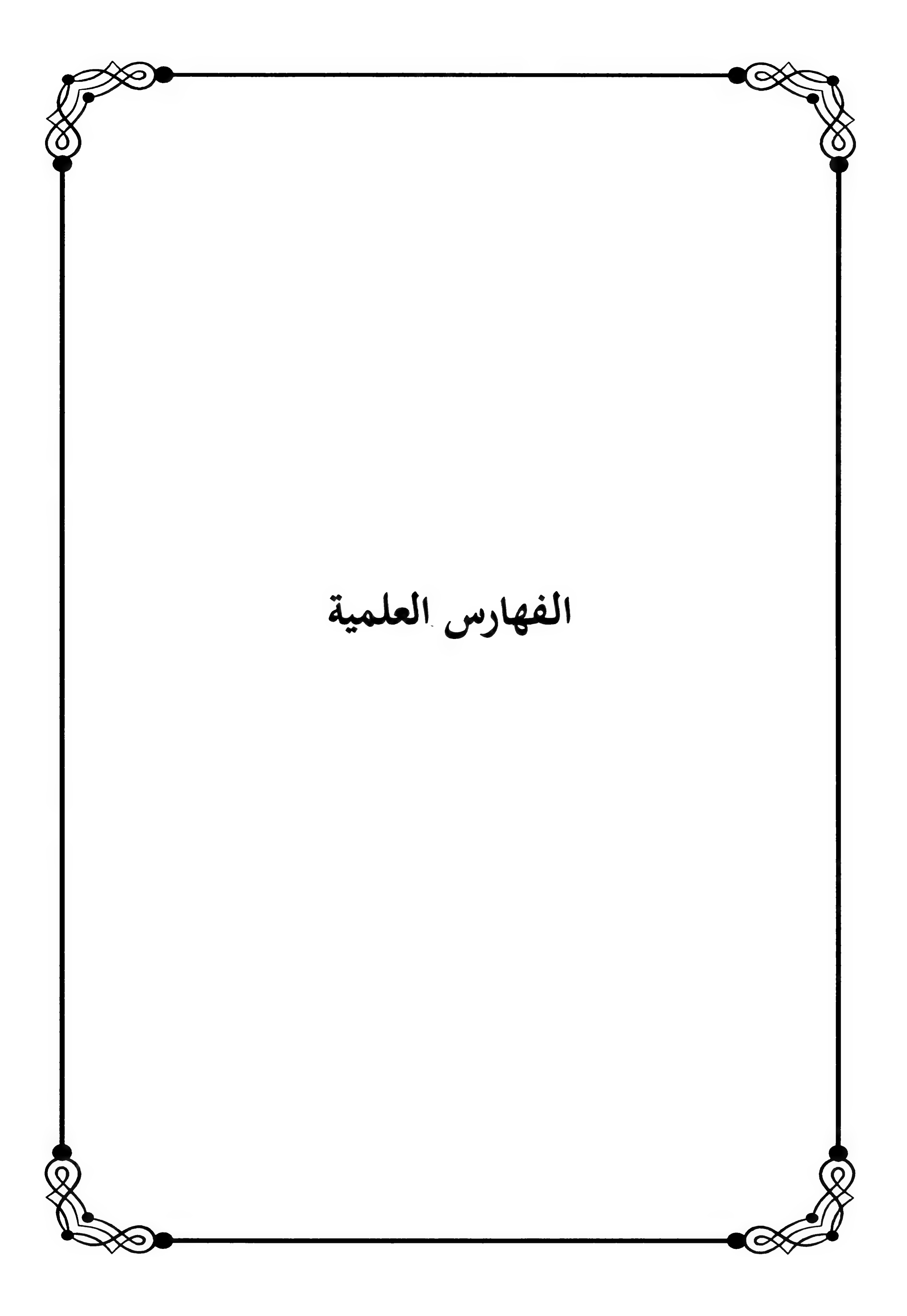
14) Ibn Al Gozi depend on the orator «Al Bogdady» in his ruling of the narrator and criticism of evidences.

15) Ibn Al Gozi is disturbed in some his books، and the proof is his responding about his writing as in his book Ibn Al Gozi boards.

16) most of the masters of science agree on that the references on narration gas a relation with faith and terms. whether it was halted or divided and it may hasn't any relation by faith or terms but with stories، preaching، virtue، and he may be easy with it.

17) warrant science didn't enter into underdeveloped news except if it was have any thing to deny.

❖❖❖



الفهارس العلمية

فِهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	الصفحة
	لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ [سورة يوسف: ٥]	
٢٧	﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ١٥٤]	٣٠٧
٢٨	﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]	٣٠٨
٢٩	﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]	٣٠٨
٣٠	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ﴾ [البقرة: ٢١٠]	٣٠٩
٣١	﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]	٣٠٩
٣٢	﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠]	٣٥٨
٣٣	﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [يوسف: ٦٤]	٣٧٠
٣٤	﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٦٥]	٣٧٠
٣٥	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]	٣٨٢
٣٦	﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ﴾ [البقرة: ٢١٠]	٣٨٣
٣٧	﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]	٣٨٩
٣٨	﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: ١٥]	٣٩٢
٣٩	﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ [يوسف: ٥٣]	٣٩٤

❁❁❁

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
	وطعمها طيب».	
٢٨	«من أصبح جنبًا فلا صوم له».	٣٤٩
٢٩	«يشيبُ ابن آدم»	٢٦١
٣٠	«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا»	٤٤٠
٣١	«يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنتان: الحرص والأمل»	٢٦١



فهرس الفوائِد واللطائف الحديثية



فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم.

أ – المطبوعات:

– ابن أبي حاتم: عبد الرحمن الرازي (ت: ٣٢٧هـ):

الجرح والتعديل– حيدر آباد– ط ١٣١٧ هـ.

– ابن أبي شيبة: يعقوب بن أبي شيبة (ت:٢٦٢هـ):

كتاب المصنف– الهند– بدون تاريخ.

– ابن الأثير: علي بن أبي الكرم الشيباني (ت: ٦٣٠هـ):

الكامل في التاريخ– دار الفكر– الطبعة الأولى– ١٤٠٩هـ.

– ابن بشكوال: خلف بن عبد الملك (ت: ٥٧٨هـ):

غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث– تحقيق / عز الدين السيد ومحمد كمال الدين– عالم الكتب. بدون ذكر سنة الطبع.

– ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ):

مقدمة التفسير– دار الكتب العلمية– الطبعة الأولى– ١٤٠٥ هـ.

مجموع فتاوى ابن تيمية – جمع عبد الرحمن قاسم – ط عالم الكتب– ١٤١٥هـ.

المسودة في أصول الفقه– دار الكتب العلمية– الطبعة الأولى– ١٤٠٨هـ.

درء تعارض العقل والنقل- طبعة جامعة الإمام- الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح- دار العاصمة- الطبعة الأولى- ١٤٢٠هـ- الرياض.

- ابن جبير: محمد بن أحمد الكناني (ت: ٦١٤هـ):

رحلة ابن جبير: محمد بن جبير الأندلسي. دار الكتاب اللبناني. بيروت. دار الكتاب المصري. مصر. بدون ذكر التاريخ وسنة الطبع.

- ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧هـ):

دفع شبه التشبيه- ناصر العلوان-دار العاصمة- الرياض- الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ.

المدهش-المؤسسة العالمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٩٧٣م.

بستان الواعظين- دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة الأولى- ١٩٨٤م

صيد الخاطر- تحقيق ناجي الطنطاوي- دار الفكر- ١٤٠٧ هـ.

صيد الخاطر- تحقيق / عبد الرحمن البر- دار القبلتين- ١٤١٩ هـ.

صيد الخاطر- تحقيق / عامر ياسين- دار ابن خزيمة- الطبعة الثانية- ١٤١٩هـ.

صيد الخاطر- تحقيق / يوسف بديوي- دار اليمامة- الطبعة الثانية- ١٤٢٣ هـ- دمشق- سورية.

صيد الخاطر- تحقيق / حسن السماحي- الطبعة الثانية- ١٤٢٥ هـ- دار القلم- سورية.

صيد الخاطر- تحقيق: رمزي السعدي- الطبعة الأولى- ١٤٢٥هـ- مكتبة الرشد- الرياض.

صيد الخاطر-تحقيق: طارق عوض الله-الطبعة الأولى-١٤٣٧هـ-مدار الوطن.

مشيخة ابن الجوزي- تحقيق: مُحَمَّد محفوظ- الدار التونسية- ١٩٧٧م.

كشف المشكل- دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ.

تلبيس إبليس- تحقيق / أحمد المزيد- دار ابن الجوزي- الطبعة الأولى- ١٤٢٣ هـ.

المنتظم في أخبار الملوك والأمم- دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى- ١٤١٢هـ.

- ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت:٨٥٢هـ):

تقريب التهذيب- دار الكتاب- مصر- ١٣٨٠ هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري- دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى- ١٤٠٩هـ- لبنان.

- ابن خلدون: عبد الرحمن بن مُحَمَّد الحضرمي (ت: ٨٠٨):

مقدمة ابن خلدون- تحقيق درويش الجويدي- المكتبة العصرية- ١٤١٦هـ.

- أبو الحسن الندوي:

حكمة الدعوة وصفة الدعاة- دار عرفات- الهند- بدون تاريخ.

- أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ):

سنن أبي داود- ط مصطفى الحلبي- مصر- ١٣٧١ هـ.

- ابن رجب: عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ):

ذيل طبقات الحنابلة- دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى- ١٤٠٥هـ.

- ابن رشيد السبتي: محمد بن عمر (ت: ٧٢١هـ):

السَّنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن- تحقيق محمد الجيب الخوجة- ط الدار التونسية- ١٩٩٨ م.

- ابن سعد: محمد بن سعد الزهري (ت: ٢٣٠هـ):

طبقات ابن سعد الكبرى- دار الفكر- الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ.

- ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن (ت: ٦٤٣هـ):

مقدمة ابن الصلاح- دار الفكر- الطبعة الأولى- ١٤١٠ هـ- لبنان.

- ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله (ت: ٤٦٣هـ):

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- الرباط- ط ١٣٨٧هـ.

- ابن عقيل: علي بن عقيل (ت: ٥١٣هـ):

كتاب الفنون- مكتبة لينه- دمنهور- ١٤١١ هـ.

- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر (ت: ٧٥١هـ):

اجتماع الجيوش الإسلامية- دار السلام- الطبعة الأولى- ١٤٠٥ هـ- القاهرة

إعلام الموقعين- دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى- ١٤٠٩هـ.

- ابن كثير: إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ):

اختصار علوم الحديث- شرح أحمد شاكر- ط الأولى- الرياض – ١٤١٠.

البداية والنهاية- دار الفكر- لبنان- الطبعة الأولى- ١٤٠٩هـ.

- ابن ماجه: مُحَمَّد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥هـ):

سنن ابن ماجه- ط مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي- بدون تاريخ.

- ابن منظور: مُحَمَّد بن مكرم الأفريقي (ت: ٧١١هـ):

لسان العرب- طبعة صاد- لبنان- ١٤٠٧ هـ.

- أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ).

حلية الأولياء- دار الكتب العلمية- بيروت- بدون ذكر سنة الطبع.

- أحمد غلوش:

الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها- دار الكتاب المصري- القاهرة- بدون تاريخ.

- الأشقر: عمر سليمان (ت: ١٤٣٣هـ):

نظرات في أصول الفقه- دار النفائس- الطبعة الأولى- ١٤٠٩هـ.

- الأعظمي: مُحَمَّد ضياء الرحمن الأعظمي:

المدخل إلى السنن الكبرى- دار القلم- الطبعة الأولى- ١٤١٦هـ.

معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد- دار أضواء السلف- الطبعة الأولى- ١٤٢٠ هـ.

- **الألباني: محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ):**

سلسلة الأحاديث الصحيحة، وسلسلة الأحاديث الضعيفة- الطبعة الرابعة- ١٤٠٨ هـ- مكتبة المعارف- السعودية- الرياض.

- **الألمعي: زاهر الألمعي:**

مع المفسرين والمستشرقين في زواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بزينب بنت جحش- دار الكتاب- دار الكتاب الجديد- بيروت- ط ١٣٩٨ هـ.

- **الأنصاري: محمد الأنصاري:**

منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي- مكتبة الأنصار- جدة- ١٤٠٧هـ.

-**البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ):**

التاريخ الكبير- طبعة حيدر آباد- الهند- ١٣٦١.

الجامع الصحيح- طبعة الرسالة- لبنان- ١٤٢٢.

- **الترمذي: محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ):**

جامع سنن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيت الأفكار الدولية- الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

- **التهانوي: محمد علي (ت: ١١٥٨هـ):**

قواعد في علوم الحديث- تحقيق عبد الفتاح أبو غده- مكتب المطبوعات الإسلامية- ١٤٠٤ هـ.

- الحداد: محمود بن مُحَمَّد:

المقتنى العاطر من صيد الخاطر- الطبعة الأولى- ١٤١٣ هـ- مكتبة آل ياسر- مصر- الجيزة.

- حسن ابراهيم حسن:

تاريخ الإسلام السياسي- مكتبة النهضة المصرية- الطبعة السابعة- القاهرة- ١٩٩٩ م.

- حسن أدهم جرار :

القدوة الصالحة- ط الأولى- ١٤٠٥ هـ- دار الضياء- عمان.

- حسن الحكيم:

كتاب المنتظم- دراسة في منهجه- دار التراث- الطبعة الأولى- ١٤١٥هـ.

- عبد الأول الأنصاري:

المجموع في ترجمة حماد الأنصاري- جمع وترتيب / عبد الأول بن حماد الأنصاري- ١٤٢٢ هـ.

- الحموي: ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ):

معجم البلدان- دار صادر- الطبعة الأولى- ١٤٠٩ هـ- لبنان.

إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب- دار الرسالة- الطبعة الأولى- ١٤١٢هـ.

- خالد الخياط:

الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر- مكة المكرمة- ١٩٩١ هـ.

- الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (ت: ٤٦٣هـ):

شرف أصحاب الحديث- دار القلم- الطبعة الأولى- ١٤٠٦هـ.

تاريخ بغداد- ط السعادة- الطبعة الأولى- ١٣٤٩ هـ.

الجامع لأخلاق الراوي- دار الرسالة- الطبعة الأولى- ١٤٠٥هـ.

الكفاية في علم الرواية- دار الرسالة- الطبعة الأولى- ١٤٠٥هـ.

- الخميسي: عبد الرحمن الخميسي:

معجم علوم الحديث النبوي- دار الأندلس الخضراء- الطبعة الأولى- ١٤٢١هـ.

- الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن (ت: ٢٥٥هـ):

سنن الدارمي- طبعة دار إحياء السنة النبوية بالقاهرة- ١٤٠٧هـ.

- الداودي: محمد بن علي (ت: ٩٤٥هـ) :

طبقات المفسرين- تحقيق علي عمر- ط الاستقلال- مصر- ١٣٩٢هـ.

- الدهلوي: ولي الله الدهلوي (ت:١١٧٩هـ):

المسوى شرح الموطأ- دار التراث- الطبعة الأولى- ١٤٠٧ هـ.

- **الديلمي**:

معالم الدعوة في قصص القرآن- جدة- دار المجتمع- الطبعة الأولى- ١٤٠٩ هـ.

- **الذهبي: محمد بن أحمد (ت:٧٤٨هـ)** :

سير أعلام النبلاء- دار الرسالة- تحقيق مجموعة من الباحثين- الطبعة الرابعة- ١٤١٥هـ.

تهذيب التهذيب- دار الكتب العلمية- الطبعة الثانية- ١٤٢٠هـ.

العبر- دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى- لبنان- ١٩٨٠ م.

تذكرة الحفاظ- دار المأمون- الطبعة الأولى- ١٤٠٧ هـ.

تاريخ الإسلام- دار الرسالة- الطبعة الأولى- ١٩٨٠ م- لبنان.

الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم- دار البشائر الإسلامية- الطبعة الأولى- ١٤١٢ هـ.

-**الرامهرمزي: الحسن بن عبد الرحمن (ت:٣٦٠هـ)**:

المحدث الفاصل- دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى- ١٩٩٠م- لبنان.

- **رؤوف شلبي**:

الدعوة الإسلامية في عهدها المكي- ط الثالثة- ١٤٠٢ هـ دار القلم- الكويت.

– الزبيدي: محمد بن محمد المرتضى (ت: ١٢٠٥هـ):

تاج العروس من جواهر القاموس– دار إحياء التراث العربي– الطبعة الأولى– ١٤٠٥هـ.

– الزركلي: خير الدين (ت: ١٣٩٦هـ):

طبعة دار العلم للملايين– الطبعة السادسة– ١٩٨٤ هـ.

– سبط ابن الجوزي: يوسف بن قزاوغلي (ت:٦٥٤هـ):

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان– حيدر آباد– ١٣٧٠ هـ.

– السُّبكي: عبد الوهاب بن علي (ت: ٧٧١هـ):

طبقات الشافعية– تحقيق: عبد الفتاح الحلو– مكتبة ابن تيمية– الطبعة الأولى– ١٣٨٨هـ.

– السخاوي: محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٠٢هـ):

الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ– دار التري– دمشق– الطبعة الأولى– ١٣٤٩ هـ.

– السمعاني:– عبد الكريم السمعاني (ت: ٥٦٢هـ):

الأنساب– تحقيق: عبد الرحمن المعلمي– دار الكتب العلمية– بيروت– الطبعة الأولى– ١٤٠١هـ.

– سميرة جمجوم:

المعوقون للدعوة الإسلامية– دار المجتمع– جدة– ١٤٠٧ هـ.

- **السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ):**

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- مطبعة السعادة- ١٣٢٦ هـ.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور- مكتبة وهبة- الطبعة الأولى- ١٩٨٠م.

الإتقان في علوم القرآن- طبعة مصطفى البابي- مصر- ١٩٩٩م.

- **الشيباني: أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ):**

المسند- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة- ١٩٩٠ م.

- **الشيباني: مُحَمَّد بن الحسن: (ت: ١٨٩هـ):**

كتاب الآثار- طبعة المعارف الشرقية- حيدر آباد- ١٣٨٥ هـ.

- **الصفدي: خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ):**

الوافي بالوفيات- دار إحياء التراث العربي- الطبعة الأولى- ١٤٢٠ هـ- بيروت- لبنان.

- **طاهر الجزائري: طاهر بن صالح (ت: ١٣٣٨هـ):**

توجيه النظر إلى أصول الأثر- دار الفكر- الطبعة الأولى- ١٤٠٤ هـ.

- **الطبري: مُحَمَّد بن جرير (ت: ٣١٠هـ):**

تاريخ الطبري- طبعة مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم- بدون اسم الناشر وسنة الطبع.

- الطناحي: محمود بن أحمد (ت:١٤١٩هـ):

مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي- القاهرة- ١٩٨٤م.

- عبد الرحمن بن حسن بن مُحَمَّد (ت:١٢٨٥هـ):

فتح المجيد شرح كتاب التوحيد- طبعة الافتاء- الرياض- ١٤٠٨هـ.

- عبد الرحمن النحلاوي:

أصول التربية الإسلامية- ط الأولى- ١٣٩٩هـ- دار الفكر- دمشق.

- عبد السلام علوش:

علم زوائد الحديث- دار الرسالة- الطبعة الأولى- لبنان- ١٤٠٥هـ.

- عبد الكريم زيدان (ت:١٤٣٥هـ):

أصول الدعوة- مؤسسة الرسالة- لبنان- الطبعة الثانية- ١٤٠٧ هـ.

-عبد الله بن أحمد بن حنبل: (ت: ٢٩٠):

زوائد المسند- دار البشائر- الطبعة الأولى- لبنان- ١٤٢٠هـ.

- العراقي: عبد الرحيم بن الحسين (ت:٨٠٦هـ):

المغني عن الأسفار في الأسفار- مكتبة دار طبرية- الطبعة الأولى- الرياض- ١٤١٥ هـ.

- العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: ٤٠٠هـ) الحسن بن عبد الله:

كتاب الفروق- الطبعة الأولى- ١٤١٥ هـ- جروس برس- لبنان- طرابلس.

- العلاونة: أحمد العلاونة:

ذيل الأعلام- دار المنارة- جدة- الطبعة الأولى- ١٤١٠ هـ.

- العلوجي: عبد الحميد العلوجي:

مؤلفات ابن الجوزي- مركز المخطوطات والتراث والوثائق- الكويت- ١٤١٢هـ.

-العليمي: عبد الرحمن بن مُحَمَّد(ت:٩٢٨هـ):

المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد- طبعة المدني- مصر- ١٣٨٣هـ.

- علي جريشة:

مناهج الدعوة وأساليبها- دار الوفاء- ١٤٠٧ هـ- مصر.

- علي عبد الحليم محمود:

فقه الدعوة إلى الله- دار الوفاء- المنصورة- الطبعة الثالثة- ١٤١٢هـ.

- الغماري: عبد العزيز الغماري (ت:١٤١٨هـ):

الباحث عن عِلل الطعن في الأحاديث- مطبعة الشرق- بدون تاريخ.

- الفلاني: صالح بن مُحَمَّد (ت: ١٢١٨هـ):

قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر- تحقيق / عامر حسن صبري- دار الشروق- جدة.

- **فهمي سعيد:**

العامة في بغداد- دار الكتاب المصري-الطبعة الأولى-١٩٩٠م- القاهرة.

- **القاضي عياض: عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ):**

الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع- مطبعة السنة المحمدية- مصر- ١٣٨٩ هـ.

- **محمد سيدي الحبيب:**

الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم- الطبعة الأولى- دار الوفاء- جدة-١٤٠٦هـ.

- **اللكنوي: محمد بن عبد الحي (ت:١٢٨٥هـ):**

الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة- حلب- ١٣٨٤ هـ.

- **محمد شندب:**

الحضارة الإسلامية في بغداد- دار الكتاب المصري- الطبعة الأولى- ١٩٩٩م- القاهرة.

- **محمد أبو شهبة:**

الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير- المطبعة الأميرية- ١٣٩٣ هـ.

- **محمد الصواف:**

الدعوة والدعاة من القرآن وإلى القرآن- جدة- ١٩٨٥ م.

- مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ):

كتاب التمييز- تحقيق مُحَمَّد مصطفى الأعظمي- ط الكوثر- ١٤١٠هـ.

- المقبلي: صالح بن مهدي (ت: ١١٠٨هـ):

العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ- دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى- ١٤٠٩هـ.

- المنذري: عبد العظيم بن عبد القوي (ت: ٦٥٦هـ):

التكملة لوفيات النقلة- تحقيق: بشار معروف- دار الرسالة- الطبعة الثانية- ١٤٠١هـ.

- موفق عبد القادر:

توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين، الطبعة الأولى- ١٤١٤هـ- المكتبة المكية السعودية- مكة المكرمة.

- النسائي: أحمد بن علي (ت:٣٠٣هـ).

سنن النسائي- ط مصطفى الحلبي- مصر- ١٣٨٣هـ.

ب - المجلات.

١- مجلة المورد العراقية- العدد: ٢١١٣٣- ١٤٠٤هـ.

٢- مجلة المنار المصرية-العدد:٢٣-جمادى الآخرة- ١٣١٨هـ.

٣- مجلة الأستاذ المصرية- العدد: ٤٤- المجلد الخامس- ١٩٥٦م.

ج- المخطوطات:

١- مخطوطة «تذكرة أولي البصائر في معرفة الكبائر»،منسوبة لابن الجوزي- مصورة من مجموعة برنستون جاريت- الولايات المتحده، (بريل- هوتسما).

٢- مخطوطة «الأسامي المنفردة» لابن الجوزي ،مصورة من المكتبة الآصفية بحيدر آباد- الهند- رقم٧٧.

٣- مخطوطة «القصيدة الدالية» لابن الجوزي، مصورة من الجامعة الإسلامية «بالمدينة النبوية» رقم: (٨/ ١٧٠٢).

٤- مخطوطة «صيد الخاطر»: أيا صوفيا- استنبول- تركيا- رقم: ،٣٩٥٩

٥- مخطوطة «صيد الخاطر»: النسخة الخطية لمكتبة جامعة «ليبزج» بألمانيا، برقم: (٨٧٤).

د- الاتصالات العلمية الهاتفية:

١- اتصال هاتفي بالشيخ محمد الأمين أبو خبزة التطواني- المغرب.

يوم الجمعة ١١/ ٩/ ١٤٢٦هـ. موضوع المكالمة: طبعات كتاب صيد الخاطر ومذاكرة حول مرويات ابن الجوزي.

٢- اتصال بالشيخ ابو الحسن المأربي- اليمن، يوم السبت ١٢/ ٩ / ١٤٢٦هـ. موضوع المكالمة: أسانيد ابن الجوزي في صيد الخاطر. وحال عقيدة ابن الجوزي.

٣- اتصال بالشيخ نظام يعقوبي- البحرين، يوم الخميس ١٧/ ٩ /١٤٢٦ موضوع المكالمة: طبعات صيد الخاطر ومخطوطاته.

٤-اتصال بالدكتور بشار عواد معروف- الأردن، يوم الخميس ١٤٤٠/١١/٢٥هـ.

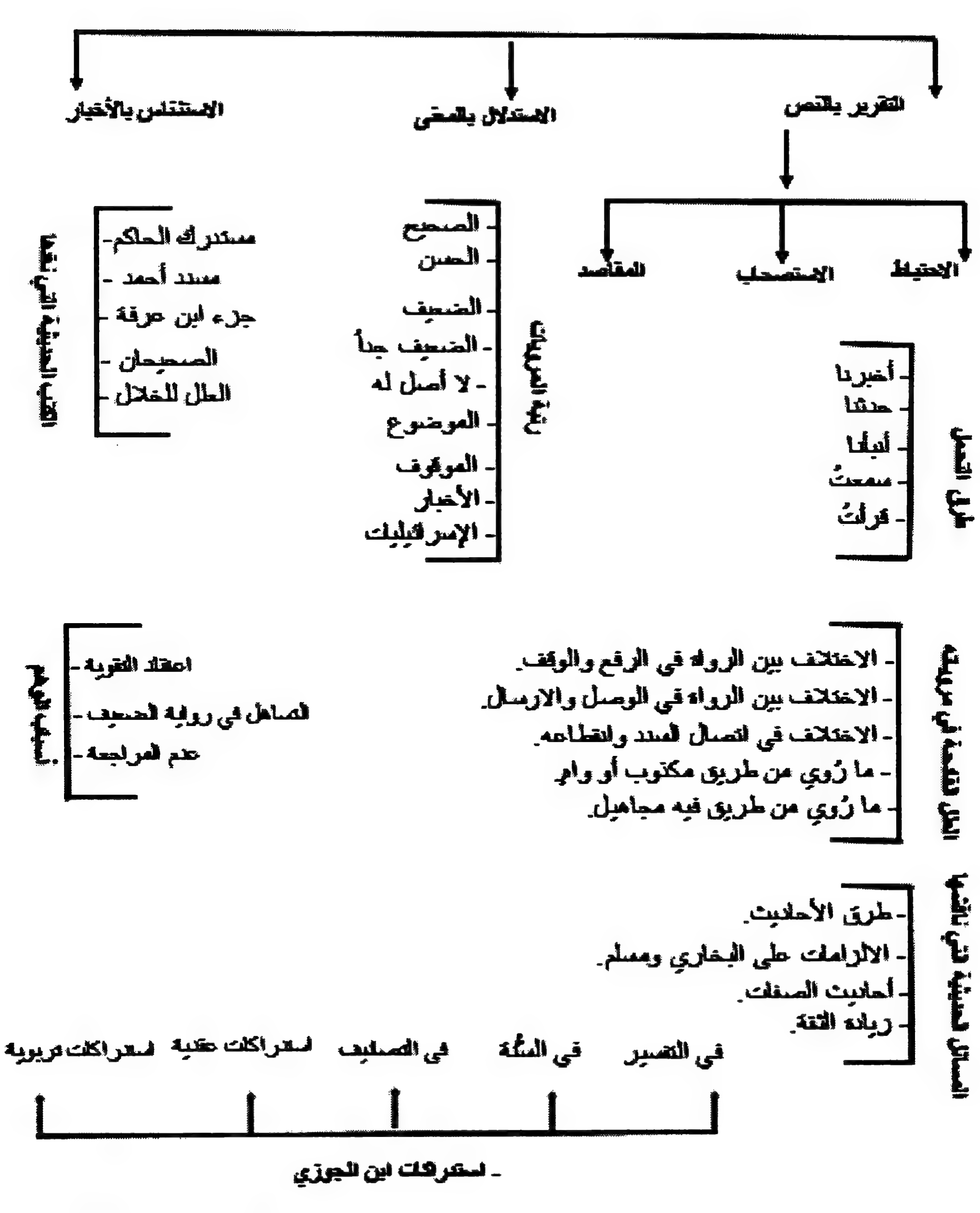
موضوع المكالمة: كتاب التمهيد لابن عبد البر ومخطوطاته، وعلاقة كتاب التمهيد ببعض استدلال ابن الجوزي في صيد الخاطر.

٥-اتصال بالأستاذ إبراهيم اليحيى، الرياض، مدير قسم المخطوطات بمكتبة الملك عبد العزيز العامة. يو الخميس ١٤٤١/١٢/١٦هـ.

موضوع المكالمة: تأريخ نَسخ مخطوطات ابن الجوزي.



[الخريطة الذهنية لمرويات ابن الجوزي في صيد الخاطر]



(المدخل إلى كتاب صيد الخاطر)

فِهرس الموضوعات

تم بحمد الله تعالى . لمراسلة المؤلف:

osooole1@gmail.com

